

Princeton University Library



32101 072541756

الدكتور
طارق علي الهاشمي

الاضراب السياسية

الجزء الاول

« ساعدت جامعة بغداد على طبع هذا الكتاب »

م ١٩٦٩

هـ ١٣٨٩

شركة الطبع والنشر الاهلية

al-Hāshimī, Tāriq 'Alī

الدكتور
طارق علي الهاشمي
كلية الاقتصاد والعلوم السياسية
جامعة بغداد

al-Aḥzāb al-siyāsīyah

الاحزاب السياسية

« ساعدت جامعة بغداد على طبع هذا الكتاب »

١٩٦٨

شركة الطبع والنشر الاهلية - بغداد

پندرہواں باب
قیاسیہ برائے ماہنامہ قیاس
ماہنامہ قیاس

2271
32465
H25
311

v.)

قیاسیہ برائے ماہنامہ قیاس

پندرہواں باب قیاسیہ برائے ماہنامہ قیاس

۸۳۹۱

پندرہواں باب قیاسیہ برائے ماہنامہ قیاس

(المقدمة)

الصراع السياسي قديم قدم الدنيا • وهو قانون يتحكم في علاقات الانسان ، ان لم يكن قانون الحياة نفسها • والمنافسة عمل مشروع يحد ذاتها ، وهي - مع الصراع - خلف كل الفعاليات الانسانية • ولكنهما ينتهيان في الغالب الى صراع دام !

ولما كان التاريخ حركة تقدمية مستمرة ، فانه من الطبيعي أن تقوم حركات مضادة تريد لحرارة التاريخ أن تقف ! يحملها على ذلك دافع من مصالح معينة تريد لها المحافظة والبقاء ، ولذا فإن الصراع بين القوى المتعارضة صراع طبيعي تحتمه الطبيعة البشرية وكذلك طبيعة التاريخ كحركة تقدمية مستمرة •

ومنذ ان وجدت على ظهر هذه الارض خلائق بشرية ، وجدت المشاحنات والمنازعات حتى بلغت حد اراقة الدماء • وكما انهيار من دماء اريقت بسبب ذلك الصراع • وفي الحقيقة فإن المجتمع الانساني - منذ ان عرفت صورته الاولى - قد أنقسم الى فئة حاكمة وهي قلة من الناس وفئة مملوكة ومحكومة وهي الاعلية منهم •

هكذا الدنيا عجيبة في أمرها ! فيها لكل نقيضه : شر وخير ، غنى وفقير ، ديجور ونور ، طالح وصالح ، كافر ومؤمن ، محافظ وثورى ، رجعي وتقدمي • قال الله تعالى في قرآنه الكريم :

« وقطعناهم في الارض أما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك » (١)

ولقد اقترن ميلاد (الانسان الاول) آدم عليه السلام بميلاد الصراع بين قوى الخير والشر ، كذلك قام الصراع بين القوى القليلة في عددها الكبيرة فى عدتها وبين القوى الكبيرة فى عددها والقليلة فى عدتها • كذلك (السلطة) نأخذ

(١) القرآن الكريم - سورة الاعراف - الآية (١٦٨) •

كانت - وما زالت - رداءا تنمقص به الطبقات الحاكمة لتجعل امتيازاتها شرعية وحكمها شرعيا هو الآخر • ولقد قدمت البشرية الكثير من الضحايا نتيجة ذلك الصراع الدامي على مذبح الحرية • فكم من ضحايا ذهبت من أجلها ونفوس زهقت باسمها • الاولى تنعم بالسلطة معتمدة على حق الملوك الالهي ، الذي يفترض الطاعة وان الخروج عليها - أي على السلطة - ان هو الامعصية والحاد! حتى (الثورة) كانت - والى زمن قريب - تعتبر خروجا ومروفا على السلوك الاجتماعي الذي كان سائدا المجتمعات القديمة •

هكذا قام الصراع منذ الازل بين قوى عاتية جائرة تريد لسلطانها البقاء ولغيرها الفناء من جهة ، وبين قوى يحدوها الايمان بحقها في هذه الحياة وهي تريد لها مكانا تحت الشمس تنعم فيه بالامن والحرية والعدالة من جهة أخرى •

ولما كان كل واحد منا ينتمي الى (المجتمع) ، وان فيه جماعات وطبقات مختلفة ، كل واحدة منها ، - وكل واحد منا ايضا - محكومة بحكم الانتماء الاجتماعي (مهنية كانت أو تجمعات تعاونية أو منظمات سياسية كالأحزاب والنقابات والى غير ذلك) ، وأخرى محكومة بحكم الموقع أو المكان في ذلك المجتمع كأن تكون (عائلة) أو طبقة اجتماعية ، ولما كان كل واحد منا وكل واحد من هؤلاء قد قدر له أن يلعب دورا معيناً في هذه الحياة الدنيا ، فان هذا الدور هو بالضرورة دور (اجتماعي) يتناسق ويتساوق مع فكره ومبادئه وتكوينه واتمائه •

فالاصل في الانسان أن يكون ملتزماً تجاه مجتمعه ، محكوماً بالمبادئ التي يؤمن بها ، ولذا فانه يدعو لها ويدافع عنها • وهناك حالات يخرج الانسان فيها عن مبادئه ويتنكر لها ولطبقة فهو هنا خائن لها !

وعليه - وبالضرورة - فان علاقات وصلات تظل قائمة بين الانسان وبين المجتمع ، ولما كان الانسان مدنيا بالطبع كما يقال ، فانه لا يستطيع ان يحيا وحيدا أو منزلا •

اذن فالانتماء مهنيا كان أو تكوينيا ، يقترض علينا واجبات ، هذه الواجبات
انما تتمخض بداهة ، نحو جماعة من الناس ، وعليه فالانسان يلتزم اجتماعيا ، ومن
هنا نفهم لماذا يطيع الانسان القانون أو يحترم السلطة أو قد يخرج عليها !

ان ميلاد الانسان يفرض عليه الاستمرار حيا ومتحررا في مجتمع ما ، وعليه
لا بد له من علاقات ، هذه العلاقات تؤثر فيه ويؤثر فيها ، سلبا وايجابا • ولا مكان
لانسان في مجتمع يريد أن يحيا فيه وحيدا ! ان الموت وحده هو الذي يفرض
على الانسان عزلة لا ارادة له فيها !

هذه الصلات وتلك العلاقات تفرضان الحرص عليها تنميتها وتغذيها وتحكمها
(المبادئ) و (المثل العليا) التي يؤمن بها الانسان ، وعليه لا بد لهذه الصلات
من أن يعكسها معكرا أو يصيبتها تغيير أو فتور • اذ ليس في هذه الحياة شئ باق !
فكل من عليها فان ! وعليه كان طابع الحياة هو الآخر صراعا بين الناس ، أو منافسة
قائمة بينهم ، كل يرى أن طريقه هو الاصبوب والاصالح !

وعليه لا بد لهذه الحياة من (سلطة) لان النفس امارة بالسوء الا ما رحم
ربي • ولذا كان من الضروري قيام جهاز عام في المجتمع يملك سلطة قسرية لكي
تحدد قواعد السلوك الاجتماعي بما فيها الصراع السياسي • فكان ان قامت فكرة
(الدولة) وهي انما قامت ليس فقط لان تكون سلطة قسر وتحديد وتقييد وانما
لتحقق الامن ولتبعد الخوف كذلك لتحقيق الاهداف التي تؤمن بها الاكثريّة
الساحقة من الشعب لا أن تكون جهازا (بوليسيا) يشل ارادتهم في التعبير عن
حرياتهم وحققهم في الحياة الحرة الكريمة •

ذلك ان « الدولة العصرية الحديثة » هي تلك التي تعي مشاكل المجتمع وعيا
علميا وتعمل على حلها وفق تخطيط علمي • وكذلك تعكس آمال الجماهير في
اعمال تقدمها لتحقيق لهم مجتمع الكفاية والعدل دونما استغلال للشعب أو استعلاء
عليه • لان السلطة - في الاصل - انما اوجدت لتكون في خدمة الشعب تحقيقا
لرفاهيته دون أن يسيطر عليه جوع أو خوف والشعب انما هو مصدر السلطة ،

وعليه فان السلطة ملزمة - دوماً وابدأ - ان تلتجئ اليه احتكاماً في كل أمر جليل وشأن خطير لا أن تتحكم فيه « (١) » .

فالمجتمع مستعد دوماً أن يقبل حكماً يعبر تعبيراً سليماً عن مصالحه ، وما دامت (السلطة) تمتلك هذه الصفة التي تتمثل في حرصها على اشباع حاجات المجتمع وصيانتها من كل سوء وحمايته من كل خطر والعمل على بسط سلطان العدالة واشاعة الامن والطمأنينة ، فان المجتمع باقراره - مستعد الى ان يتنازل راضياً - عن حريته . ولكن ان جنحت السلطة عن الجادة وخرجت عن الطريق السوي ، نفر منها المواطنون فينزل الحكم عن قاعدته وهكذا يبدأ الصراع السياسي ما بين الحاكمين والمحكومين .

وفي الحقيقة فان اخطر ما يواجهه حكم أو نظام سياسي انما هو انعزاليته . ذلك ان الجماهير انما هي السند الحقيقي والمادة الرئيسة الحية في بقاء حكم أو ذهابه . وحين ينعزل حكم ما عن جماهيره فانه يبدو (عضواً) غريباً في (جسد) الأمة ، ولا بد لهذا الجسد من ان يقضي على هذا الغريب الطارئ ! وهنا يبدأ الصراع وقد يتخذ شكلاً خفياً أو علناً .

ان دراسة (الاحزاب السياسية) انما هي دراسة للقوى الفاعلة أو المحركة للمجتمع ، وليس من شك أن هنالك في كل مجتمع سلطة تحرص على بسط كلمتها وسلطانها باسم الحرص على التماسك الاجتماعي وهذا الحرص من السلطة انما يمثل - والى حد كبير - القوى الثابتة للمجتمع ، في تطبيق القوانين تحقيقاً للعدالة وحماية الامن الداخلي والخارجي فهذه عوامل تؤدي من - غير شك - الى التماسك والتضامن الاجتماعي (٢) .

(١) مذكراتنا في - دراسات سياسية واجتماعية - وهي مجموعة محاضرات القيمة على طلبة الصف الرابع سياسة في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية والكلية الجامعة للسنة الدراسية ١٩٦٧-١٩٦٨ ، ص ١ .

(٢) يرى البروفسور برتراند رسل ان « للأنظمة الاجتماعية جذران أساسيان في الطبيعة البشرية ، داخليا ، تحدد النزعتان المتصاحبتان ، نزعة الامر ونزعة الطاعة ، التدرج الاجتماعي وتمنح الحكومة السلطة ، وخارجياً ،

وهناك المبادرات الفردية ونشاطاتهم طموحا وجنوحا • والاحزاب السياسية
أجهزة صراع ومنافسة وهي تعبير أصيل وطبيعي لليل الانسان وغرائزه في حب
التطاحن والصراع • ذلك ان لكل انسان امياله وآرائه واهوائه !

يقول البروفسور (رسل) : « لست اعتقد ان الكائنات العادية من الجنس
البشري تستطيع ان تكون سعيدة دون وجود المنافسة ، لانها - اى المنافسة -
كانت منذ كان الانسان ، الحافز لاهم الفعاليات • ولذلك فيجب ان لا نحاول ان
نلغي المنافسة وانما نراعى فقط ان لا تتخذ اتجاهات ضارة كثيرا » (١) •

فالعلاقة ما بين (الحاكمين) و (المحكومين) انما يحددها ما قدمته السلطة
من اعمال ومنجزات في صالح (جماهير) شعبها ، ذلك ان هذه (الجماهير) قد
ارتضت لنفسها أن تخضع للسلطة ما دامت الاخيرة عاملة من أجل اسعاد الجماهير
وتحسين احوالهم ورفع مستواهم • ولقد قدمت الشعوب الغالى والنفيس من
الاموال والارواح من أجل استرداد حقوقها المغصوبة ولتستعيد ارادتها المسلوبة •
ولتتمتع بحرياتها بعد طول كبت واضطهاد •

وهكذا دخلت (الديمقراطية) في حياة البشر ولكن على بحر من دماء •
ومن يومها حرصت الجماهير في كل مكان (على حقوقها) كاملة غير منقوصة
ولقد سيطرت فكرة الديمقراطية على ما عداها من أفكار وغدا (الشعب) مصدر
السلطات وصاحب السلطة العليا في منح (الحكام) سلطاتهم لاداء واجباتهم باسم
الشعب • واذا ما انحرف الحاكمون عن الجادة وسواء السبيل كان من حق الشعب
تغيير حكاه •

« فالناس - كما يقول هارولد لاسكي - يعتقدون ان ما يوجد في الدولة من

هناك زوج اخر من النزعات هما التماسك والتنافس وهما العاملان الذين عليهما
المعول » • انظر كتابه (المجتمع البشري في الاخلاق والسياسة) ترجمة عبد الكريم
احمد - ١٩٦٠ ، ص ١٧٦ •

(١) برتراند رسل : (السلطة والفرد) تعريب شاهر الحمود - دار الطليعة
- ١٩٦١ ، ص ٣٣ •

فوارق يحتاج الى تبرير ، فاذا حرموا من امتيازها ، طالبوا اما الغاء الامتياز نفسه ، أو التوسع فيه حتى يشملهم كذلك . وسيظل الناس صابرين على اختلال المساواة ، ما داموا مقتنعين بان المجتمع يقدم لهم أحسن ثمار عملياته . ولكن ما ان يبدأ الناس في الاعتقاد بان هناك فرقا واضحا بين ما يحصلون عليه ، وما يتوقعون حتى تتجه أنظارهم على الفور الى وجود اختلال في المساواة تستغل الدولة سيادتها لحماية « (١) » .

ولقد مرت الديمقراطية بادوار متعددة (كما سنرى) نظرية التمثيل أو الانابة ثم الديمقراطية شبه المباشرة واخيرا اعتراف بوجود الاحزاب السياسية تعبيرا عن الارادة الحرة للجماهير . وفي الحقيقة فلقد اقترن ميلاد الاحزاب السياسية بظهور الديمقراطية واصبحت الديمقراطية والاحزاب السياسية في الدول المتقدمة توأمين لا انفصام بينهما : فلا ديمقراطية بلا احزاب ولا احزاب بلا ديمقراطية . ولئن أثارت الديمقراطية جدلا - على مر العصور - بين مؤيديها والمعارضين لها ، فان الاحزاب السياسية أثارت - ولا زالت تثير هي الاخرى - اهتماما كبيرا على كافة المستويات والاوساط المختلفة ، اذ كانت شغلهم الشاغل .

ولا نكران ان للاحزاب السياسية مكانا وأهمية بارزتين في العلوم السياسية فهي بمثابة العمود الفقري بل ان الاحزاب السياسية لها القدر المعلى في تكوين (علم السياسة) وان الاحزاب السياسية تعتبر - وبحق - مفاتيح هذا العلم الذي هو مدين بوجوده لها .

وليس خافيا ان دراسة الاحزاب دراسة حديثة ، اذ ترجع اولى الدراسات الجديد الى عام ١٩٠٣ حيث كتب (اوستروكورسكى) كتابا تحليليا وأعقبه (روبرت ميشيل) عام ١٩١٣ وقد ظهرت مؤلفات وكتب كثيرة في الولايات المتحدة ولكنها كانت قاصرة على الاحزاب الامريكية . حتى اذا جاء عام ١٩٥١ ظهر كتاب (الاحزاب السياسية) لمؤلفه (موريس ديفرجيه) الاستاذ في جامعة باريس والذي

(١) هارولد لاسكي - الدولة في النظرية والتطبيق - ترجمة أحمد غنيم وكامل الزهيرى - الطبعة الثانية ١٩٦٣ ، ص ٨٨ .

يبحث فيه دراسة الاحزاب نظريا وعمليا • وقد اعتمدنا كثيرا على الكتاب الاخير
في الدراسات التي نقدمها للقارئ الكريم عن موضوع الاحزاب السياسية •
ولئن كان حظ هذا العلم من الدراسة يمثل هذا المستوى في بلاد الغرب
فان حظه من الدراسة في بلادنا العربية يكاد لا يذكر • ذلك ان مكتبتنا تفتقر الى
كتاب يبحث في (الاحزاب السياسية) ، واني احاول في هذا الكتاب أن اساهم
مساهمة متواضعة في تلافي بعض هذا النقص ، ولست ادعي اني قد أوفيت (البحث)
حقه ذلك ان القص يشوب الكثير من صفحاته • واني منذ قيامي بتدريس هذه
المادة منذ عام ١٩٦٤ في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية والكلية الجامعة الى الآن
وتدريسي لها في كلية الادارة العامة حتى عام ١٩٦٦-١٩٦٧ قد شعرت بالحاجة
الماسة من قبل الطلبة الى وجود هذا الكتاب ليرجعوا اليه في فهم هذه المادة الصعبة
والمعقدة نظرا لندرة المصادر التي تبحث هذا الموضوع •
وأملني أن تهادني الظروف لاوفي البحث حقه في قابل الايام ، فإلله تعالى
وحده ، هو الذي تفرد بالكمال والدوام •

طارق علي الهاشمي

بغداد ١٢-١٠-١٩٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل في كل شيء دليلا
وآية لمن يشاء من عباده
الذين آمنوا بآياته
وكانوا على صراط مستقيم
وأنزل من السماء ماء
فجعلنا من ذلك خلقا
مختلفا
وأنزل من السماء
الذرىء
فجعلنا من ذلك خلقا
مختلفا
وأنزل من السماء
الغياث
فجعلنا من ذلك خلقا
مختلفا
وأنزل من السماء
النبات
فجعلنا من ذلك خلقا
مختلفا
وأنزل من السماء
الثمار
فجعلنا من ذلك خلقا
مختلفا
وأنزل من السماء
الرحمة
فجعلنا من ذلك خلقا
مختلفا
وأنزل من السماء
الدين
فجعلنا من ذلك خلقا
مختلفا
وأنزل من السماء
العلم
فجعلنا من ذلك خلقا
مختلفا
وأنزل من السماء
الحكمة
فجعلنا من ذلك خلقا
مختلفا
وأنزل من السماء
الهدى
فجعلنا من ذلك خلقا
مختلفا
وأنزل من السماء
النور
فجعلنا من ذلك خلقا
مختلفا
وأنزل من السماء
البرق
فجعلنا من ذلك خلقا
مختلفا
وأنزل من السماء
البرق
فجعلنا من ذلك خلقا
مختلفا
وأنزل من السماء
البرق
فجعلنا من ذلك خلقا
مختلفا

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل في كل شيء

الباب الاول

الديمقراطية والاحزاب السياسية

الفصل الاول

الادوار التي مرت بها الديمقراطية

تميزت الحياة السياسية للمجتمعات الغربية - أوروبا وأمريكا - بان لا ديمقراطية بلا احزاب • ولعل من أهم السمات الرئيسة التي تتصف بها الحياة السياسية لكل من المجتمعين انما هو الديمقراطية وممارسة الاحزاب السياسية عملها هناك •

يقول شاتسنيدر في مقدمة كتابه (Party Government) انه «يجب أن نقرر بشكل قاطع ان هذا الكتاب قد خصص للنظرية التي تقول ان الاحزاب السياسية هي التي خلقت الديمقراطية ، وان الديمقراطية الحديثة لا يمكن التفكير فيها الا بمفاهيم الاحزاب» (١) •

ولقد لعبت الاحزاب السياسية - ولا زالت تلعب - اخطر الادوار على مسرح الحياة السياسية وأثرت تأثيرا عميقا اغوار بعيد الاثر في حياة المواطن الاوربي والامريكي •

ولكي تكون دراستنا للاحزاب السياسية دراسة كاملة ، لابد لنا من ان نتعرض الى الديمقراطية نظرا للعلاقة الوثقى التي تربطها بالاحزاب السياسية • ولذا فانه من الطبيعي ان نحيط علما وخبرا بالديمقراطية مستعرضين ادوارها متعقبين - بالبحث - تطورها الى ما وصلت عليه الآن •

وهكذا فاننا محكومون بطبيعة البحث سنقسم بحثنا للديمقراطية الى المواضيع

التالية :

١ - الديمقراطية عند الاغريق •

(١) وردت في كتاب أوستن رني - سياسة الحكم - ترجمة الدكتور حسن

علي الذنون - الجزء الثاني ، ص ١ •

- ٢ - الديمقراطية عند الرومان •
- ٣ - الديمقراطية عند العرب •
- ٤ - الديمقراطية في القرن الثامن عشر •
- ٥ - الديمقراطية الغربية •
- ٦ - الديمقراطية بالنسبة للدول النامية •

المبحث الاول

الفرع الاول

الديمقراطية عند اليونان

قبل البدء بالحديث عن الديمقراطية عند اليونانيين ، يتعين علينا تسهيلا للبحث ، أن نتعرف على ما يراد بكلمة (ديمقراطية) ثم ما هو تعريفها ؟

الديمقراطية كلمة اغريقية مركبة من كلمتين الاولى (ديموس) ومعناها الشعب ، و (كراتوس) ومعناها السلطة أو الحكم ، ولذا فان معناها (حكم الشعب) أو شكل الحكم الذي تكون فيه السلطة شعبية أو لصالح مجموع الشعب •

وكما يروى لنا التاريخ فان العالم القديم كان الحكم فيه حكما تعسفيا استبداديا • وكان سلطان الملوك مستمدا من الآلهة ، لذا ينبغي الخضوع لهم والادعان طاعة وتنفيذا لاوامرهم ظل الله في أرضه •

ومن الجلي الواضح ان الدعوى بان سلطة الملوك مستمدة من سلطة الآلهة ما هو الا بهتان وزيف لا يحتاج الى دحض أو نقض •

كذلك كانت المجتمعات الاولى تسيطر عليها الخرافات والاساطير والتي ساهم الكهان والسحرة كثيرا في ترويجها • وما اصباح السلطة بالصيغة الدينية وادخالها في معتقدات الناس الا تبرير لوجودها وبقائها •

ولقد حكم اولئك الملوك شعوبهم حكما غاشما قاسيا مستبدا ، كان الشعب فيه مثله مثل العبد بالنسبة الى سيده • وقدمت الشعوب انهارا من دماء قربانا لنوال حربتها ولاسترداد حقوقها المشروعة • فكان حصول الشعب على حقه متمثلا بالديمقراطية انما هو انتصار عظيم لارادة الشعوب وتمكينها لها لتمتع بحقها في حياة حرة كريمة قوامها المساواة والعدالة • ويروي لنا التاريخ ايضا كيف أن المدن اليونانية قد عرفت (الديمقراطية) التي كانت تقوم على اساس المشاركة المباشرة من قبل سكان المدينة في اتخاذ القرارات الحكومية • ولذا يمكننا القول انه لم يكن هناك (تمييز) بين طبقة الحاكمين وطبقة المحكومين • ولئن كان مكان الاجتماع يعتبر (برلمانا) مفتوحا للمواطنين لغرض المشاركة في اقرار وتدوير الشؤون العامة ، فان هذا الحق لم يكن عاما ولا شاملا • اذ كان يمنع العبيد والارقاء من حق المشاركة في تدوير شؤون المدينة وكذلك في اتخاذ القرارات العامة وكذلك كانت النساء أيضا ممنوعات من التمتع بهذه الحقوق •

وهكذا نجد ان تطبيق الديمقراطية ، على الرغم من اقتصارها على فئات دون أخرى ، كانت تعد - كما اسلفنا من قول - نصرا للشعوب التي كانت تعيش على شواطئ بحر آيجه وغيرها • اذ خاضت هذه الشعوب غمار حرب ضروس حامية الوطيس دفاعا عن حريتها التي سلبها حكام مستبدون غاصبون وانتزاعا لحقوقها التي اغتصبها امراء طغاة جائرون ولذا فان ما حققته الديمقراطية لهذه الشعوب - بعد ذلك الجهد الجهد - حريا ان يحرص عليها • وان كانت الديمقراطية التي جاء بها الاغريق لا تملك - من حيث التطبيق - العمومية أو الشمولية • ويدلنا تاريخ أثينا القديم على ان كبار فلاسفتها لم يكونوا مؤمنين بالديمقراطية • كان سقراط وحده مؤمنا بها • ولذا فان اولئك الفلاسفة الكبار وقفوا ضدها معارضين لها • وكن السفسطائيون اكثر المدارس اليونانية تهكما على الديمقراطية ودعاتها • كذلك كان (ارستوفان) يتخذ من الديمقراطية سبيلا الى الدعاية واضحاك الناس عليها ساخرا منها ومن سقراط !

ولقد أصاب الأخير من الشر شيء كثير ، جزاء إيمانه بها ، حتى استطاع
إعداؤه أن يرضوا عليه عقوبة الموت • كذلك حدث للوربيديس أن طرد من أثينا
لأنه من المؤمنين بها والداعين لها • هكذا كان حل أثينا وكذلك كان حال
الديمقراطية والداعين لها •

كانت دعوى (الديمقراطية) تسود أثينا مظهرها ولكن ظلت الطبقة الحاكمة
المستبدة تسيطر على المدينة عملاً وجوهراً •
ما تعليل هذه الظاهرة ؟ لعل أحسن تعليل لهذه الظاهرة إنما نجده في قول
الاستاذ العقاد فهو يقول :

« ان النظام الديمقراطي بدأ في اسبرطه ولم يبدأ في أثينا موطن الفلاسفة
وإصحاب الدراسات الفكرية ، وتقرير هذه الحقيقة مهم جداً للعلم بطبيعة النظام
الديمقراطي الذي نشأ في ذلك الزمن ، فهو نظام عملي قائم على ضرورات الواقع ،
وليس بالنظام الفكري القائم على توضيح المبادئ وتمحيص الآراء » (٢) •

وفي الحقيقة والواقع فإن النظام السياسي وكذلك (الدستور إنما هو يستجيب
في الأساس لاحتياجات وآمال الشعب ، لأنه يعكس الواقع الاجتماعي والاقتصادي ،
وبمعنى آخر فإن كل منظمة سياسية إنما هي مرآة تعكس حقيقة الظروف
الاجتماعية والاقتصادية للبيئة التي فيها تكون ولادته) (٣) •

ما تقدم فانه يمكننا القول ان كل نظام سياسي ينفرد بمزايا وصفات
وخصائص تغاير الأنظمة السياسية الأخرى • ومرد ذلك يعود - من غير ادنى
شك - الى طبيعة البلد وتراثه الحضارى وعوامل التاريخ والدين الى جانب الابنية
الاقتصادية والاجتماعية ، وعليه فلا امكانية لتطبيق نظام نجح في بلد على آخر •
لقد فشلت الديمقراطية الغربية عند تطبيقها في الدول النامية لأنها لم تكن تابعة من
الأرض التي عليها فرضت •

(٢) عباس محمود العقاد - الديمقراطية في الاسلام - دار المعارف بمصر -

١٩٦٤ ، ص ١٤ •

(٣) أطروحتنا للدكتوراه - النظام السياسي للجمهورية العربية المتحدة -

باريس ١٩٦٤ ، ص ١٢٢ •

أما وقد أحطنا - ولو قليلا - بالديمقراطية الاغريقية ، أن لنا ان نتساءل هل
عرفت المدن اليونانية تحت ظل هذه الديمقراطية الاحزاب السياسية ؟
الجواب على ذلك هو ان المدن اليونانية كانت تقسم الى طبقات :
طبقة ارستقراطية وطبقة فقيرة • أو كما أشار (أرسطو) الى ذلك حين
وصف الوضع الاجتماعي في اليونان أو المدينة اليونانية بانها مدينتان : مدينة
الفقراء ومدينة الأغنياء •

بل ان ارسطو قد ارجع اسباب الثورة الى الفقر حين قال :
« الفاقة انما هي أم الثورة » كذلك « فان اللامساواة ، بالنسبة لأولئك الذين
يبحثون عن المساواة فانها مصدر دائم للتغيرات » (١) •

ويحدثنا التاريخ اليوناني كيف ان الطبقات الارستقراطية قد أصابها الجزع
لشدة تأثير سقراط على الشباب آنذاك • وكيف انها دفعت الشاعر (ارستوفان)
الذي كان لسان الاحزاب الارستقراطية المحافظة الى ان يتعرض الى سقراط
بالهزاء والسخرية في قصصه وتمثيلاته • بمعنى ان هناك احزابا « ديمقراطية »
واحزابا اخرى ارستقراطية • ولكن من الواضح أيضا ان الاحزاب في اليونان
لم يكن لها التنظيم الحزبي المعروف في الوقت الحاضر ولكن كانت هناك (كتل)
من الرأي تمثل مصالح معينة منها طبقات الشعب وأخرى طبقة النبلاء وأهل
اليسار (اي الغنى) في المدن اليونانية •
كانت هذه الاحزاب ضعيفة التكوين والارتباط لانها تقوم في الاساس أما
بدافع الاعجاب بشخصية سياسية أو قائد حزبي •

Aristote - La Politique - Editions Gonthier - 1964, P. 178. (١)

الفرع الثاني

الديمقراطية عند الرومان

لا نستطيع ان نتحدث عن الديمقراطية عند الرومان • لان الرومانيين - كما هو معروف - كانوا جنود حروب وفتوح • فلم يهتموا كثيرا بالشعب لانه في نظرهم يمثل الطبقة الدنيا • ولقد سببت هذه النظرة قيام صراع في الحركات التي قام بها السوقة ضد الطبقة الحاكمة من النبلاء •

ثم ان الرومان كانوا شديدي الاهتمام بكل ما هو روماني فقط ، وكانت نظرتهم الى الآخرين نظرة استعلاء وازدراء •

ويحدثنا التاريخ كيف ان الرومان قد قاموا بغزو اينا قبل القرن الثاني للميلاد ، ولما كان حكم الرومان حكما ارسقراطيا ، فلقد كان دخولهم الى اينا ، ايذانا بخموف شمس الديمقراطية في اليونان •

ومع ذلك فان روما قد عرفت هي الاخرى احزابا سياسية • فكان هناك حزب النبلاء كما كان هناك حزب السوقة •

كذلك عرفت روما بعد ذلك حزبين هما الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري • وما قلناه بصدد الاحزاب في اليونان فانه ينطبق هو الآخر على الاحزاب في دولة الرومان •

أما وقد أحطنا علما بالديمقراطية في مهدها اليونان وكذلك الديمقراطية عند الرومان ، فانه آن الاوان لنا لتعرف على حياة العرب وديمقراطيتهم •

الفرع الثالث

الديمقراطية عند العرب

لا مرأ في ان (العائلة) تعتبر المجتمع الانساني الاول الى جانب كونها أول شكل للمجتمعات السياسية • والعرب قد عرفوا بعض مظاهر الديمقراطية المتمثلة في العائلة وفي القبيلة •

وفي الحقيقة فإن العرب قوم فطرة • عاشوا في الجزيرة العربية احرارا متقلين لا يجدهم حد ولا يمنهم قيد ، ولذا فإن الاعرابي يقدر حريته ولا يرتضي عنها بديلا • كذلك مارس العرب منذ أقدم العصور « نوعا من الديمقراطية العائلية ، ديمقراطية الارياف ، ديمقراطية الناس الذين تقوم حياتهم على رعى المواشى والزراعة في شكلها البدائي البسيط » (١) •

ومن الامور البديهية بمكان ، ان الحياة البدوية تلجئ العربي الى أن يطلب لنفسه معاشا وأمنا ، ولذا فإنه دائم التجوال والارتحال بحثا عن صيد أو فريسة وطلبا لمرعى حيث ترعى فيه الاغنام والابل •

يقول ابن خلدون في مقدمته : (ان العرب أبعد نجمة (٦) وأشد بداوة لانهم مختصون بالقيام على الابل فقط) (٧) •

وعلى الرغم من المظاهر الديمقراطية التي كان يحياها العرب ، والمتمثلة - كما اسلفنا من قول - في نظام العائلة والقبيلة ، فإن العرب عرفوا - كغيرهم - أنظمة حكم جائرة ومتمسطة • فهناك في جزيرة العرب قامت حكومات أو ممالك كان حكمها حكما تعسفيا مستبدا ، والمثل العربي المشهور يقول : (لا حر بوادي عوف) (٨) • ذلك ان الحاكم في هذا الوادي كان جبارا عنيدا ، خضع لارادته كل من كان يعيش في بطن هذا الوادي •

كذلك قصة المنذر بن ماء السماء (٩) ، الذي كان له يوم يؤس ويرم نعيم في السنة الواحدة • فاذا جاءه أحد في يوم نعيمه اغدق عليه نعمه وعطاياه ، وان

(١) ابراهيم حداد - الديمقراطية عند العرب - دار الثقافة ، ص ٥٠ •

(٢) نجمة بمعنى ارتحالا من الرحلة •

(٣) ابن خلدون - الجزء الاول - مطبعة التقدم ، ص ١٣٦ •

(٤) ورد ذكره في كتاب - الديمقراطية في الاسلام - للاستاذ عباس محمود

العقاد - دار المعارف ١٩٦٤ ، ص ٢٨ •

(٥) أحد ملوك اللخمين في العراق •

جاءه في يوم يؤسه قتله • وهذا أشد انواع الظلم إذ يسن انسان لنفسه - خضوعا
لاهوائها قاتونا - ويجعل انسانا سعيدا ويجعل انسانا اخر ا مقضيا عليه بالموت
دونما أثم أو جرم !!

ولقد عرفت الجزيرة العربية هي الاخرى ، الحروب ، اذ كنت القبائل
وهي دائمة الترحال والتجوال ، كثيرة الوقوع في صدام عنيف • ولعل من
أشهر الصراعات هي تلك التي كانت بين العدنانيين والقحطانيين وكذلك بين الاوس
والخزرج • وأسباب هذه الحروب انما تعود الى الصراع ما بين البداوة
والحضارة ، تماما كما حدث في التاريخ بالنسبة لليونانيين • وكذلك حروب
داحس والغبراء ويوم الفجار ويوم ذي فار •

وعلى ذكر الحروب فأن (العرب قد عرفوا في حروبهم تسيير الجيوش
بعشرات الالوف على اختلاف الاسلحة والاقسام • وقيل ان جيش الغساسنة الذي
حارب المنذر بن ماء السماء لم يقل عن • ٤ الفا بين راجل وفارس ، وكان في
الجيوش معاراكبوا الخيل وراكبوا الابل وحاملو السيوف وحاملو الرماح والضاربون
بالسهم والنبال والضاربون بالحرايب والحجارة^(١)) •

ان العربي - كما قلنا - متعلق بحريته حريص عليها وعلى كرامته ، ولما
كان طابع حياته التثقل والترحال ، كانت حريته شخصية وليست جماعية ، لانه
لا يستقر على حال • وهذا يعنى ان الديمقراطية عند العرب قبل الاسلام لم
تكن الا ظاهرة عرضية في حياتهم • حتى اذا بعث الله في أمة العرب نبيا منهم ،
هاديا ونذيرا ، تغيرت حياتهم وتبدلت • فلقد كان الاسلام نورا أضاء حياة
العرب بعد ان احتوتهم ظلمة الجاهلية •

(١) عباس محمود العقاد - عبقرية خالد - •

الفرع الرابع

الديمقراطية في صدر الاسلام :

لقد كان الاسلام عامل تغيير جذري في حياة العرب • اذ كان (ثورة اجتماعية) على الاوضاع الفاسدة والسائدة في دنيا العرب • ولقد اثر تأثيرا عميق الاغوار بعيد الاثر في تغيير المجتمع وكذلك الاخلاق والعادات ولا سيما العvisة القبلية •

فلقد قضى القرآن الكريم « أن اكرمكم عند الله أتقاكم » • كذلك جاء في الحديث الشريف « كلکم لآدم ، وآدم من تراب • ليس لعربي على أعجمي ولا قريشي على حبشي فضل الا بالتقوى » •

كذلك جاء القرآن بمبادئ تعتبر مثلا عليا في الديمقراطية الا وهي الشورى • اذ قضى الله تعالى « وشاورهم في الامر » ثم قوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » كذلك فيما يخص المسؤولية الفردية فالآيات القرآنية الكريمة : « كل امرئ بما كسب رهين » ولا تزروا وازرة وزر اخرى » « وأن ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى » قاطعة الدلالة في ترسيخ المبادئ الديمقراطية • كذلك قال الرسول (ص) : « كلکم راع وكل راع مسؤول عن رعيته » •

ولقد كان الرسول (ص) وعهده ، مثالين رائعين للديمقراطية • يشاور صحابته فيما ينوى عمله ويسألهم الرأي فيما يزعم القيام به حتى قال ابو هريرة : « ما رأيت أحدا قط اكثر مشاورة لاصحابه من الرسول (ص) » •

كذلك كان الخلفاء الراشدون (رضی الله عنهم) أمثلة صادقة وناطقة في الديمقراطية • فحين ترك الرسول العربي الدنيا ، لم يوص بمن يخلفه ، حتى كان (اجتماع السقيفة) الذي كان معه أن يذهب الامر الى سعد بن عبادة • فلقد قام الخلاف على من يخلف الرسول : المهاجرون أم الانصار ؟ ولا بد لنا من

التعرض - بايجاز - الى اجتماع السقيفة لماله من أهمية وكذلك لما له من علاقة بدراسة القوى السياسية في الاسلام *

اجتماع السقيفة :

بعد وفاة الرسول (ص) أستجبر خلاف لمن تكون الخلافة من بعده ؟ ولقد اجتمع الانصار في سقيفة بني ساعدة ، ليماءوا سعد بن عباد ، فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر وابو عبيدة بن الجراح (رضى الله عنهم) وكان النزاع ما بين المهاجرين والانصار نزاعا سلطويا ، بدليل أن أبا بكر حين ذهب ومعه عمر ابن الخطاب وابو عبيدة الجراح ، سألهم ما هذا ؟ قالوا منا أمير ومنكم أمير * فقال أبو بكر (منا الامراء ومنكم الوزراء) *

ولم يكن المهاجرون والانصار طرفي الصراع بل كان هناك ابو سفيان ، وهو - وبيته - معروف المكان والمال * كان أبو سفيان يريد ان يثير قتالا بين المسلمين ، ولكنه لا يستطيع أن يطلبها - اى الخلافة - لنفسه ، لذا فانه لما بويع أبو بكر على الخلافة ، فان هذه البيعة ، كانت ترضى رجلا كأبي سفيان * فحاول أن يبايع عليا (رض) لغرض في نفسه *

ولقد أدرك الامام علي ، ذلك فرده زاجرا * وفي ذلك يقول صاحب كتاب الكامل في التاريخ :

« لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر ، أقبل أبو سفيان وهو يقول : اني لارى عجاجة لا يطفئها الا دم ، يا آل عبد مناف ، فيم بكر من أموركم ؟ اين المستضعفان ؟ اين الاذلان ؟ علي والعباس ، ما بال هذا الامر في أقل حى من قريش ؟ ثم قال لعلي ابسط يدك أبايعك ، فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيلا ورجلا * فابى علي عليه السلام * فتمثل بشعر المتلمس :

ولن يقيم على خسف يراد به الا الاذلان غير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشبح فلا يبكي له أحد

فزجره علي وقال : والله أنك ما اردت بهذا الا القتة وأنك طالما بغيت
للإسلام شرا : لا حاجة لنا في نصيحتك « (١) » ♦

من هنا نستطيع القول مطمئين ، الى ان الحياة السياسية في صدر الإسلام
وبعد وفاة الرسول (ص) كانت تتمثل في جماعات وبيوتات منها :

- ١ - جماعة المهاجرين
- ٢ - جماعة الانصار
- ٣ - البيت الهاشمي
- ٤ - البيت الاموي

كان المهاجرون يرون أنهم أحق بالخلافة من غيرهم ، كما جاء ذلك على
لسان أبي بكر حين قال :

« ان الله بعث فينا رسولا الى خلقه وشهيدا على أمته ليعبده ويوحده وهم
يعبدون من دونه آلهة شتى من حجر وخبث ، فعظم على العرب أن يتركوا دين
آبائهم ♦ فخص الله المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه والايمان به والمواساة
له والصبر معه على شدة أذى قومهم وتكذيبهم اياه ، وكل الناس لهم مخالف
زآر عليهم فلم يستوحشوا لقله عددهم وشنف الناس لهم ، فهم أول من عبدالله
في هذه الارض وآمن بالله وبالرسول وهم اولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا
الامر من بعده ، لا ينازعهم الا ظالم وانتم يا معشر الانصار من لا ينكر فضلهم
في الدين ولا سابقتهم في الإسلام رضيكم الله انصارا لدينه ورسوله وجعل اليكم
هجرته (وفيكم جله ازواجه واصحابه) فليس بعد المهاجرين الاولين عندنا
بمنزلتكم فنحن الامراء وانتم الوزراء لا تفاتون بمشورة ولا تقضى دونكم
الامور ♦

اما الانصار ، فكان لهم رأى آخر ، جاء على لسان الهباب بن المنذر
الجموح :

(١) ابن الاثير - الكامل في التاريخ الجزء الثاني دار الفكر ببيروت
ص/ ٢١٤-٢١٤-٢١٥ ♦

« يا معشر الانصار !ملكوا عليكم امركم فان الناس في ظلكم ولن يجترىء
مجترىء على خلافتكم ولا يصدر (الناس) الا عن رأيكم • انتم اهل العز
والثروة وأولوا العدو والمنعة وذووا البأس والنجدة • وأنا ينظر الناس الى ما
تصنعون ولا تختلفوا فيفسد عليكم (رأيكم ويتقصص ويتقصص عليكم) امركم •
أي هؤلاء ألا سمعتم فمنا أمير ومنكم امير •

فقال عمر : هيهات ! لا يجتمع أثنان في قرن !

هكذا كان الوضع بعد وفاة الرسول (ص) المهاجرون يرون أنهم أحق
بالخلافة ولذا فالامارة لهم وللانصار الوزارة •

أما الانصار فكانوا يرون أنهم اكثر مالا ورجالا واقوى منعة وقوة ولذا فان
الامر بينهم وبين المهاجرين سواء : أمير منهم ومن المهاجرين امير •

هذا الخلاف الذي قام لاستخلاف الرسول الكريم كان بداية - في رأينا -
لظهور الجماعات والتكتلات في الاسلام • والشئ الذي ليس فيه شك ، هو ان
شخصية الرسول العظيم ، كانت جامعة لكل الناس من عرب وغيرهم من المسلمين •
لقد كان المسلمون حزب الله « ألا ان حزب الله هم الغالبون » • وكان
الكفار حزب الشيطان : يقول الله تعالى في كتابه العزيز :

« أن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب

السعير » (١) •

ولقد اشتدت الخلافات بعد وفاة الخليفة الاول ابو بكر (رض) والخليفة
الثاني عمر بن الخطاب (رض) اذ ظهر خلافات سياسية واضحة ، تعرض الناس
فيها للامان ومن هو من الصحابة احق بها • ولقد سقنا كل هذا الحديث عن
« السقيفة » لتبيان وجهات النظر المختلفة وهو بحد ذاته يصور لنا اجتماع الناس
(كأنهم في برلمان) للنظر في مبايعة أحد اصحاب (ص) للخلافة •

(١) القرآن الكريم - سورة الملائكة •

ولقد انتهى هذا الاجتماع بمبايعة أبي بكر الصديق • حيث قال كلمة بعد مبايعته وانها لدلالة قاطعة على روح ديمقراطية أصيلة :

أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن احسنت فاعينوني وان أسأت فقوموني • الصدق أمانة والكذب خيانة • والضعيف فيكم قوى عندي حتى آخذ له حقه والقوي ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله •

ثم يقول : أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم » كذلك حادثة انماذ جيش أسامة ابن زيد قاطعة الدلالة هي الاخرى على روح الديمقراطية التي تجيش بها نفس الخليفة أبي بكر اذ خرج ماشياً ودمشيعا هذا الجيش وأسامة راكب فقال له أسامة : يا خليفة رسول الله لتركن أو لانزلن فقال والله لانزلت ولا اركب ، وما علي أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله (٩) •

وكانت سيرة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) مثلاً للديمقراطية جديراً بان « يحتدى به ويقتدى » • فانه بعد ان تولى الخلافة قال :

(ألا من رأى منكم في اعوجاجا فليقومه) •

فقام اليه اعرابي قائلاً : والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا ، فقال عمر : الحمد لله الذي أوجد في العرب من يقوم اعوجاجي •

وقصته أبان واقعة (القادسية) المشهورة وهي ان البشير الذي يحمل أنتصار العرب المسلمين سأله عمر : من أين ؟ فأخبره • قال يا عبدالله حدثني قال : هزم الله المشركين وعمر يبخب معه ليسأله والآخر يسير على ناقته لا يعرفه حتى دخل المدينة ، واذا بالناس يسلمون عليه بأمره المؤمنين • قال البشير :

هلا اخبرتني رحمك الله انك أمير المؤمنين ؟ فقال عمر : لا بأس عليك يا أخي (٢) •

(١) ابن الاثير - نفس المصدر السابق - الجزء الثاني ، ص ٢٢١ •
(٢) ابن الاثير - نفس المصدر السابق - عدد ٧ ، ص ٣٣٢ •

أليس عمر بن الخطاب هو القائل : متى أستعبدتم الناس وقد ولدتهم
أمهاتهم احرارا ؟

والتاريخ يروى لنا أنه في السنة الثامنة عشر أصابت الناس مجاعة شديدة
وهو ما يعرف بعام الرمادة ، أشد فيه الجوع فاقسم الخليفة أن لا يأكل سمنا ولا
لنا ولا لحما حتى يحيا الناس وقال : أني أكره أن آكل اسرافا ، وكيف يعينني
شأن الرعية اذا لم يصبني ما أصابهم ؟

هكذا كان عمر راعيا مسؤولا عن رعيته • يعيش كواحد منهم يصيبه ما
يصيبهم • كان يخشى الله كثيرا حتى قال : (لو ان جملا هلك ضياعا بشطالفرات
لخشيت أن يسألني الله عنه) •

كذلك كان الامام علي بن أبي طالب (رض) • فقد نزل عند رأي الاكثرية
على الرغم من خطأها بقبول التحكيم اثناء النزاع بينه وبين معاوية بن أبي سفيان •
كذلك نزل ثانية عند رأي الاكثرية في أن يكون ممثله في التحكيم (أبو موسى
الاشعري) رغم علم الامام بضعف أبي موسى وقلة حيلته أمام دهاء عمر بن
العاص •

يقول جان جاك روسو ، الفيلسوف الفرنسي المشهور ، : « بانه لا وجود
لديمقراطية الحققة ، ربما كان ذلك ممكنا لو وجد شعب من الالهة ! ان الديمقراطية
لا تلائم طبيعة البشر » (١) •

وأود هنا ان اتف متسائلا : ترى لو ان جاك روسو قد اطلع على
التاريخ العربي الاسلامي وأحاط علما بسميرة الرسول (ص) والخلفاء الراشدين
ترى هل سيصر على قوله ذلك ؟

ان الديمقراطية في عهد الرسول وفي عهد صاحبيه (أبو بكر وعمر بن
الخطاب) هي ديمقراطية حقيقية علما بان العرب شعب من البشر وليسوا من
الالهة !

(1) Jean Jacques Rousseau-Contrat Social-Livre III Chapitre.

ولابد لنا من القول ان الديمقراطية التي جاء بها الاسلام لم تكن - كما رأينا - مألوفة عند العرب ، لان العرب قبل الاسلام انما عاشوا حياة قاسية كان الحكم فيها مستبدا وكانت الديمقراطية في حياتهم ظاهرة عابرة ان لم نقل نادرة !

ولابد لنا في هذا المقام ان نستشهد بقول الدكتور لوبون حين كتب قائلا : « ان التاريخ لم يعرف فاتحا أرحم من العرب » لانهم « في كل فتوحاتهم يطبقون النظم الديمقراطية في الحكم تطبيقا صحيحا فساووا انفسهم بالشعوب التي تغلبوا عليها وجعلوا الحرية والاخاء والمساواة شعارهم في ادارة الشؤون العامة » (١) ويقول كوستاف لوبدن (١٧) : « ان الفضائل الديمقراطية التي سهلت للعرب سبل الفوز والانتصار في فتوحاتهم ، صارت هي نفسها السبب في انحطاط دولتهم واضمحلالها ، فالشجاعة الى ما فوق التضحية والجدود باقضى الاستطاعة ، وحب الاستقلال والحرية الى درجة الانفة ، كانت فضائل ديمقراطية لازمة للعرب في بادىء الامر ، ثم تحولت الى نقائص فيما بعد ، فتعدد الرؤساء ، وذهبت التضحية أدراج الرياح في انقساماتهم ، وأوقعهم الجدود في الانحلال ، وحب الاستقلال والحرية الى درجة الانفة أوجد لهم دويلات متعددة ضعيفة ، فانقسموا على انفسهم ، وصار لهم في كل قطر أمير ، كما كانوا في عصر الجاهلية ، وهكذا أضحل سلطانهم » ♦

لقد جاء الاسلام ثورة على التقاليد والعادات التي كانت قائمة في الجزيرة العربية كذلك غير طبيعة البناء الاجتماعي والاقتصادى فيها ♦ كما عمل على تحقيق العدالة الاجتماعية دون ان تحتكر فئة او تتحكم أخرى ♦ فلقد رفع الاسلام مكانة العمل والعاملين كذلك أزال الاستغلال فهو دين الفقراء ♦
قال الله تعالى في كتابه العزيز :

(١) أبراهيم حداد - المصدر السابق - ص ٨١ .

(٢) أبراهيم حداد - المصدر السابق - ص ٨١ .

« لكي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » (١) •

كذلك حرم الربا ، لان فيه استغلالا فاحشا لحاجة الانسان الى المال •
وفي الحديث الشريف (من أحتكر طعاما اربعين يوما يريد به الغلاء فقد
برىء من الله وبرىء الله منه) •

يقول الدكتور طه حسين لو أن النبي (ص) دعا قريش الى التوحيد دون ان
يعرض للنظام الاجتماعي والاقتصادي ، ودون ان يسوى بين الحر والعبد وبين
الغني والفقير وبين القوى والضعيف ، ودون ان يلغى ما ألغى من الربا ، ودون
أن يأخذ من الاغنياء ليرد على الفقراء - أقول لو قد دعاهم النبي الى التوحيد
وحده دون أن يمس نظامهم الاجتماعي لاجابته كترتهم في غير مشقة ولا
جهد » (٢) •

لذا فأنه من الطبيعي أن يقاوم هذا الدين الجديد من قبل الطبقات الثرية
الخازنة للاموال المحكرة للارزاق • لذا كانت قريش ساخطة كل السخط
عليه • وما أجتمع هذه الطبقات التي تمثل (السراة والاغنياء من قريش) في
حرب (الاحزاب) ضد الرسول (ص) ألا دليل أقطع الدليل على وجود
الاحزاب ، ولكن لم تكن هذه الاحزاب على درجة متقنة من التنظيم كما هو
عليه الاحزاب في الوقت الحاضر •

بعد ان فرغنا من دراسة الديمقراطية عند العرب ، لا بد لنا من القول ،
انه في خلافة عثمان ولا سيما بعد مقتله ظهرت أحزاب سياسية تحرص على تغيير
السلطة كذلك بعد مقتل علي بن أبي طالب اذ ظهرت الفرق الاسلامية : المعتزلة
والشيعة والاسماعيلية والخوارج والمرجبة فهذه كلها تعتبر فرقا سياسية (احزاب)
لانها كانت تريد السلطة مدفوعة بشهوة التحكم •

(١) سورة الحشر •

(٢) الدكتور طه حسين - الفتنة الكبرى - عثمان - دار المعارف بمصر -

١٩٥٩ ، ص ١١ •

كذلك قامت الدعوة العباسية على اساس من التنظيم الحزبي ، ولقد كانت هذه الدعوة على درجة كبيرة من دقة التنظيم والضبط •

كذلك لابد لنا من القول انه عند انتهاء عهد الخلفاء الراشدين وقيام الدولة الاموية فان شأن الديمقراطية العربية الاسلامية قد أصابها ضعف وخمول ثم انتهت وجودا عند ظهور الاقطاع في أواخر العصر العباسي • وبعد هذا العصر خضع العرب الى سيطرة اجنبية فرضت عليهم احتلالا واستعبادا اورثهم الذل واصابتهم بسببه المهانة •

بعد ذلك ، يتعين علينا أن نبحث عن الديمقراطية (الغربية) التي بدأت بوادرها في الظهور في اوربا وامريكا في بداية القرن الثاني عشر ولكنها ديمقراطية من نوع آخر كما سنرى •

الفرع الخامس

الديمقراطية في القرن الثامن عشر :

نحن لا نريد في هذا الكتاب أن نبحث الديمقراطية بحثا تاريخيا ، وانما نريد أن نذكر صورها مع تحليلها في المجتمعات التي عرفتھا • فرأينا أن الديمقراطية في اليونان لم تكن عامة ولا شاملة ، وكيف ان الرومان فرضوا (ديكتاتورية) على شعب اليونان جعلت الديمقراطية محتضرة فيها • كذلك عرضنا بالذكر كيف ان الديمقراطية كانت في حياة العرب ظاهرة عابرة حتى اذا جاء الاسلام العظيم فانه اعطى العالم ديمقراطية شاملة وكاملة لانها تدعو الى المساواة والتوحيد الى البشر كافة دونما تمييز أو تفريق •

ولقد شهد الفكر السياسي محاولات متعددة للتوفيق بين الديمقراطية من حيث النظرية والتطبيق • ذلك ان المجتمعات ليست متشابهة وعليه وبالضرورة فان التطبيق يختلف من بلد لآخر تبعا لظروفه الاجتماعية والاقتصادية ومستواه الفكري والسياسي والى غير ذلك من العوامل الاخرى • ولقد ظهرت « نظرية

التمثيل « و « الانابة » حيث يقوم الشعب بانتخاب نوابه الذين يمثلون ارادة الشعب ، وتكون اعمالهم وكأنها صادرة من الشعب نفسه • وهكذا كان ميلاد البرلمان الذي عد في حينه ممثلا حقيقيا للشعب •

وفي الحقيقة والواقع فان (الصراع في اواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التسع عشر يدور ضد الحكم المطلق وكان في جوهره صراعا لتحقيق النظام البرلماني)^(١) •

وليس يغرب عن البال ، ان النظام البرلماني انما أوجد لغرض حماية الامتيازات الملكية كما يدلنا على ذلك تاريخ بريطانيا ثم تحول الى مجلس يمثل الشعب وقوفا في وجه الامتيازات الملكية وتحكم الملك نفسه • ويبدو ان فكرة التمثيل كانت مقبولة في حينها ، لان القرن الثامن عشر كان لا يزال يعرف الصراع ما بين الديمقراطية والحكم المطلق •

ولكن بعد ان رسخت اقدام الديمقراطية في كل من أوروبا وامريكا وانتصرت على الحكم المطلق تبين بان (ارادة الدول المستخلصة بواسطة البرلمان ليست بحال من الاحوال ارادة لشعب أو ان البرلمان لا يستطيع ان يعبر عن هذه الارادة لسبب بسيط هو ان الشعب لا يستطيع طبقا لداستير الدول البرلمانية ان يعبر عن أية ارادة الا في انتخابات البرلمان)^(٢) •

ولذا يكون قول جان جاك روسو محقا في مهاجمته للنظام البرلماني في بريطانيا حين يقول :

« ان الشعب الانكليزي يظن انه حر ، ولكنه يخطيء كثيرا فهو ليس حرا الا عند انتخابه اعضاء البرلمان وعندما ينتهى انتخابه لهم ، يصبح عبدا ، بل يصبح لا شيء • »^(٣)

(١) هانس كلسن - الديمقراطية ، طبيعتها وقيمتها - ترجمة علي الحمامصي - ١٩٥٣ ، ص ٣٧ •
(٢) هانس كلسن - المصدر السابق - ص ٤٣ ٤٤ •
(٣) روسو - العقد الاجتماعي الكتاب الثالث - الفصل الخامس عشر •

ان جان جاك روسو ينتهي بعد هذا ، الى وجوب اصلاح أو تقويم ما في الديمقراطية البرلمانية من اعوجاج ، وذلك بجعلها ديمقراطية مباشرة .

لقد تعثرت الانظمة الديمقراطية في الغرب ، لانها ما عادت تساير روح العصر وتواكب ظروفه ، لا سيما فيما خلقته الحرب العالمية الثانية من مشكلات ودمار ، وما حققه التقدم العلمي الهائل من انجازات ، بحيث بات من الضروري بمكان وجود دولة او نظام تساير أو يساير نظامها روح العصر الذي نحن فيه .

أن عصرنا الحاضر طابعه العلم والسرعة .

ولا بد للدولة اذن ، من أن تتدخل في تنظيم شؤون المواطنين اجتماعيا واقتصاديا عند ذاك تكون فكرة الديمقراطية التي اقترنت بوجود جهاز تنفيذي ضعيف ، لا يمكنها - اى الديمقراطية - العيش في هذا الجو الجديد !

وهذا ما يقودنا الى بحث الديمقراطية في الغرب :

الفرع السادس

الديمقراطية في الغرب :

لو ألقينا نظرة على الانظمة السياسية المعاصرة ، لما وجدنا في العالم شعبا يحكم نفسه بنفسه ، فيما عدا اربعة أو خمسة ولايات في سويسرة اذ يباشر الشعب هناك الحكم بانفسهم (ديمقراطية مباشرة) .

واننا لو اوجدون في الانظمة الديمقراطية التي تتبع الانتخابات طريقة شرعية الوصول الى السلطة ، فئة أو طبقة هي التي تحكم وحدها ويكون الشعب محكوما من قبلها .

ولقد كتب احد الكتاب الفرنسيين عام ١٨٨٩ ، في الذكرى المئوية الاولى للثورة الفرنسية قائلا :

« ان الدول الديمقراطية انما هي حكومة النخبة . ان مستقبل الحكومة الديمقراطية مرتبط بالشرط الصريح التالي الا وهو ان الجماهير الديمقراطية

تكتسب بالتربية والممارسة المؤسسات الحرة وبعد النظر اللازم لاختيار احسن العناصر وأسلمها وأكثرها حيوية لتعطيها السلطة والحكم^(١) .

هكذا الديمقراطية في حقيقتها حكومة نخبة ، وليست حكومة شعب !

وهناك مثال من بريطانيا ، الدولة التي أسهمت في ارساء وترسيخ القواعد الديمقراطية الغربية ، نجد ان نظام الانتخاب قد يأتي بحزب نال اصواتا أقل من الحزب الاخر ، غير ان الاول فاز بعدد من المقاعد البرلمانية أكثر . كما هو الحال في انتخابات عام ١٩٥١ حيث فاز المحافظون بأغلبية المقاعد الانتخابية ولكن بأقلية عددية . معنى هذا ان أوئك الذين صوتوا في بريطانيا الى حزب العمال كان عددهم يزيد كثيرا على الاصوات التي نالها الحزب المحافظ . أن في هذا المثل دليلا قاطعا على اهدار ارادة الامة ، وان الحكم لا يمثل ديمقراطيا الشعب البريطاني ، طالما ان الديمقراطية تعنى حكم الشعب أو كما عرفها ابراهام لنكولن (حكم الشعب من الشعب والى الشعب) . الديمقراطية كما يفهم منها ، ينبغي أن تكون السلطة فيها بأيدي اولئك الذين ارتضاهم الشعب نوابا وممثلين عنه . فهنا نجد ان السلطة ملك الحزب الحاكم أي ملك الوزارة الحاكمة وليس البرلمان ولذا فانه يمكننا القول مع (رمزي موير) من ان الحكم في بريطانيا يكاد ان يكون حكما ديكتاتوريا لمجلس الوزراء . اذ ان السلطة قد انتقلت من الناج الى البرلمان ، ومن البرلمان الى الحكومة حيث فرضت الاخيرة ديكتاتوريتها^(٢) . ان الانظمة السياسية على اختلافها أدعت - ولا تزال تدعي - بانها انظمة ديمقراطية . وانها كنظام أو كدولة تمثل اصدق تمثيل وتعبّر اصدق تعبير الشعب . ولكنه ادعاء فارغ ، حتى الانظمة الديكتاتورية وعلى الرغم من بعدها عن الديمقراطية فانها تدعى انها الممثلة الحقيقية للديمقراطية !

(١) وردت في كتاب الديمقراطية - جورج بوردو - ترجمة سالم نصار -

١٩٦٣ ، ص ٥٦ .

(2) Maurice Duverger - Droit Constitutionnel et institutions Politiques P. 238.

ان الدولة - كما يقول الفيلسوف (نيتشه) في كتابه (هكذا تكلم زرادشت) اسم يطلق على اقل الوحوش حساسية • يكذب بكل برود ، وفمه يدع هذه الاكذوبة تخرج منه : « انا الدولة • انا الشعب • »!

ان الطابع المميز للانظمة السياسية المعاصرة انما هو « شخصية السلطة » حيث يتربع شخص واحد على السلطة ، وهو الذي يدير دفة الحكم • سيان الامر في الانظمة الديكتاتورية أو الديقراطية أو الاشتراكية • فهتلر وستالين وتشرشل وكندي وديغول وماوتسى تونغ واديناور وجونسون وبرجينف ما هم الا ادلة ساطعة على ما نقول •

والامر الذي ليس فيه شك ، هو ان ظروف ما بعد الحرب قد اسهمت الى حد كبير في جعل السلطة مركزية حتى في الانظمة الديمقراطية البرلمانية • ذلك ان عالم ما بعد الحرب وما صاحبه من تقدم علمي هائل الى جانب المشكلات الكبرى الاقتصادية والاجتماعية التي خلفتها الحرب ، جعلت الديمقراطية عاجزة عن ايجاد الحلول اللازمة لها ، ولذا فان السلطة التنفيذية اليوم في كل الدول بما فيها الدول الديمقراطية اقوى من السلطة التشريعية على الرغم من ان الاصل هو العكس • ذلك ان الديمقراطية تعنى ان السلطة التنفيذية ضعيفة وان السلطة كل السلطة انما تكون بيد السلطة التشريعية • ولكن الظروف القاسية والضرورات العملية في عالم ما بعد الحرب قضت قيام حكومات فعالة ودائمة (أي مستقرة) • وهذا ما يفسر لنا شخصية السلطة في الانظمة السياسية •

لقد تعثرت الديمقراطية كثيرا وفي اكثر البلاد الديمقراطية وعجزت عن ايجاد الحلول للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي خلفتها الحرب بأثرها الرهيبة واحداثها القاسية • هكذا نشلت الديمقراطية في فرنسا • وفشلت من قبل في المانيا وايطاليا وفي غيرها •

ففي فرنسا وفي ظل الجمهوريتين الثالثة والرابعة ، ما جاءت الى السلطة حكومة تمثل رغبات الشعب وتعبّر عن اهدافه وانما جاءت حكومات (محترفة)

نتيجة ائتلاف الاحزاب السياسية الفرنسية فيما بينها للفوز في الانتخابات ، ولقد كان للاحزاب السياسية الفرنسية نصيب الاسد في سوء الاوضاع السياسية والاقتصادية وكذلك عدم استقرار الحكم وازماته • هذه الاسباب وكذلك الثورة الجزائرية المعجزة عجلت بانتهيار الجمهوريتين الثالثة والرابعة وقيام الجمهورية الخامسة تحت زعامة الجنرال ديغول •

ولسنا نبعد الحقيقة ان قلنا ، بان الديمقراطية الغربية ما هي الا ديمقراطية رأس المال • فاصحاب رؤوس الاموال والاعمال هم وحدهم الذين يتمتعون بالحرية : حرية الانتخاب والتصويت وكذلك حرية ابداء الراى والتنقل •

ان امتلاك وسائل الراى والتعبير من قبل ذوي المال انما هو اهدار باهر الوضوح للديمقراطية • ذلك ان الشعب لا بد له من توضيح آرائه وكذلك احكامه في المشكلات والمعضلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وسيله في ذلك وسائل الاعلام • ولما كانت الاخيرة مملوكة الى فئة لا تمثل الشعب ولا تنتمي اليه فان هذا الامر يقضي على الديمقراطية • ولذا فان الديمقراطية الغربية ديمقراطية في مظهرها ارستقراطية في جوهرها •

ولما كان المجتمع الغربي - الاوربي منه والامريكي - يقوم على أساس مادي • وان العلاقات المادية هي التي تتحكم فاننا نتساءل ما قيمة السفر لمواطن امريكي أو أوربي اذا لم يجد في نفسه القدرة على شراء بطاقة السفر كما يقول احد كتاب الغرب ؟!

ثم لئن كانت الديمقراطية تعني حكم الشعب من الشعب والى الشعب ، ترى أين هي هذه الديمقراطية في امريكا وهناك عشرون مليوناً من الملونين يعانون أشنع معاملة عرفها القرن العشرين ؟ ان الديمقراطية تعنى المساواة وفي امريكا لا مساواة بين مواطن امريكي أبيض ومواطن امريكي اسود • كذلك الغرب مجتمعا ، الذي أوجد في قلب امتنا العربية (دولة) غريبة عنا وعن أرضنا ضاربا قواعد العدالة والاعراف الدولية والضمير الانساني ، لالشي سوى ان يستمر

سلطانه الاستغلالى الجشع على امتنا العربية وان يتحكم بخيراتها استغلالا واستثمارا بشعين ♦

ان ديمقراطية الغرب - بعد كل هذا - ديمقراطية رأس المال الجشع المستغل الذى لا يعرف عدلا ولا حقا ولا مساواة ♦

لئن كانت هذه حال الديمقراطية في المجتمعات التي فيها نشأت وقامت ♦ ترى كيف هي اذن في المجتمعات النامية ؟

وهذا ما يقودنا الى بحث موضوع الديمقراطية في الدول النامية ♦

الفرع السابع

الديمقراطية في الدول النامية

لعل من المفيد ، وقبل الشروع في الحديث عن الديمقراطية في الدول النامية لمعرفة صلاحها نظاما سياسيا ونجاحها نظاما اجتماعيا ، أن نتعرف على العوامل التي ينبغي توافرها في مجتمع ما ليتسنى له تطبيق الديمقراطية ♦ أو بعبارة أخرى ان في كل مجتمع عوامل تلعب دورا أساسيا في استقرار الاوضاع السياسية والاجتماعية فيه ♦

ونحن هنا نحاول دراسة العوامل التي تسهم مساهمة بارزة وفعالة في عدم استقرار الاوضاع السياسية في الدول النامية ♦

في حقيقة الامر يمكننا اجمال هذه العوامل بما يلي :

- أ - العوامل الاقتصادية ♦
- ب - العوامل الاجتماعية ♦
- ج - انعدام مفهوم الامة والدولة ♦
- د - المستوى الفكري والثقافي ♦
- هـ - جهاز اداري متكامل ♦

أ - العوامل الاقتصادية :

الامر الذي ليس فيه ريب هو ان للعوامل الاقتصادية اثرا عميق الغور في

استقرار المجتمع او عدم استقراره • وقولنا هذا ليس بجديد
ان المجتمع المتخلف اقتصاديا غير قادر على اشباع حاجات الافراد وذلك
لضعف الانتاج القومي وكذلك فان حالة التخلف تعنى ان الدخل القومي للفرد
ضعيف ، وان الواردات تفوق الصادرات وان البلد يعتمد على الزراعة في اقتصاده •
كل هذه العوامل تؤثر تأثيرا كبيرا في الاوضاع العادة للبلد • بل انه يساعد على
خلق جو تتحكم فيه قلة مالكة في كثرة معدمة • وهذا عامل أساسي ورئيس في
الصراعات والمشاحنات التي تفضي الى عدم استقرار الاوضاع قطعا وهذا بدوره
يبعد من غير ادنى شك تطبيق الديمقراطية في المجتمعات النامية •
ان الثروة بحد ذاتها سلاح سياسي رهيب ولكن آثارها غير مباشرة •
وقديما يقول المثل : (المال سلطان !) • غير ان هذا السلطان غير منظور كما هو
الامر مثلا بالنسبة للجيش حيث تستطيع فرق منه أن تغير النظام السياسي القائم •
ولئن عرفت المجتمعات المتقدمة أهمية المال فان المجتمعات المتأخرة تعرف هي الاخرى
اهميته ايضا • فمن يمتلك الثروة يمتلك السلطة ايضا •
ففي المجتمعات الزراعية ، والتي هي حالة الدول النامية ، يكون مالكو
الارض خلف السلطة السياسية يمارسون عليها تأثيرهم •
وفي المجتمعات الصناعية نجد ان اصحاب المصانع هم خلف السلطة السياسية
حيث يمارسون تأثيرا عليها •
وكلما كان المجتمع ضعيفا في اقتصاده ، كلما لعبت عوامل عدم الاستقرار
آثرها الملحوظ وغير الملحوظ في المجتمعات •

ب - العوامل الاجتماعية :

يلعب البناء الاجتماعي - هو الآخر - دورا اساسيا في استقرار المجتمع أو
عدمه • ويحدثنا التاريخ السياسي لاوروبا كيف ان الاحزاب السياسية المحافظة كانت
تواجهها صراعا ومنازعة أحزاب الاحرار السياسية • وكيف اورث هذا الامر
صراعا اجتماعيا ذلك ان الاحزاب المحافظة انما تمثل طبقة اجتماعية معينة وكذلك
احزاب الاحرار تمثل طبقة معينة •

هذا الصراع انما هو ترديد للصراع الذي كان قائما بين الطبقات
الارستقراطية والطبقات البورجوازية ♦

وليس من شك ان الطبقات الاجتماعية المختلفة تفعل فعلها المؤثر في استقرار
المجتمعات ♦ ذلك ان التفاوت الاجتماعي سبيل يقود الى الصراع ، ولا يمكن تطبيق
الديمقراطية ما دام في المجتمع صراع قائم ♦

ولقد قال الاشتراكي الهولندي (فان كول) (١) :

« بانه لا يمكن للديمقراطية الحقنة أن تستقر حتى ينتهي الصراع » ♦
ولقد كان لظهور الطبقة العمالية على المسرح السياسي أثر واضح القسما
في نشوء احزاب اشتراكية احتلت مكانة احزاب الاحرار ♦

ان كثيرا من الاحزاب السياسية نشأت لانها تعبر تعبيرا اصيلا عن واقع
اجتماعي معين ♦ ففي لبلاد العربية مثلا وأبان الاحتلال التركي ظهرت احزاب
تدعو الى الاستقلال ، كذلك الامر في ظل الاحتلال الغربي للامة العربية ، فان
احزابا كثيرة قامت تدعو لاستقلال الاقطار العربية ، حتى اذا ما استقلت بعض
الاقطار قامت احزاب تدعو الى (الوحدة العربية) ومن ثم ، ونتيجة للتخلف
الاجتماعي للامة العربية ظهرت احزاب تدعو الى الاخذ بالاشتراكية ♦ كذلك
ينطبق القول على الاحزاب الفلاحية أو المزارعين ♦

ان هذه امثلة ساطعة تقطع باهمية العوامل الاجتماعية واثرها في تشوؤ
الاحزاب التي هي سمة من ابرز سمات تطبيق الديمقراطية كما اسلفنا من قول ♦
ولا بد هنا من القول ان العوامل الاقتصادية والاجتماعية متداخلة الى درجة لا
تسمح بالانفصال بينهما ♦

ج - الامة والدولة :

لا نكاد ان نتبين في المجتمعات النامية وحدة الامة ولا مفهوما حقيقيا للدولة ♦
ذلك ان هذه المجتمعات ، محكومة بعوامل التخلف والجهل والمرض ، نجد ان

Robert Michels - Politica! Parties, 1959. P. 42.

(١)

فيها من الاسباب التي تدعوها الى الفرقة اكثر مما تدعوها الى الوحدة • فلا زالت فكرة « العشيرة » أو « القبيلة » هي السائدة • ولو أتيح في بلد نامي الحق في تشكيل منظمات حزبية لوجدنا كل رئيس قبيلة زعيما لحزب سياسي • ذلك ان في هذه المجتمعات عوامل مختلفة منها تتعلق باختلاف السكن ومنها دينية واخرى اجتماعية وسياسية تجعل مفهوم الدولة والامة غائبين فيها •

فلكم اسهمت الاختلافات الاجتماعية والفوارق المذهبية وكذلك الصراعات الاقليمية في ضرب كل فكرة ديمقراطية • ان الديمقراطية لا بد لها لكي تعيش في مجتمع من توافر عنصري المساواة والحرية • ولما كانت « الدولة » في الدول النامية انما تأتي لتحقيق مصالح معينة لفئة دون اخرى فان ذلك يبطل الديمقراطية ويشلها الى حد بعيد •

ان على الدولة في الدول النامية ان تكون عامل وحدة لا فرقة ، توجه الى معالجة التناقضات الاجتماعية وتقتضي على النساد وتعطي كل ذي حق حقه ، لا أن تغدق الى حد الاشباع الى من يلتقى معها في مذهب أو قربي !
ان النظام السياسي ينبغي ان يتوجه الى الناس كل الناس لا ان يمايز بين فئة واخرى •

د - العامل الثقافي والفكري :

تلعب « الثقافة » دورها الكبير في حياة الشعوب • ومن الامور البديهية بمكان ان لكل شعب ثقافة خاصة به ، غير ان الفكر الانساني واحد • ولذا فانه ينبغي في الثقافة ان تكون ايجابية ومفتوحة بقبولها الافكار الرائدة الجديدة • ان « الانغلاقية الفكرية » خطر ينبغي العمل على وأده • ذلك اننا نحيا عالما احدائه متشابهة ومشكلاته متقاربة وتطلعاته واحدة •

فلا بد لكل امة ان تحيا ثقافتها وان تعمل على وصل ما انقطع مع تراثها الحضارى ، لان الامة لا يمكن لها ان تعيش دون دأى • وعليه فالثقافة عامل وصل وبالتالي تفتح تفاعلا مع الفكر الانساني الذي له صفة الشمول •

واهمية الثقافة واضحة لكل ذي عين ولب • ذلك انه لا بد للمواطن لكي يعلم ما له من حقوق وما عليه من واجبات ان يدرك ما تعنيه صفة « المواطنة » هذه • فلا معنى لحق الانتخاب مثلا اذا كان الشعب اميا جاهلا تسيطر عليه المشاكل المعيشية ولذا ينبغي لكي يمارس المواطنون حقوقهم من المام بالقراءة والكتابة ومن مستوى ثقافي معين حتى يستطيع أن يعلم ماهية الحقوق وماهية الالتزامات وكذلك حتى يستطيع التمييز بين ما هو صالح وما هو فاسد • ان المستوى الثقافي لشعب ما ، يلعب دورا بالغ الخطورة ، تفهما للمشكلات والعمل على حلها ولذا فان الرأي العام يستطيع ان يكون قوة ضاغطة في توجيه الحكومة الى ما يحقق رغبات الناس •

ان الديمقراطية السياسية في مجتمع متخلف ، لا تعنى للفلاح أو العامل شيئا يذكر • اذ ان اهتمامات هؤلاء العمال والفلاحين انما تنصب على الامور الحياتية اولا واخيرا • وعليه لا بد من تلاحم الديمقراطية الاجتماعية مع الديمقراطية السياسية في المجتمعات النامية • يقول البرفسور بوردو بان الديمقراطية السياسية تتطلب من المواطن انكار ذاته ، وتجاوز محرقاتها على مستوى الافكار العامة ، وتحل المنازعات التي تخلقها بمناقشات فكرية اكااديمية •

اما في الديمقراطية الاجتماعية فالامر مختلف تماما : ان وضع الانسان الواقعي يرتبط بالقرارات المتخذة ، وكذلك اطمئناته المادي ومستوى معيشته والفرص المتاحة لاولاده «(١)» •

هـ - جهاز اداري متكامل :

ان الدولة المتخلفة اقتصاديا واجتماعيا تفتقر قطاعا الى الفنيين والى اصحاب الكفاءة والخبرة والاختصاص لاشغال الوظائف العامة ، فالدولة محكومة بضعف مستواها الثقافي والذي بدوره يؤدي الى ندرة الجامعات وقلة المدارس التي

(١) جورج بوردو - المصدر السابق - ص ٦٢ •

تسبب من غير ادنى شك قلة في المتخصصين ، ولذا فإن الاجهزة الادارية في الدولة النامية بسبب من ضعفها ، لا تستطيع ان تكون في مستوى المسؤولية لمواجهة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفنية • ذلك انه يشترط في الاجهزة الادارية ان تكون اجهزة (خدمات) وهذه الاجهزة تحتاج الى طاقات بشرية متخصصة حتى تستطيع ان تؤدي أعمالها في مختلف الاغراض التي تهدف الدولة الى تحقيقها وبالتالي تقديمها الى المواطنين •

ولما كنا نعلم ، ان الدول النامية يعمها الفساد ويستشري فيها المرض وينتشر فيها الفقر والجهل • فانه بات من الضروري وجود جهاز حكومي متكامل مقتدر - علميا واداريا - لمواجهة مشكلات التخلف • بمعنى انه لا بد من وضع الرجل الصحيح في المكان الصحيح •

ولا بد من حكم مستقر قادر على تقديم الانجازات والمكسبات ، لانه بدون الاستقرار لا تقدر اية حكومة ، لا سيما في الدول النامية والتي من طبيعة مجتمعتها كونها غير مستقرة ، ان تقوم باعمال ايجابية مثمرة • ان الدعوى بانها ليس للعلم أو المعرفة أثر في اعطاء الوظائف العامة وانما تعطى للثوار ، دعوى خطيرة ، ذلك ان الثوري ينبغي أن يكون مدركا لواقع بلده ولظروف مجتمعه • ولما كان المجتمع الناهي فقيرا برجاله ، لذا وجب وضع الرجل الكفوء في المناصب العامة • ولا بد من توافر عناصر معينة حتى يكون الرجل صالحا أو صحيحا ليوضع في المكان الصالح أو الصحيح ، وهذه هي :

١ - العلم •

٢ - الايمان •

٣ - النقاء الثوري •

ولقد كتب جول فراي يقول (١) :

» ان حكومة الديمقراطية الواسعة المتعظمة للسلام والعمل ، لا يمكن ان تكون

(١) جورج بورديو - المصدر السابق - ص ٥٤ •

سلسلة من الاعمال المسرحية • انه ليس بالامكان القيام بثورة كل يوم » •
ان استقراء الاوضاع في الدول النامية ليدل لنا وبوضوح ، على فشل الديمقراطية
الغربية التي جاءنا بها الاستعمار • ذلك ان الديمقراطية الغربية انما تعني المحافظة
على الاوضاع القائمة من غير تحويل أو تبديل • ولقد كن اقتداء الدول النامية
بالنظمة الغربية سببا من أهم الاسباب في فشل الديمقراطية • ذلك لان الدول
التي اتتت بالانظمة الغربية لم تلتفت كثيرا - جهلا وعماية - الى اختلاف البنية
الاجتماعية بينها •

فلئن طبقت الديمقراطية في الدول الغربية ، فان ذلك حدث بعد تغييرات
جوهرية في البناء الاجتماعي والاقتصادي والسياسي • في حين ان المجتمعات النامية
لم يجبر على الكيانات الاقتصادية والاجتماعية أي تغيير أو تطوير • ان دول الغرب
قد ارتضت بما وصلت اليه من تقدم وحرصت ان تقف عنده • ولذا فان
الديمقراطية الغربية تساعد الى حد كبير المحافظة على الاوضاع في الدول الغربية،
بينما تطبيق الديمقراطية الغربية في الدول النامية يعنى استمرار الفساد وديمومة
سوء الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، وعليه فان هذه الدول النامية بحاجة الى
ثورة لقوم بعملية التغيير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لا ان تتبع الانظمة
الغربية عماية و جهلا ودون ادراك لها •

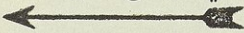
ولقد كتب البروفسور (فون ميسز) في هذا الصدد قائلا :

« ان الديمقراطية لا تعنى فقط انها غير ثورية ، بل انها تعمل وبالضبط على
ان تتحاشى الثورة » (١) • ولما كانت الاوضاع في الدول النامية تستدعي التغيير ،
لذا فان الديمقراطية الغربية لم ولن تنجح في معالجة مشكلات المجتمع النامي

Ludwig V. Mises. Le Socialisme, 1952, P. 82.

(١)

ولعل من المفيد والمناسب في وقت معا ، ان نشير الى ان الزعيم الهندي الراحل
جواهر لال نهرو له رأي يقارب الفكرة التي سقناها اعلاه اذ يقول : « أننا نريد
القضاء على اوجه التباين الاقتصادي بين فئات الشعب واننا نرى ان هذا التباين
سيزداد حدة اذا عالجناه بالحلول الرأسمالية » ثم يقول في موضع اخر « ولما



والثورة بعدها هي السبيل القويم لضرب الاقطاع والقضاء على الفساد وسوء
الايوضاع فيها مع الاخذ بالاشتراكية العلمية بتطبيقها الذي يتماشى واوضاع كل
بلد وظروفه ومثله وقيمه الحضارية •

« ان التقدم العلمي الهائل ، بعد الحرب العالمية الثانية ، والتي كانت على
رأسه روسيا السوفيتية ، قد أظهر للدول النامية ان « ان الاشتراكية » وليست
الديمقراطية ، انما هي الطريق الوحيد للتقدم » (١) •

وفي الحقيقة والواقع ، فان مجتمع الاشتراكية لن يتحقق بين عشية وضحاها •
بل لابد من العمل الدؤب المستمر ذلك ان العصا السحرية التي كانت مسخرة
- بأمر الله سبحانه وتعالى - للنبى موسى عليه السلام ، لم تعد موجودة ، لتقوم
باجتثاث الفساد • وعليه لابد من أناس يؤمنون بالاشتراكية مستعدين للتضحية
وانكار الذات في سبيل تحقيق مجتمع الكفاية والعدل • ان قيمة المبادئ انما هي
برجالها الذين بها يؤمنون !

يتبين لنا مما تقدم ، ان الديمقراطية الغربية قد فشلت في المجتمعات النامية ،
ولما كانت فكرة الديمقراطية مقترنة بوجود الاحزاب ، فانه يتعين علينا ان نتساءل:
هل الاحزاب السياسية ضرورة أو لا ؟ هذا ما سنحاول الاجابة عليه فيما يلي
من صفحات •

المبحث الثاني

هل الاحزاب السياسية ضرورة ام لا ؟

يتعين علينا قبل الاجابة على هذا السؤال ان نفرق بين نوعين من المجتمعات :

كانت حاجتنا الملحة تتطلب منا ان نعالج مشاكلنا الاجتماعية فأنا نحتاج الى تبني
ما يمكن ان يدعى بالحل الاشتراكي ، ودون ان يكون هذا الحل عقائديا مترمنا •
هذه الفقرات مقتطفة من كتابه - اراء في قضايا الساعة - ترجمة مروان الجابري
- ١٩٥٩ صص ١٢٠-١٢١ •

(١) رسالتنا للدكتوراه - المصدر السابق - ص ١٣٠ •

أ - مجتمعات متقدمة ♦

ب - مجتمعات نامية ♦

فني الغرب - المجتمعات المتقدمة - نرى ان الاحزاب السياسية غدت ضرورة لازمة للحياة السياسية فيها ♦ بل انها اصبحت طابعا مميزا لها فلا احزاب بلا ديمقراطية ولا ديمقراطية بلا احزاب (١) ♦

ولرب سائل يسأل لماذا هذه الظاهرة في الغرب ؟

الجواب على ذلك سهل وميسور ♦

ذلك ان المواطن في عالم الغرب قد ساعدته الظروف الاجتماعية والاقتصادية في تحرره من العوز والحاجة وانطلاقه - تخلصا - من قيود الجوع الكافر الذي لا يرحم (٢) ♦

فالمواطن الغربي آمن ومطمئن ♦ اذ ما عادت حاجات يومه ولا السعي من اجل اكتساب رزقه تشغله أو تؤزق فكره ! ذلك ان هذه الدول قد قطعت اشواطا بعيدة في التقدم وغدت حياة المواطنين رفهة ومترفة ، وهذه نتيجة طبيعية لما يصيب المواطنين من دخل محترم يكفي لسد حاجاته بل ويفيض !

هذه الحياة المستقرة التي لا يهددها شبح الحاجة ولا يقلقها كابوس الاملاق تجعل المواطن ، وهو مطمئن ، حريصا على التمسك بحريته التي تضمنها له الديمقراطية السياسية لذا فان الشعار في الغرب : الحرية اولا ولا شيء غير الحرية !

ان مجتمعا مستقرا ، الحياة الكريمة موفورة ، وشبح الفقر البغيض بعيد ، كل ذلك يدفع المواطنين الى الاهتمام بالشؤون العامة والحرص على حريتهم ما وسعهم الى ذلك سبيل ♦

(١) يرى البرفسور كلسن بانه (حقا لوهم أو مكر ورياء أدعاء ان

الديمقراطية ممكنة دون أحزاب سياسية) أنظر المصدر السابق ، ص ٢٤ .

(٢) روى في الحديث الشريف قول الرسول (ص) : « كاد الفقر أن يكون

كفرا » .

أما المجتمعات النامية (المتخلفة اقتصاديا) فإن المشكلات الحياتية هي الغالبة على كل اهتمامات المواطنين ♦

ولابد لنا في هذا المقام من التعريف - ولو بصورة سريعة وموجزة - لظاهرة التخلف ♦ فلأصل ان الدول النامية انما اقتصادها يعتمد على الزراعة وليس فيها صناعات ثقيلة ، وهذا ما يؤدي الى عجز الانتاج القومي عن سد حاجات السكان ، الذي هو الاخر يكون عاملا يميز الدول النامية من غيرها الا وهو زيادة السكان فيها ♦ وهذا يؤدي بدوره الى ان دخل الفرد فيها قليل لا يكفي ♦ ثم ان ميزانية الدولة غير متوازنة نتيجة تفوق ميزان الواردات على ميزان الصادرات واخيرا تعتبر الدول النامية اسواقا استهلاكية للبضائع الاجنبية الى جانب انعدام (الادخار) في الدول النامية ♦

فمجتمع بمثل هذه الصفات ، تكون المشاكل الحياتية والمعاشية لها المكان الاول والقدح المعلى من اهتمامات سكانه ثم تكون الحرية السياسية في المرتبة الثانية ♦ وهذا بدوره يؤدي الى أن وجود الاحزاب السياسية ليست على جانب من الضرورة القصوى في المجتمعات المتخلفة اذ انها قد تؤدي الى ان تكون حجرة عثرة تحول دون انطلاقها من حالة التخلف الى حالة التقدم ♦

فمن المعروف ان في المجتمعات التي فيها تفاوت طبقي الى جانب ضعف في اوضاعها الاقتصادية والفكرية فان تعدد الاحزاب - وهي سمة بارزة من سمات الديمقراطية - والديمقراطية لا ينجحان ولا يفلحان في معالجة مشاكلهما بل انهما يعتبران الى حد كبير عوامل تجميد الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية على ما هي عليه من سوء وفساد ♦

ان اطلاق الاحزاب السياسية في مجتمع نامي ، يؤدي الى اتساع شقة الخلاف وحدة الصراع وفرقة الشعب دون وحدته ♦

ان المشاكل الحياتية والمعاشية هي الشغل الشاغل للمواطن في الدول النامية ♦ ولابد هنا في هذا المقام ان نذكر اقوال ممثل كينيا في مؤتمر الافرو - آسيوي بصدد النزاع العقائدي بين روسيا والصين حيث يقول :

« اننا لسنا ماركسيين ! والاكثرية منا لم تقرأ ولا سطرا واحدا من كتاب

رأس المال لكارل ماركس »

فاية مصلحة لما اذن في أن تحملونا على أن نكون ، طرفا ، معكم في

الصراع العقائدي ؟ ان الذي يعيننا من الامر هو ان نأكل بسلام » (١) •

في هذا الكلام ومنه نستطيع ان نتبين وبوضوح ، أن مشاكل الدول النامية

انما تنصب على معالجة مشكلاتها الاجتماعية والاقتصادية وليس الصراعات العقائدية

حتى ولا الصراعات الحزبية •

ان ليس من شك في ان الصراعات السياسية - الحزبية منها على وجه التخصيص

- تمت في وحدة البلد وتؤخر انطلاقتها في معالجة المشاكل الرئيسية التي تعنيها •

ولكن ينبغي التأكيد على ان الدول النامية أو المتخلفة اذا ما كانت اوضاعها الاجتماعية

والاقتصادية والسياسية متردية أو ان الحكم فيها عميل ضالع مع الاجنبي أو ان

الحكم القائم فيها خاضع للاستعمار ، فهنا لا بد من وجود احزاب • ولكن ينبغي

أن تكون احزابا ثورية تهدف ليس فقط الى تغيير الطبقة الحاكمة وانما تهدف

الى تغيير الكيانات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية وان تعمل على

احلال حكم تكون الجماهير الشعبية هي صاحبة المصلحة الاولى فيه •

اما اذا قفزت جماعة ثورية أو حزب ثوري الى الحكم ، فانه ينبغي ان

تكون الجماهير هي السند له وليست قاصرة على المنتمين اليه •

ولما كانت الدول النامية بحاجة الى اجراءات جذرية ، فان الاخذ بالاشتراكية

العلمية التي تؤمن بضرورة التخطيط ، تجعل دولة التخطيط تدخل في تنظيم

الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ادق تفصيلاتها ، وهذا - طبعا -

يبعد والى حد كبير الديمقراطية •

ولما كنا بلدا ناميا ، فان التخطيط أمر اساسي ورئيس بالنسبة للدول على

حد سواء ، و ان كان الزم واكثر ضرورة بالنسبة للدول النامية • ففي الاخيرة

(١) جريدة (لموند) الفرنسية في عددها الصادر في ١٨ آذار ١٩٦٤ •

ينبغي أن يكون التخطيط كاملا للحياة الاقتصادية ما دامت الفكرة تقوم على اساس ارادة تغيير المجتمع : تغيير الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية • اما التخطيط بالنسبة للدول المتقدمة ، فانه - وكما هو معروف - تخطيط جزئي غير كامل •

وسياسة التخطيط تؤدي في الدول النامية الى نتيجة هامة هي الابتعاد عن فكرة الديمقراطية ذلك ان التخطيط - كما اسلفنا من قول - معناه ومقتضاه تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية تدخلا كاملا بحيث يؤدي - بداهة - الى الابتعاد عن فكرة الديمقراطية والغاء الاحزاب السياسية •

ولقد ظهرت اصوات كثيرة - حتى في دول الغرب - تنحى باللائمة على الاحزاب السياسية وتعدّها مسؤولة عن فساد الحياة السياسية فيها • والمثل البارز على ذلك الجبرال ديفون في فرنسا فانه يحمل الاحزاب السياسية الفرنسية مسؤولية سوء الاوضاع في فرنسا وتدهور مكائنها في ظل الجمهوريتين الفرنسية الثالثة والرابعة •

وصفوة القول في هذا الامر ، هو أن الاحزاب السياسية في الغرب تجد أرضا ممهدة لها وجودا وبقاء • في حين ان الاحزاب السياسية في الدول النامية لا تجد هذه الارض الخصبة • والسبب في ذلك يعود الى (ان الاساس الذي تقوم عليه الاحزاب في امريكا انما هي الوحدة الوطنية التي تجعل الخلافات فيما بين الجماعات السياسية خلافات في الدرجة وليست في النوع)^(١) • وهذا القول صحيح الى حد كبير ، ففي الدول النامية التي لم تتكامل في كثير من اجزائها وحدتها الوطنية ، فلو اطلقت مثلا اجازة الاحزاب لكان كل رئيس عشيرة وكل زعيم ديني رئيسا لحزب سياسي • ذلك أن الخلافات انما تجد ارضية مساعدة لتجعلها خلافات دامية نتيجة للتناقضات الاجتماعية القائمة ، وعليه فان الخلافات بين الاحزاب والتنظيمات السياسية انما هي خلافات في النوع وليست في الدرجة !

Sigmond Neumann, Modern Political Parties, Chicago, 1950
P. 396.

ولقد درجت الدول النامية - مدفوعة بعامل الاقتداء الاعمى - على تقليد الدول الغربية وهذا واضح في تسميز المواد في التركيز على الديمقراطية واطلاق الكلام على عواهنه دون ضبط أو ربط ، وفاتهم ان الديمقراطية لا تأتي عن طريق التقليد والمحاكاة ، ولا تضمن بنصوص ومواد جامدة ، ذلك ان الديمقراطية نهر تجري فيه الحياة ! فهي تتأثر بالمجتمع الذي فيه تطبق وتعمل على تقديم المزيد من الخدمات •

وينبغي أن يتوافر جو ديمقراطي سليم « ذلك ان الديمقراطية السليمة انما هي (التربة) الصالحة لظهور الرأي العام • واننا نريد بالديمقراطية السليمة تلك التي يتلاحم فيها الجانبان الاجتماعي والسياسي •
فالشعب الجائع لا يستطيع افراده ان يعبروا عن آرائهم لانهم عبيد (الحاجة) حيث تسيطر عليهم الاعباء المعاشية فلا تترك لاي واحد منهم فرصة التعبير ، ان لم نقل ، فرصة التفكير !

لذا فاني ارى في الديمقراطية السليمة تلك التي تجعل الناس مطمئنين من حصولهم على نصيب يكفل لهم حياة حرة كريمة من غير استغلال لظروف الحاجة والفقر وبالتالي فاني اسميها (ديمقراطية البطون) اذا جاز هذا التعبير ! « (١) •

لقد قلنا في بداية هذا الحديث ، ان الدول النامية بحاجة الى ثورة تقضي على صروح الفساد • ولا بد لنا من دراسة علمية لمعنى الثورة ومن هم الثوار وما هي خصائصهم وصفاتهم وكذلك دراسة (علمية) الى الانقلاب • ذلك ان الناس اعتادوا ان يطلقوا على كل حدث ثورة ! وهذا ما سوف نتناوله بالدراسة في الصفحات القابلة •

(١) مذكراتنا في (الرأي العام والاعلام) وهي مجموعة محاضرات القيت على طلبة السنة الثانية - علوم سياسية - في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية للسنة الدراسية ١٩٦٦ - ١٩٦٧ •

الفصل الثاني

- الثورة والانتلاب والاحزاب السياسية -

كلمة الثورة تجرى على كل لسان ويخطها كل قلم ويتناش فيها الناس ويتشاغلون بها •

وما أكثر الانظمة السياسية التي تدعي بأنها ثورية وما أكثر الاشخص الذين يدعون بأنهم ثوار •

كذلك كثيرا ما تلصق صفة (الانقلاب) بحكم ما • اذ ان المناهضين لحكم او المعارضين لنظام سياسي يتهمون ذاك الحكم وهذا النظام بأنه حكم ديكتاتوري وانه جاء الى السلطة عن طريق الانقلاب •

وفي النصف الثاني من القرن العشرين حدثت كثير من الاحداث في الشرق والغرب على السواء • وفرضت كلمة (الثورة) نفسها على كل حديث وعلى كل مقال •

ترى ما هي الثورة ؟ وما هي خصائصها ؟

وما هو الانقلاب ؟

وما هو الفاصل المميز بينهما ؟

هذا ما سنحاول دراسته فيما يلي من صفحات •

المبحث الاول

فكرة الثورة قديمة قدم المجتمعات الانسانية ولكنها - اي الثورات - لم تكن تملك مفهوما علميا محددًا كما تملك الثورات حاليا من المفاهيم العلمية ذات الدلالات العميقة والبعيدة في عملية تغيير المجتمع •

ذلك انها كانت في الماضي تعبيرا عن نفسية ساخطة أو فائرة لجماعة من الناس نتيجة تعطشها الى السلطة او لحاجة اجتماعية معينة ، ذلك ان الواقع الاجتماعي الذي كانت تحيا فيه الشعوب انما كان واقعا اجتماعيا سدها الحرمان والظلم واللامساواة •

اما الثورات في الوقت الحاضر ، فانها تعبير وتجسيد حي لارادة الشعب اي الاغلبية من الطبقات المسحوقة اجتماعيا وبالتالي فانها تعبر عن نفسية ثورية هادنة تحمل ارادة التغيير •

والشئ الذي لا يدخله شك ، هو ان المجتمعات كانت تترشح تحت انواع كثيرة من الظلم الاجتماعي الصارخ ، فكان طبيعيا وتلقائيا ان تنطلق النفوس هادرة بالسخط على تلك الاوضاع ، ولكم جرت الثورة على السن الفلاسفة وأقلام كبار الكتاب في مختلف العهود والعصور • وما جمهورية أفلاطون الا تعبير دقيق عن النفوس التي كانت تحلم دوما بمدينة تسودها العدالة والامن ويحكمها قانون المساواة •

وكم أديب وفيلسوف حذا حذو أفلاطون في كتبه ترسما لما كان يجيش في صدر أفلاطون من آراء ومشاعر وأمنيات ، والتي هي بدورها تعبير وأنعكاس لما كانت تجيش به نفوس العامة من الناس (توماس مسور في كتابه اليوثوبيا وغيره) •

ولقد كتب فولتير مرة يقول :

« كل ما أراه ، يبذر بذور ثورة تحدث حتما »

وتاريخ العالم انما هو صفحات مستمرة من المسيرة البشرية تقدما نحو مجتمع أفضل وأحسن • فالتاريخ حركة الى الامام ، كذلك الثورات فانها - بالقطع - تهدف الى تحقيق الرفاهية والتقدم والعدالة • ولما كانت الحياة معركة صراع ، فلا بد للرجل السياسي - وكذلك لمن يتصدر العمل السياسي - ان يتحلى بثقافة وعلمية الى جانب فكر مفتوح وشجاعة وجرأة • ومن ثم - وهذا مهم جدا - أدراك لمشاكل البلد ومعضلاته •

حتى العمل الثوري ينبغي ان يكون مبني على العلمية والتخطيط العلمي •
فالعلم بلا عمل - كما يقول الامام الغزالي - لا يكون ، والعمل بلا علم جنون !
او كما قال الرئيس جمال عبدالناصر « ان الثورة أية ثورة لا تستحق
اسمها اذا لم يكن العلم طريقها فكرا وعملا » • فكل عمل ثوري انما هو بعلميته ،
وانعدام العلمية يعني بدهاها انها ليست بثورة !

ان الثورة تعني ناحيتين عملية وفكرية وهي تنصب على هدم الكيانات
القديمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ثم لا تقف عند حد الهدم
بل تتعداها الى البناء •

اما الانقلاب فانه - في الغالب - يعني هدم البناء القديم سياسيا والوقوف
عنده دون القدرة لسبب او لآخر ، على بناء جديد •

فالثورة عملية سلبية وايجابية ، سلبية في تصديدها بالهدم لكل ما هو فاسد
وسلبيتها هذه انما هي ايجابية لانها لا تنغلق عند الهدم بل تنفتح لثم عملية
البناء • وهي في ذلك مثلها مثل عملية الشهيق والزفير فكما ان الانسان يطرد
الهواء الفاسد (الزفير) فانه بدوره يؤدي الى الانفتاح لاستنشاق الهواء العليل
(الشهيق) •

والثورة كذلك تعني عملا مستمرا ، وصفة « الاستمرارية » هذه شرط
اساسي ورئيس لكل ثورة في النواحي العملية والفكرية • وفي الحقيقة فان الفكر
يلعب أهمية عظمى في تعميق مفاهيم الثورة وبالتالي فلا بد - وبالضرورة - ان تقوم
(ثورة فكرية) الى جانب الثورة الاجتماعية والسياسية •

ان عملية تغيير شكل الحكم فقط دون تغيير الاسس التي يقوم عليها المجتمع
لا تعني ثورة وانما تعني انقلابا •

وعليه فان الثورة تعني ذلك العلم الذي يهدف الى تغيير المجتمع تغييرا
جذريا في كياناته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية ثم العمل - وباستمرار
- على إقامة كيانات جديدة •

أما الانقلابات فهي التي ينقصها تخطيط علمي ويعوزها وضوح فكري ولذا

فهي تقف عند حدود السلطة لا تستطيع ان تتجاوزها وذلك بسبب كونها مفتقدة الى صفة الاستمرارية •

وكثيرا ما قامت - ولا زالت تقوم - حركات أو انقلابات عسكرية دونما « علمية » ولقد شبهها ميثاق العربية المتحدة بأنها أنفجار دماغي !
أما بالنسبة لي فأني أراها نوعا من (الصرع) يصيب أصحابها كما يصيب الصرع المصاب به ، فينفجر ساخطا ويزأر بلا روية ولا هدف • ثم سرعان ما يهدأ حين تعاوده حالته الطبيعية ولكن المرض يظل حيا فيه وان كان هدوءه الطبيعي خداعا يتستر به على مرضه • كذلك الانقلابات فانها صرع يعيب اصحابها فتطلق تريد ان تغير فلا تقدر ، حتى اذا ما انتهت العملية وهدأت يظل (الفساد) حيا يعيش في كيان الدولة ، (١) •

أن (الانقلاب) يبهز الابصار خداعا بنور كالسراب سرعان ما يخبو ضوءه ، لتحتوينا ظلمة قائمة • فالانقلاب في حقيقة الامر وجوهه محافظة على الفساد ، وان كان في ظاهره يحمل - خداعا - رياح التغيير •
والانقلاب سبيله الوحيد أنما هي الاساليب الديكتاتورية ، والتاريخ الذي يعج بالثورات والانقلابات ، ليس فيه الا الامثلة النادرة على ان انقلابا تحول الى ثورة ! ان الانقلاب حين يتبع اساليب الديكتاتورية انما يحاول - فاشلا - ان يوقف عجلة التاريخ السائرة دوما نحو التقدم وتتجه دائما الى الامام • ولكم انتهت محاولات ديكتاتورية الى الفشل وهي تتصدى - عاجزة - لتوقف حركة التاريخ فاذا بالتاريخ يلفظها لفظ النواة خلفه ليواصل سيره التقدمي وليجعل الانقلاب واصحابه جزءا مهملا من التاريخ !!

(١) من محاضرة أرتجلتها بمناسبة ذكرى الوحدة بين الجمهوريتين العربيتين المصرية والسورية في ٢٢ شباط ١٩٦٧ في قاعة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية • ولعل من المناسب جدا ان نذكر ان الاستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير جريدة الاهرام كتب في عددها المرقم (٢٩٥٨٩) والمؤرخ في ١٥-١٢-١٩٦٧ يقول : « ان الثورة عمل مسؤول وليست انفعالا بلا مسؤولية والفارق ما بين الثورة والامسؤولية شعرة واحدة كتلك الشعرة التي تفصل - في القول المأثور - ما بين الجنون والعبقرية • »

• وأولى الخطوات التي يتبعها النظم الديكتاتوري انما هو تجاهل القوانين •
أو كما قال احد اليونانيين من السفسطائيين « ان تجاهل القانون هو طريق
الديكتاتورية » •

ان الثورة ينبغي أن تقوم على أساس علمي : لانها كما يقول المناضل الثوري
جمال عبدالناصر « علم تغيير المجتمع » • والثورة حين تقوم انما تعبر عن ادراك
ووعي عميقين للواقع الاجتماعي بنقائصه ونقضائه ، بمعنى انها استيعاب عميق
لمشكلات المجتمع ثم ادراك علمي محيط لحلها • فالثورة اذن ليست - كما هي
حال الانقلاب - ارتجالا ولا انفعالا ، وهي بالتالى ليست نزوة أو عاطفة بل هي
عمل دائم ومستمر يتسلح بعلمية تفوس في اعماق المجتمع عاملة بالوعي - وهي
قادرة - على تغييره ومن ثم تطويره لا أن تكون جاهلة سطحية تهتم بالمظهر
دون الجوهر وتحصر على القشور دون اللباب •

ان على اولئك الذين يقومون بالثورات ان يراعوا وان يحسبوا كثيرا للحكم
التاريخ ، لان حسابه عسير وحكمه قاس ومرير •
الثورة تخطيط يقوم على العلم واساسها العقل وسداها الادراك والوعي
ولحمتها الاحاطة الشاملة •

اذن هي علمية وعقلية وليست سطحية •
سداها الادراك القائم على العلم والوعي وليس على الجهل •
ذلك ان العمل الثوري الواعي والمنظم انما هو - وحده - طريق الشعب
لان يملك زمام نفسه ويمتلك خيراته ويتصرف بشؤونه • والعمل الثوري هو
وحده الذي يهيىء للشعب ان يتلك مفاتيح الموقف : قطعاً وبترا لجذور التناقضات
الاجتماعية وقلعا لرواسبه القديمة •

ان الثورة التي لا تقوم على الايمان بالشعب ولا على أسس من العلم لا
تستطيع ان تحقق اهدافها لانها تتصدى - وباستمرار - لتغيير واقع اجتماعي ، لذا
يفترض فيها ان يكون لها تخطيط علمي شامل لما هو فاسد فتعمل على تغييره ببناء
أسس صالحة جديدة •

وبدون الايمان بالشعب وبدون تخطيط علمي وبدون استمرارية العمل فان الثورة لا تعدو ان تكون انقلابا او تطويرا اصلاحيا يقوم في القمة دون تغيير للقاعدة التي هي الاساس الرئيس في كل ثورة • ذلك ان الاصل في الثورة انما جاءت لترفع عن الطبقات المسحوقة الظلم والواقع المظلم الذي يقوم على استغلالها استغلالا غير انساني •

فالثورة اذن نظرية وعمل ، بمعنى انه لا بد من نظرية تطرحها الثورة على الناس حتى يعتقدونها • فبدون الاقتناع والايمان بها لا يمكن أن تكون عملا !
والثورة ما دامت شعبية ومستمرة ، فهي نور يبدد الظلام وهي معول يهدم أصرحة الفساد، وهي حركة ضد الجمود ، وهي علم تحيط بظروف البلد لتقضي على الفساد وتطرد الجهل •

خصائص الثورة وصفات الثوري

تتفق الثورات في اهدافها واسسها ، ذلك ان الثورة هدف كل مجتمع متخلف وصولا الى مجتمع افضل يتساوى فيه الافراد وتعطى لهم فرص متكافئة تقوم على المباراة دونما استغلال ولا استعلاء • كذلك اهدافها واحدة في التخلص من السيطرة الاجنبية والقضاء على الاحتكارات الامبريالية العالمية •

وعليه فان الثورات تلتقي في الهدف وان اختلفت الطرق في تحقيقها •
تري ما هي خصائص الثورة ؟

لا بد لنا من تحديد خصائصها اذ كثيرا ما تجري « الثورة » على كل لسان وتنطق بها اقلام الكتاب والصحفيين • ولكم كان اطلاق الثورة خطأ على حركات لا تمتلك حتى النفس الثوري وعليه لا بد لنا من تبيان خصائصها لكي يكون اطلاق الكلمة اطلاقا محددًا وعلميا • فكل الحركات التي قامت والتي تقوم - تدعى أو تزعم لنفسها بانها (ثورية) •

يرى الميثاق العربية المتحدة^(١) ان الثورة تتصف بخصيتين هما :

(١) الميثاق الوطني لقوى الشعب العاملة ص/ ٤١ •

• اولا : الشعبية

• ثانيا : التقدمية

• اما انا فاني ارى اضافة خصيصة اخرى الا وهي « الاستمرارية »

ان الحياة هي نفسها حركة دائبة مستمرة ، وعليه فالاستمرارية تطلب في كل امر وشأن : الاستمرارية في النضال ، الاستمرارية في القتال ، الاستمرارية في التضحية والوفاء ، الاستمرارية في طلب العلم والى غير ذلك من الامور

• وهنا تتكشف لنا الحكمة في قوله تعالى : « ان فوق كل ذي علم عليم »

• وقوله تعالى على لسان رسوله الكريم : « وما أوتيت من العلم الا قليلا »

وكذلك تتكشف لنا الحكمة في قول الرسول العربي الكريم « اطلب العلم

من المهد الى اللحد » • وكذ لك قوله (ص) الذي يشير فيه الى وجوب الاستمرار

في طلب العلم وهو : « ما زال احدكم عالما ما طلب العلم فان ظن انه علم لقد

• جهل »

ان التوقف عن طلب العلم جهالة عمياء وعليه لا بد من الاستمرارية في طلب

• العلم والعرفان

وفي الحقيقة فانه يمكننا القول ، بأن للثورة خصيصتين هما :

• اولا : الشعبية

• ثانيا : الاستمرارية

في الاصل ان كل ثورة شعبية ، انما هي تقدمية ولكن ليست كل حركة

• تقدمية بثورية

• اما الاستمرارية فانها شرط اساسي ورئيس - في رأيي - لكل عمل ثوري

ذلك ان كثيرا من الحركات قد بدأت وهي تمتلك صفة الثورية ثم انتهت وقفا

عند حدود السلطة ثم الحرص والمحافظة عليها دونما تغيير لطبيعة المجتمع ولا

• لكياناته المختلفة

ان الحياة - كما قلنا - استمرارية في مختلف نواحيها وواجه النشاط فيها

• ومنها الثورة

ويمكننا القول بان للثورة صفات ثانوية تتفرع من الخصائص الرئيسة التي اسلفنا ذكرها وهذه هي :

١ - مقدمة ٢ - شاملة ٣ - الجدة والجديّة •
ولابد للثورة من اتخاذ اجراءات معينة في عملية التغيير التي تصدر عملا لها وهذه هي :

١ - لابد من تغيير اجتماعي •
٢ - لابد من تغيير الطبقة الحاكمة (بمعنى ليس فقط للحكومة) •
٣ - لابد من تغيير فكري •
وما دامت الثورة بخصائصها الشعبية والاستمرارية ، فانها نور يبدد الديجور ويقطع الفساد من الجذور ويحقق مجتمع الكفاية والعدل والمباواة •

أما صفات الثوري فهي كثيرة ، وكنت قد كتبت مرة خاطرة^(١) تصح أن تكون - بما حوت - من صفات تحديدا للصفات الثورية للانسان الثوري •

قلت فيها « الناس معادن • فدو النفس الكبيرة تراه ابدا يسعى الى ان يرفع عنها ما يشينها أو يخدش شخصيته وكرامته • فهو يعمل جاهدا ومجتهدا على أن يكون شرفه رفيعا حتى وان كان منصبه في الحياة وضيعا ! •

فكرامة الانسان فوق كل اعتبار لانها باقية اما مناصب الحياة فانها ذاهبة فانية • فليس الرفعة في هذه الحياة ان يكون الانسان ذا منصب خطير ويدر عليه ارباحا وفيرة ومغانم كثيرة وانما الرفعة هي أن الانسان كبير في نفسه نبيل في حسه ، لا يرتضي لها الهوان ، أبي كل الالباء • نقي الثوب ، صافي القلب طاهر اليد • لا يهمه ما فقد ولا يفرح بما وجد !

يعاف الذل ويتحاشى جهده ان يزل • وليس له في أي وطر مطمع وفي رأيه

(١) نفوس صغيرة ومريضة - جريدة الشعب - العدد ٣٦٠٦ والمؤرخ في ٢٠ آب ١٩٥٦ ، ص ٣ •

ومعاشرته لا يتصنع • قوي الايمان ، عف اللسان ، لا يخشى في الحق لومة لائم •
صبورا اذا حل به بلاء ، شكورا اذا مسته سراء •

وهو في رأيه وخصومته صريحا رفيعا • وصراعة مع الغاشمين المستبدين
شريفا وعنيفا فاما ان يكون النجاح له حليفا أو يختر في سبيل مبداء صريعا •
واذا ما كانت له في هذه الدنيا غاية - ولكل واحد منا غاية - فانه لا
يرتضى - بحال من الاحوال - ان تداس كرامته على حساب غايته حتى ولو كان
العوز والفقر له نهاية » •

• هذه هي صفات الثوري وهو قطعاً ذو نفس كبيرة •

اما الانتهازي وهو قطعاً ذو نفس صغيرة فان صفاته هي :

« على العكس منه صغير النفس فهو ابدا يتصنع حين يطمع فيخضع ويداجي
وبالرياء يتقنع فيخنع ! سليل اللسان ، يميل حيث تميل اهواؤه واطماعه • ضعيف
الايمان • لا يحركه دافع من دين ولا وازع من وجدان ! حقير حتى من الذين
يتعلق بهم حين يتملق لهم من الاصحاب ، لانه ابدا ذنب من الاذئاب والرياء ، الملق
وادبه الخلق والادعاء •

ليس له كرامة ولا جبين يعرق وانما دأبه أن يكون لغيره بوقا • وسيان
عنده ان كان الامر باطلا أم حقا لا تدفعه دوافع من مصلحة عامة وانما همه ان كان
مسعاه يحقق لنفسه اطماعها أو لا يحقق !

واذا كان النجاح في بعض الاحيان يجعل من السقيم سليما ومن الاحق
حكيمًا فان مصير صغير النفس - وان نجح - فاشل ونجمه آفل وامره زائل » •

بعد كل هذا الحديث عن الثورة ، قد يبدو مفيدا ان نضيف بان القيام بعملية
الهدم اسهل بكثير وكثير جدا من عملية البناء ، فلئن كان الانقلاب يهدف الى
التحطيم والتهديم ، فان الثورة في جوهرها هدم وبناء : هدم للاسس الفاسدة
القديمة حيث يتربع حفنة من الناس تحكما واستغلالا ، وبناء في قيامها باقامة
أسس جديدة تتفاعل مع الجماهير الشعبية صاحبة المصلحة الاولى والاخيرة في

كل نظام ثوري • وعملية التلاحم ما بين النظام الجديد وجماهير الشعب أمر في غاية الخطورة اذ على مقدار هذا التلاحم انما تقرر ثورية النظام • وليس من شك في ان الثورة وهي تهدف الى تغيير المجتمع تغييرا جذريا وتعمل على احلال مفاهيم جديدة ، انما - وهي على هذه الصفة من الشمول - تقررها السلطة السياسية وحدها وليست أية سلطة أخرى •

ولتقريب الامر ، تفريقا ما بين الثورة والانقلاب ، فانا نفترض ان المجتمع شجرة • ولما كان المجتمع الذي تصدر له الثورة بالتغيير فاسدا ، فان الشجرة فاسدة هي الاخرى ، ولا بد من قلعها من الارض • فلثورة تجتث الشجرة الفاسدة كما تجتث الحكم الفاسد قلعاً من الارض حتى تدك صروحه ثم تعمل على انبات أسس جديدة لتكون الشجرة طيبة الثمر ، دانية القطوف ، وارقة الظلال •

في حين ان الانقلاب وهو يتعرض الى المجتمع الفاسد انما يتصدى الى الشجرة الفاسدة بقطع اغصانها وورقها دون التعرض الى جذورها ، فتبقى الشجرة فاسدة وكذلك ثمرها • ان الانقلاب انما يتصدى الى معالجة الظواهر في المجتمع معالجة سطحية وغير جادة • اما جذور المجتمع فتظل فاسدة بلا تغيير !

و « الزعامة » الحقة انما هي تلك التي تتفاعل مع الشعب التحاماً واحتكاماً دونما انفصام أو تحكّم • وانقطاع هذه الصلة ، يسقط صفة (الثورية) من النظام كما يجعل الحاكم مستبداً غاشماً وليس زعيماً شعبياً حتى ولا عظيماً (١) • بقيت نقطة جديرة بالاشارة اليها ، اذ كثيراً ما يجري على السنة السائسة

(١) لعل من المناسب ان نذكر رأياً للبانديت نهرو يقول فيه « ان الزعيم الذي يقطع صلته بالجماهير قد يظل عظيماً ولكنه لا يظل زعيماً » • نفس المصدر السابق ص ٦١ •

أن رأي البانديت نهرو هذا محل نظر • فانا أرى في الزعامة الحقة انما في تمثيلها تعبيراً عن آمال الشعب وآلامه ، ومدى قدرتها على استمرارية هذا التمثيل • والشعب هو وحده العظيم ، وعظمه الزعيم انما يستمدّها من مدى شعبيته والتفاف الناس حوله •

والزعماء - كما تجري به اقلام المتخصصين من علماء السياسة - تعبير ولفظ شائع
ألا وهو « ثورة مضادة » التي لا اتفق مطلقا ولا ارتضى به تعبيرا لان الثورة لن
تكون الا اذا كانت شعبية أي من اجل مصلحة الطبقات المسحوقة والمحرومة والتي
هي الاكثر عددا • وما دامت الثورة بهذه الصفة فلا يمكن قبول التعبير (ثورة
مضادة) حتى وان كان شائعا !

فالثورة نور ! ولا يمكن ان يجتمع النور مع الديجور في مكان واحد • وعليه
لا يمكن قبول هذا التعبير « ثورة مضادة » وانما حركة مضادة أو انقلاب حيث
يحقق مصالح فئة صغيرة على حساب الشعب وهذه هي الديكتاتورية بعينها !

وكلمة اخيرة ، فان الدول النامية بحاجة الى تحالف قوى الشعب العاملة
والتي يجمعها تنظيم سياسي واحد كفيل برفع المستويات الاجتماعية والاقتصادية
والسياسية • اذ ان هذه الدول الزم ما تكون الى وحدتها وانه لمن فضول الكلام
القول انه ينبغي لكل عمل سياسي من تخطيط ووحدة هدف ووحدة قيادة مؤمنة
مخلصة تتعاون كلها جاهدة ومجتهدة لدفع عجلة البلد نحو التقدم والرفي « (١) »

المبحث الثاني

(الاحزاب بين المؤيدين والخصوم)

بعد هذا الذي قلناه حول ضرورة الاحزاب ، فاننا نقول ان الاحزاب
كالديمقراطية أثارت ولا تزال تثير الكثير من المناقشات والمجادلات • ولقد انقسم
المعيون بدراستها الى قسمين : فريق يؤيد وجود الاحزاب ويدعو لها وفريق آخر
لا يرى وجودها ضرورة •

(١) مقابلة صحفية أجرتها معي جريدة الجمهورية في عددها المرقم ٧٣٣
الصار يوم الثلاثاء ١٨ كانون الثاني ١٩٦٦ •

فهناك اذن مؤيدون لها ومعارضون •
وفيما يلي من سطور ، سنحاول ان نجمل ما يذهب اليه مؤيد الاحزاب
مع حججهم التي يذهبون بتأييدهم لها •

١ - الاحزاب السياسية مدارس تثقيفية ومعاهد تعليمية للشعب

في الغرب - كما في الشرق - تقوم الاحزاب السياسية بدور تثقيفي وذلك
بمعالجتها للمشكلات الاجتماعية والسياسية ومشاركتها في ايجاد الحلول للمخاطر
من العضلات العامة وذلك عن طريق المؤتمرات والندوات وما ينشر في الصحف
الناطقة بلسان الاحزاب المختلفة وكذلك النشرات الحزبية (الخارجية للناس منها
والداخلية الخاصة بالاعضاء) حيث تشرح الاحزاب القضايا المهمة شرحا يزيل
الابهام من الازهان •

ان الاحزاب السياسية وهي مدفوعة الى كسب ثقة الجماهير يحدوها أمل
الوصول الى السلطة ، انما تحرص دوما على مخاطبة هذه الجماهير وان يكون
الوصل بينها دائما وقائما ، تسهم الى حد كبير في تثقيف الشعب ثقافة سياسية
واضحة ومتسلحة بروح واعية ومدركة •

ب - الاحزاب السياسية عامل خلق رأي عام

الامر الذي ليس فيه شك ، هو ان الاحزاب السياسية تعتبر من أقوى
الدعامات وابرز القوى المؤثرة في الرأي العام بل ان قوة الرأي العام مستمدة من
الاحزاب السياسية وغيرها من المنظمات والتقابات •

ودور الاحزاب في خلق الرأي العام وتكوينه باهر ازوضوح ولا يحتاج الى
اقامة الدليل عليه • لذا فهي - أي الاحزاب - تسهم والى حد بعيد في خلق
وتوجيه الرأي العام بما تشره من دراسات سياسية وتثقيفية •

ان الاحزاب السياسية محكومة ببرنامجها وهي مدفوعة برغبتها العارمة في
الوصول الى السلطة ، لتحرص حرصا كبيرا وكثيرا على كسب رضا الرأي العام •
فكلما حدثت مشكلة ، انبرت الاحزاب السياسية بمعالجتها ولكن من وجهة نظر

« الحزب » • وهذه النظرة الحزبية وان كانت تجعل الرأي العام منقسما ، فانها تسهم - من غير ادنى شك - في خلق الرأي العام •

ج - الاحزاب السياسية أجهزة مراقبة لعمال الحكومة

ما اكثر ما تنحرف الاحزاب السياسية عن تحقيق الدعوة التي قطعتها على نفسها اثناء المعركة الانتخابية ! والشئ الواضح هو ان المعركة الانتخابية لا بد وان تسفر عن فوز احد هذه الاحزاب بالسلطة • ولذا فان الاحزاب الاخرى والتي تسمى بالاحزاب المعارضة ، يكون عملها منصرفا الى مراقبة اعمال الحكومة في احترامها لنصوص الدستور وكذلك القوانين المرعية ، وبالتالي فان هذه الاحزاب المعارضة تعتبر عنصر (تلطيف) يخفف من غلواء واندفاع الحزب الفائز وهي ايضا عنصر محاسبة اذا ما اشتط الحزب الفائز أو خرج عن الجادة • ذلك ان عبء محاسبة الحكومة عن اعمالها اذا ما تعسفت واستبدت في ممارستها السلطة انما يقع قطعاً على احزاب المعارضة •

وكثيراً ما يحدث ان الاحزاب عند وصولها الى السلطة وهي ما زالت منسنية بلذة الفوز والنصر ان تبعد عن الطريق الذي به تعهدت ان تلتزم به امام الجماهير عند المعركة الانتخابية ، ولذا فان من واجب الاحزاب الاخرى ، المبادرة الى مراقبتها مراقبة فعالة وجادة ، لئلا يجنح الحزب الفائز مدفوعاً بحمى الانتصار ومحكوماً بالارتباطات الحزبية ، بان يتخذ من القرارات ، قد لا تتفق لامع المصلحة العامة ولا مع التقاليد المرعية •

د - الاحزاب السياسية أداة خلق جهاز (خبير) لتولى الوظائف العامة

من المعلوم بالنسبة للاحزاب الكبيرة في الدول الغربية ان في داخل كل حزب انما توجد (حكومة) مصغرة ، وهذه تنبع في الاساس من الاقسام المختلفة في نطاق الاحزاب والتي تأخذ على عاتقها دراسة مختلف القضايا من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية والنخ ••

ولذا فانه وبمرور الايام وتوالي السنين تؤدي الى خلق كفاءات فنية قديرة

على تولي الوظائف العامة بالنظر الى ان الاحزاب انما تقوم دوما بدراسة كل المشاكل التي تحدث في البلد والحرص على ايجاد الحلول اللازمة لها حتى اذا ما جاء الحزب الى الحكم كان معدا ومستعدا الى وضع حلوله موضع التنفيذ ، والعمل على ازالة المشكلات واسباب التدمير والشكوى منها • وما حكومة (الظل) المعروفة في بريطانيا الا شاهد ودليل على ما نقول •

وفي الحقيقة فان جهاز الدولة بحاجة الى طقة بشرية دافقة الدماء • ذلك ان الدولة باقية اما الاشخاص فانهم لزائلون • ان « استمرارية » الدولة يفرض عليها ان تقوم بواجباتها الكبرى تجاه المواطنين ولضمان سير دولاب العمل ، فن الدولة بحاجة الى كفاءات وطاقات جديدة شابة لتتولى امر الاشراف على ادارة شؤونها وتدوير ماكتنها وهذا ما تقدمه الاحزاب السياسية في المجتمعات الغربية فقط •

هـ - الاحزاب السياسية مظهر ودليل على الديمقراطية

رأينا كيف ان الاحزاب غدت لصيقة بالديمقراطية ، فكأنما أخين أرضعا بلبان ! فلا وجود للديمقراطية بدون الاحزاب والعكس صحيح هو الاخر •

و - الاحزاب السياسية عامل وحدة البلد

اما وان كل حزب يحرص على شد أعضائه شدا محكما وانه يعمل جاهدا ومجتهدا على صيانة الحزب دون افساح المجال للانقسام أو الانفصام ، فانه بهذا يعمل على صيانة وحدة الحزب ، ولما كان الحزب يحوي على مجموعة بشرية ، لذا فان الاحزاب السياسية الاخرى كل تعمل على صيانة حزبها فان ذلك يؤدي بصورة غير مباشرة الى وحدة البلد •

هذه هي مجمل الحجج التي يستند عليها مؤيد الاحزاب للتدليل على ضرورة وجودها واهمية هذا الوجود •

وفيما يلي من سطور ، سنورد الحجج التي يحتج بها معارضوا الاحزاب في عدم ضرورة وجودها ويمكننا اجمالها كما يلي :

أ - الاحزاب السياسية عامل شق وحدة البلد

ان الحزب يعني (مجموعة من الناس تؤمن بمبادئ معينة و ينتظمها تنظيم معين تهدف الى الوصول الى السلطة أو المشاركة فيها) • بمعنى ان وجود الاحزاب يعني وجود مجاميع بشرية مختلفة يمكن ترجمتها الى انها تؤدي الى (انقسامات) متعددة الى جانب وجود مبادئ و ايدولوجيات مختلفة وهذا ما يؤدي الى نباعد المواطنين بعضهم عن البعض الاخر وهذا بدوره يفضي الى شق وحدة البلد الوطنية • لان الاحزاب السياسية في تطاحنها السياسي انما هي مدفوعة بمبادئ مختلفة فيما بينها • وهذا ما يؤدي الى ان يجعل الشعب منقسما الى شيع واحزاب •

ب - الاحزاب السياسية تشوه حقيقة الرأي العام :

لا مرأء في ان الاحزاب السياسية عامل خلق للرأي العام الا ان الرأي الذي يتكون انما هو متأثر و منحاز لانه محكوم بالمبادئ التي يدين بها الحزب وهذا ما يجعل الرأي المنشق أو المتكون رأيا حزبيا أو منحازا وعليه فان الاحزاب السياسية تقضي وتفرضي الى خلق رأى عام منحاز متحزب ومختلف وهذا مما يؤدي - بدهاة - الى صورة مشوهة لحقيقة الرأي العام •

ج - الاحزاب تفضل مصالحها الحزبية على المصالح العليا

غير خف على احد ان كثيرا من الاحزاب السياسية قد انحرفت عن اداء رسالتها التي تؤمن بها وابتعدت بها كثيرا عن تحقيق الاهداف والمبادئ التي جاءت بها عاملة على نشرها وذلك عند وصولها الى السلطة • بل انها كثيرا ما غالت بجعل (الحزبية) معيارا لتقييم المصالح العامة وهذا يغفل في اهدار المصلحة العامة التي ينبغي ان تكون الرائد الاول للاحزاب السياسية • ان اهدار مصالح الشعب واهمالها ثم الانغماس بتيار الحزبية نقد جد معيب و صارخ يوجهه معارضو الاحزاب اليها •

د - بعض الاحزاب تتبع توجيهات من جهات اجنبية

في كثير من الاقطار العربية وعلى سبيل المثال - العراق - وسورية ومصر - عندما وضع الغرب الاستعماري الامة العربية تحت سلطانه ، أنشأ الاستعمار

الانكليزي احزابا ارتبطت مصالح هذه الاحزاب بمصالح الاستعمار فكانت هذه الاحزاب داعية تأييد الى الغرب وهي تتبع اوامره ونواهيه .
كذلك على اثر ظهور الاحزاب الشيوعية ووصول الحزب الشيوعي الى السلطة في روسيا ان قامت احزاب (شيوعية) في اجزاء كثيرة من العالم ولقد ارتضت هذه الاحزاب أن ترتبط وجودا وعملا - بقيادة الحزب الشيوعي الروسي كما ان احزابا قلة ارتضت ان تتبع اوامر الحزب الشيوعي الصيني . وفي كل هذه الحالات فان فيها برهانا لا ينقض على اهدار الاحزاب لسيادة الامة وتعريض لكرامتها .

هـ - الاحزاب عند توليها السلطة تغدو ديكتاتورية النزعة

عندما يستقيم الامر لحزب من الاحزاب فان نشوة النصر تفقد الحزب احيانا كثيرة - نعمة البصيرة والحكمة لذا فانها تتعد عن تحقيق الآمال التي قطعها على نفسها محكومة بنزعتها نحو السيطرة والتحكم . ذلك ان طبيعة الاحزاب انما هي تحكيمية .

هذه هي - اجمالا - آراء المؤيدين والمعارضين للاحزاب . وخلاصة القول ان الاحزاب السياسية حتى في الدول الديمقراطية انما هي في حقيقة امرها تقيم حكما السيطرة فيه الى الاقلية . ذلك ان اتجاه السلطة في الاحزاب السياسية اتجاه فردي وهذا ما يقضي على فكرة الديمقراطية التي تقوم على فكرة (الاغلبية) .
ان الاحزاب السياسية محكومة بالاوضاع التي تجتاح العالم اليوم تجنح كثيرا الى أن تغدو متسلطة ومتحكمة . وآمرة فيكون النظام والتنظيم فيها مبني على الطاعة والاذعان وليس على الاقناع والادراك (١) .

(١) عكس هذا الرأي قاله شاتسنيدر اذ يرى ان « اهم تمييز في الفلسفة الحديثة بين الديمقراطية والديكتاتورية يمكن ان نجده في مفاهيم الاحزاب السياسية . واذن فليست الاحزاب مجرد زعانف للحكومة الحديثة ، وانما هي منها مثل القلب ، وتلعب فيها دورا حاسما وخلاقا » .
وردت في كتاب « سياسة الحكم » اوستن رني - المصدر السابق - الجزء الثاني ص ١ .

اما وقد أحطنا علما ببعض الجوانب العامة ذات الصلة الوثقى بدراسة الاحزاب ، ولما كما قد درسنا الديمقراطية والاحزاب والثورة والانقلاب ، فإنه يتعين علينا - محكومين بطبيعة البحث من جانب وخطورة الاوضاع العربية من جانب آخر - ان نبث موضوع « وحدة القوى الثورية في الوطن العربي » ذلك الموضوع الذي فرض نفسه - ولا يزال كذلك - ليبحث دراسة وتحليلا .
وفيما يلي من صفحات سوف نحاول دراسة هذا الموضوع الخطير ، اذ من الامور البديهية بمكان ، ان الدراسة الحقيقية انما يجب أن تنصب اولا واخيرا على معالجة مشكلاتنا واطرافنا قبل مشكلات وأوضاع غيرنا .

المبحث الثالث

(وحدة القوى الثورية في الوطن العربي) (١)

لا مرأ في أن الظروف التي تمر بها امتنا العربية وتحيطها في الوقت الحاضر ظروف صعبة وخطيرة ، بل انها - قطعا - أخطر سنى حياتنا . فهناك اعتداء واقع علينا وجيش عدونا يحتل جزءا من ارضنا . ولئن كان الامر بهذه الخطورة من الاهمية فإنه أمر لا يدعو الى اليأس قدر دعوته الى العمل . والبشرية شهدت - ولا تزال تشهد - صراعات وحروباً ، واسباب هذا الصراع مختلفة يمكن ارجاعها الى عوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية وفكرية (الصراع العقائدي) . كذلك تلعب المستويات الحضارية والمعتقدات الدينية والظروف التاريخية والجغرافية ادوارا في تلك الحروب والصراعات .
و
والامة العربية التي قاست ردحا طويلا من السيطرة العثمانية والاستعمار

(١) كان مندوب مجلة (روز اليوسف) القاهرة قد زارني مرتين في داري طالبا مني الكتابة في هذا الموضوع ، ولقد سلمته مقالة يوم ٢٧ مارت ١٩٦٦ ولم ينشر المقال حتى الان . ولقد أجريت عليه بعض التعديلات ليتماشى مع الفترة الحاضرة التي نحياها ولكن لم تغير شيئا من جوهره .

الغربي هي الاخرى قد شهدت - ولا زالت تشهد - صراعات وحروباً • بل ربما كانت اكثر بقاع الارض تعرضاً للحروب والغزوات حتى عدت ميداناً لها ومسرحاً للمنافسات الداخلية والخارجية على حد سواء !

والامة العربية الآن تعيش - قطعاً - اخرج سني حياتها ، ذلك ان على ارضها ولدت « طلائع » ثورية استقرت واشتد ساعدها حتى عدت خطراً يهدد - بالزوال - معاقل الرجعية ربيبة الاستعمار وكذلك الاستعمار نفسه •

هذه القوى الثورية كان ميلادها ميلاداً طبيعياً على ارضنا العربية التي كانت ترزخ لسيطرة الاستعمار ، تلك السيطرة التي شلت وكبلت ارادتنا وسلبت حريتنا في العيش احراراً تتمتع بخيرات ارضنا ، ولذا فإن « الحرية » كانت مطلباً طبيعياً وتلقائياً من قبل جماهير امتنا العربية التي ترى ان الانسان يولد حراً على ارضها ! وكذا الاستعمار قد مكن - بالباطل والقوة - لحننة من الناس أو لطبقة منهم امتلاك الارض ومن عليها ، فكان ان تنبه الشعب العربي وادرك ان الكثرة الغالبة منه تشرق بالموت فقراً وبؤساً وان قلة من سكانه تغرق بالنعيم والغنى ، ومن هنا كانت « الاشتراكية العلمية » بتطبيقها العربي مطلباً جماهيرياً وحلاً جذرياً واسباباً لمعالجة « تناقضات » المجتمع الصارخة ، ولتزهق باطلاً فرض من غير حق ولتقضي على استغلال الانسان لاخته الانسان •

وكان طبيعياً الا يعترف الشعب العربي الواحد بالحدود المصطنعة التي اقامها الاستعمار على ارضه • لذا فإن الدعوة الى « الوحدة » - مطلب الجماهير العربية - دعوة أصيلة ونداء طبيعي ضد التجزأة والتي فرضت علينا - بالقوة - دون ارادتنا •

ومع ميلاد الطليعة الثورية في ارض الكنانة (ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢) ، أحست قوى الرجعية والاستعمار ان الارض تكاد أن تميد بهم وتخرجهم منها دون رجعة ، ولذا فإنهما - الرجعية والاستعمار - قد سارعتا متحدتين متعاونتين لمواجهة خطر مصيري يهدد - مصالحهما - بالفناء زوالاً • ومن هنا كان الصراع

حتميا بين قوى ثورية مؤمنة خيرة وقوى رجعية فاسدة شريرة ، وعليه فن الصراع بينهما صراع مصير • ومن هنا نستطيع ان نفسر الاعتدائين الثلاثي على الشعب العربي في مصر عام ١٩٥٦ وعلى الشعب العربي عام ١٩٦٧ • ومن هنا ايضا ايضا تنطلق الفكرة التي تفرض نفسها الا وهي اعادة النظر في اوضاعنا ومعرفة مواقع اقدامنا لتكون على أهبة الاستعداد لخوض معركة مصيرية ضد الاستعمار العالمي • وما دما في حالة حرب فان موضوع (وحدة القوى الثورية في الوطن العربي) يكون بالضرورة أحق المواضيع دراسة وبحثا •

ولابد لنا - قبل الدخول في البحث - ان نسائل لماذا استطاعت القوى الرجعية والاستعمارية ، على الرغم مما فيها من تناقضات ، ان تحقق لنفسها انتصارات في أرضنا العربية وفي غير أرضنا في اسيا وأفريقيا ؟

الجواب على ذلك هو ان كلاهما قد ارتبط مصيريا - بقاء أو فناء - بالآخر ، وهذا يفرض عليها بدها ان تكون قواهما متحدتين : قلبا وقالبا هدفا وصفا فكريا وعملا • ثم ان وضوح الهدف بالنسبة لها عامل آخر في اسباب تحقيقها انتصارات ومكاسب وهذا يكمن في حرصهما محافظة على مصالحهما الحيوية وهذا ما يدفع بالقوتين الى أن تكون خطواتهما واحدة وخطتهما في العمل قيادة وتنفيذا واحدة هي الاخرى • هي تعرف ما تريد وتخطط تحقيقا ووصولا الى ما تبغي وتريد ألا وهو المحافظة على مصالحهما في أرضنا العربية من جهة وتصديها لكل محاولة تحمل معاني « التغيير » ضربا لمصالحها • ولذا فان هذه القوى المعادية تسير على تخطيط واضح يتلخص في فتح الثغرات والفتحات والاستفادة منها ابقاء على مصالحها واستمرارا لبقائها •

أما القوى الثورية فأنها منقسمة على نفسها وموزعة ، لانها مختلفة في تحديد طريقها الثوري ولعدم وضوح الرؤية لديها • ولان كل (فئة) من هذه القوى الثورية لها رأي يختلف عن الفئة الاخرى • وهكذا نجد أن هذه (الفئات) تدخل

فيما بينها في صراعات ومساجلات لا أول لها ولا آخر تفقدها كل طاقاتها • حتى اذا ما قامت القوى الاستعمارية والرجعية بهجومها ، كانت القوى الثورية - وهي منقسمة - أضعف من ان تصمد ولو لجولة واحدة أمامها •

ان التطاحنات الحزبية في أرضنا العربية أعدام للطاقات الثورية اذ تحولها - أي هذه التطاحنات - من هدفها الرئيس الا وهو ضرب القوى الرجعية والاستعمارية الى صراعات جانبية تجعل القوى الثورية من الضعف بحيث لا قبل لها للتصدي لاعدائها • ولذا فان القوى الرجعية والاستعمارية تكسب مواقع لها رغم تناقضاتها • ولكن ينبغي ان نبادر بالقول ان هذه المكاسب موضعية ومرحلية أي ليست لها صفة الحسم والدوام ، ذلك ان القوى الثورية هي المنتصرة على المدى الطويل فيما اذا وحدث هدفها وواصلت ضغطها - حربا - على القوى الرجعية والاستعمارية • لقد علمنا التاريخ ان القوى الجديدة المؤمنة هي المنتصرة دوما في صراعاتها مع القوى القديمة الشريرة • ان الظلام لا يستطيع ان يصمد لحظة امام النور ! كذلك القوى الفاسدة لا تستطيع الوقوف امام القوى النورية •

ولا بد لنا في هذا المقام من التأكيد على « استمرارية » الصراع من قبل القوى الثورية ضد القوى الرجعية ، لان استمرارية الصراع كفيل بدك حصون الاخيرة وسقوط قلاعها الواحدة بعد الاخرى • وخير عون للقوى الثورية في صراعتها ضد اعدائها انما هو التحامها جماهريا • ذلك انه كلما تفاعلت القوى الثورية مع الجماهير - الوعاء الذي لا ينضب ولا ينفذ في تزويد الحركات النضالية بالطاقات الثورية - كلما زاد ضغطها على القوى اليمينية ، وازداد الامل في القضاء عليها •

ذلك ان سند كل ثورة انما هو الشعب بجماهيره الكادحة ذات الطاقات الثورية الهائلة • وفي الحقيقة والواقع فإن « المهادنة » لن تستفيد منها الا القوى الرجعية • واستمرارية الصراع استمرارية لنضال الجماهير وهو عامل يذكي

القوى الثورية ويزيدها صلابة ومنعة ومضاء.

وتديما قال الشاعر أبو تمام :

أني رأيت وقوف الماء يفسده أن سال طاب وان لم يجر لم يطب

هكذا الثورة عمل دائب دائم كجريان الماء • كذلك المهادنة فأنها كوقوف

الماء ينسد على القوى التقدمية طعم الحياة ويحيلها الى توى راكدة خامدة !

اذن لا بد ان تكون المعركة قائمة ولا بد من توافر « قيادة » مؤمنة ، فوحدة

القيادة شرط اساسى ورئيس لضمان كسب المعركة •

كذلك « وحدة التنظيم » فهي عنصر جوهري هام في كسب المعارك ، ولما

كانت الرجعية في كل تحركاتها وخطواتها انما تقوم وفق تخطيط متقن وتنظيم

رتيب ، فانه يتعين على القوى الثورية ان تكون خططها هي الاخرى قائمة على

علمية التخطيط وقوة التنظيم •

كذلك يلعب « الفكر » دورا يبالغ الخطورة والاهمية في حياة كل منظمة

وكل نظام • فلكي ينتصر غريم على غريمه لا بد ان تكون الاسلحة - على أقل

تقدير - أسلحة واحدة •

وغير خاف على أحد ان هناك نواح سلبية في « وحدة العمل العربي » وهي

بالتالى عون لاعدائنا ينفذون منها لضربنا ولعل أهم العيوب انما هي :

١ - ان الاحزاب السياسية قامت في اكثر البلاد العربية تقليدا مشوها للاحزاب الغربية

لقد قلنا عند دراستنا للديمقراطية ان الاحزاب السياسية في البلدان او الدول

المتخلفة انما عيها يكمن في كونها نسخا مشوهة وتقليدا أعمى للتنظيمات السياسية

الغربية دون نظر او أدراك منها الى عمق التباين الاجتماعي والاقتصادي والفكري

بينهما • وبداهة ، فأن الاصل في الاحزاب انها تنبع من المجتمع وتمثل حقيقة

الواقع الاجتماعي أصدق تمثيل • وبدون ذلك فانها لا تعدو ان تكون هياكل من

خشب خالية من روح الشعب !

٢ - كثرة التنظيمات السياسية في الوطن العربي

ان كثرة التنظيمات في بلد ما يؤدي الى انقسامه وهذا الانقسام عامل هام يؤدي الى ضعف هذا البلد . ذلك ان كثرة التنظيمات تؤدي من غير ادنى شك الى تشتت القوى وتوزيعها .

في حين ان الظروف الخطيرة التي تمر بها امتنا العربية تفرض عليها ضرورة « وحدة » هذه القوى ، ان التعدد يؤدي الى التشتت . وهذا التشتت يؤدي الى عجز هذه القوى للموقوف أمام أعدائها .

ان الجيوش على تعددها وكثرة عددها انما تخضع لقيادة واحدة وهذا ما يمكنها من تحقيق الانتصار ، كذلك التنظيمات السياسية فإنها احوج ما تكون الى وحدة القيادة ووحدة التنظيم ، فهما من الزم العناصر جمعا وتوحيدا للقوى الثورية .

ان الاحزاب الشيوعية تعد من أقوى الاحزاب دقة في التنظيم وخضوعا للقيادة . فليس في العالم حزبان شيوعيان يمارسان العمل السياسي على أرض واحدة !

ولكننا نرى في أرضنا العربية كثيرا من المنظمات السياسية ذات الاهداف المتشابهة ولكنها متفرقة كل تعمل ضد الاخرى وهذا ما يؤدي بدوره الى ضعف الحركات الثورية فيها . اذ لا بد من وجود حزب واحد - وليست احزابا متعددة - يخضع لتنظيم واحد وقيادة واحدة . فما اجدرنا - نحن العرب - ان يكون تنظيمنا السياسي واحدا مادامت اهدافنا واحدة هي الاخرى . لقد كان لانقسام المعسكر الشيوعي الى كتلة سوفيتية واخرى صينية اثر واضح في وقف القوى الاشتراكية ، وكيف ان هذا الصراع عاد بأسوأ النتائج على معسكر (اليسار) وتراجعه الملحوظ امام قوى اليمين التي ظلت موحدة الاهداف والخطط (موقف فرنسا في مبادرتها الى مساعدة السنغال ضد قوات غينيا لنجدة نكروما من اجل عودته الى السلطة بعد الانقلاب ، دليل أقطع الدليل على ما نقول ، فعلى الرغم من

خلاف فرنسا مع الغرب ، الا ان الغرب ظل موحد الخطط والاهداف وقوفا ضد كل خطر يهدد مصالحه بالفناء) •

٣ - عجز التنظيمات السياسية القائمة من تحقيق اهداف الجماهير انكادحة

كثير من الاحزاب السياسية في الوطن العربي ، قامت لاسباب اقتضتها الظروف التاريخية التي مر بها النضال « الاقليمي » • فكانت دعوات هذه الاحزاب تنحصر في بلوغ الاستقلال كهدف لها حتى اذا ما حصلت « الاقطار » العربية على استقلالها ، جمدت تلك الاحزاب دون ان تستطيع مواكبة الجماهير العربية في تطورها هدنا ومصيرا الى اقامة مجتمع الكفاية والعدل وتحقيق الوحدة العربية • وما اكثر الاحزاب التي غيرت اسمها جبا منها في مواكبة الركب الثوري ، ولكن ظلت « حجيرات » الحزب عاجزة عن التفاعل الحقيقي مع الزخم الثوري للجماهير •

وما اكثر الاحزاب التي انقسمت وانشطرت ثم راحت تريد لنفسها « وجودا » بين الجماهير ولكنها كانت هي الاخرى تحمل « بذور » العجز والضعف فما لبثت ان ماتت دون ان تحقق شيئا !

٤ - غياب الوضوح الفكري لدى الاحزاب السياسية :

الامر الذي لا يختلف فيه اثنان هو ان « الفكر » يلعب دورا خطيرا وقياديا في شد الجماهير وتوجيهها ، ولقد دأبت الاحزاب - ولا زالت - على تغذية برنامج الحزب بأفكار تصحح لان تكون حلا للمشكلات التي يعاينها الوطن العربي • بل ان الاحزاب السياسية قد عانت كثيرا من عجزها (الفكري) بحيث استبقت الجماهير الاحزاب ، وكانت الاخيرة تجري خلف الجماهير لاهثة الانفاس لا تستطيع مواكبتها تفاعلا أو فاعلية •

ان « الفكر » عامل هام يعمل على ترسيخ العقيدة ، وبالتالي فإنه يخلق جوا ملائما لتلاحم الجماهير وسهولة قيادتها • فالايمان الفكري قوة دافعة لتحقيق الاهداف الكبرى التي تحرص على بلوغها التنظيمات السياسية •

ولقد عانت كثير من الاحزاب السياسية ما يعرف بالفراغ الفكري •

٥ - سيطرة البورجوازية على القيادات الحزبية :

ان كثيرا من التنظيمات الحزبية التي قامت في الوطن العربي كان عيبها كامنا في قياداتها لان هذه القيادات انما كانت تسيطر عليها الطبقات البورجوازية ولذا فأن اندفاعها انما كان اصلاحيا وليس ثوريا • بل لقد تفننت (البورجوازية) في امداد الاحزاب بأبنائها فترى عائلة واحدة مثلا لها في كل حزب من يمثلها ! بل ان الاسرة الواحدة قد جعلت من الاب منظما الى حزب رجعي ، واحد ابناؤه عضوا في الحزب « الشيوعي » وثاني ابناؤه عضوا في حزب « البعث » وثالث ابناؤه اشتراكيا أو في « الحركة الاشتراكية » وهكذا ! فهذه القيادات البورجوازية انتهت بالوقوف عند تعرض مصالح هذه الطبقة الى الخطر وهذا ما يؤدي الى شل الماكنة الحزبية وعدم تلاحمها مع الجماهير العطشى الى التغيير !

ان الجماهير العربية - محكومة بالتخلف - تطمح الى اقامة البناء الاشتراكي للمجتمع العربي حيث تسود فيه الكفاية والعدل والمباراة • وعليه فان الجماهير قد لفظت تلك القيادات التي كانت سببا في ضعف التنظيمات الحزبية في وطننا العربي •

بعد هذا الذي قلناه ، ونظرا لطبيعة المرحلة النضالية لجماهيرنا العربية ، فأن وحدة القوى الثورية امر يفرض نفسه •

ولا بد من قيام تنظيم سياسي جديد بدماء جديدة ، فلقد اثبتت « النكسة » المروعة في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ والتي أنتهت بهزيمة عسكرية للجيش العربي التي شاركت في القتال ضد اسرائيل فشل الانظمة السياسية القائمة على الارض العربية ثم فشل الاحزاب والتنظيمات المختلفة • واثبتت ان العرب كانوا - كما كنت قد قلته مرة (١) - (يحسنون معالجة مشكلاتهم اقوالا

(١) من كلمة ارتجلتها بمناسبة يوم ذكرى التقسيم المشؤوم في ١٥-٥-١٩٦٧ في قاعة الشعب وبدعوة من منظمة التحرير الفلسطينية •

ولا يحسنوا معالجتها أعمالا ، كذلك أكدت ما قلته مرة أيضا (٢) (ان مشاركتنا
لتحرير فلسطين انما يقوم الكفاح من أجلها كفاحا من نواح وكان حريا ان يكون
كفاحنا كفاحا يقوم على جراح !!) •

لقد أتبع إسرائيل منذ قيامها اساليب علمية وتكنيكية بل انها حرصت على
الموت في سبيل استمرار بقائها ، في حين انصرف العرب الى معارك جانبية اساسها
التشهير وسداها المهاترات ثم الاستخفاف بالعدو قولا لا عملا !

لقد نجحت اسرائيل في كسب الرأي العام العالمي بفضل اجهزتها الصالحة
والكفوءة رغم بطلان الدعوى الاسرائيلية التي لا تقوم على أساس لا من الحق ولا من
العلم ولا من المنطق ، في حين فشلت الاجهزة العربية حتى في توضيح قضيتهم على الرغم
من كون الحق في جانبهم وذلك لضعف هذه الاجهزة على المستوى الدبلوماسي
والاعلامي •

ان بلدا يريد الحياة في عصر (الذرة) لا بد له ان يتسلح بالعلمية وان يضع
الرجل الصحيح في المكان الصحيح وأن توكل الامور الى أهلها • ولقد عبرت
الجماهير العربية أصدق تعبير في ٩ من حزيران عن ثقتها بقيادة عبدالناصر لانه
رجل المعركة •

ان التمشدق بالكلام والتحدث عن (ثورية) نظام ، لن يورث اصحابها
سوى الفشل والهزيمة ، وانه آن للعرب ان يستفيقوا من سباتهم وينهضوا من
كبتهم ذلك ان طريق النضال ما كان الكفاح فيه جراحا وكلوما لا نواحا
وكلاما !!

ان كثرة التنظيمات يعطل فاعلية القوى الثورية بل وجودها موزعة
ومتعددة خطر كفيل بالقضاء عليها !

ان وحدة القوى الثورية في الوطن العربي ليست مجرد رجاء لتحقيق
أمنية ، وانما هي قبل كل شيء ضرورة (حياتية) ومصيرية تمتدعيها طبيعة الصراع
على ارضنا ، الى جانب كونها تعبيرا نضاليا لتحقيق اهداف الشعب العربي في حياة

حرة كريمة • كذلك فإن في وحدة القوى الثورية ضمانا كدرع حصين وسياج متين يوقى الجماهير خطر اعدائها • ومادما كعرب نؤمن بالامة الواحدة من الخليج الى المحيط : مجتمعنا حرا اشتراكيا ، فان وحدة القوى الثورية هي الطريق العلمي والعملية لتحقيق هذا الهدف • ان في وحدة الهدف صمام الامان لضمان مكاسب الشعب العربي فبدونها تكون « الثورات » انقلابات تضع الامة العربية تحت حكم ديكتاتوري أو اقامة سيطرة رجعية عميلة !

وبعد فأحسب ان « الاتحاد الاشتراكي العربي » في الجمهورية العربية يقع هو الاخر تحت طائلة اللوم والحساب ، ذلك ان الاتحاد الاشتراكي العربي لو تحول الى جهاز ثوري ، لكان قوة ثورية هائلة في تجميع الطاقات النضالية ليس على صعيد الجمهورية العربية فحسب وانما لتشمل الامة العربية من محيطها الى خليجها • فالعربية المتحدة كما يقول ميثاقها : (تؤمن بأنها جزء من الامة العربية لا بد لها ان تنقل دعوتها والمبادئ التي تضمنتها لتكون تحت تصرف كل مواطن عربي ولا ينبغي الوقوف لحظة أمام الحججة البالية القديمة التي قد تعتبر ذلك تدخلا منها في شؤون غيرها •

ان الثورة العربية لا تتجزء • ولا بد منها لتشمل الامة العربية • ان وقوفها عند حدود قطر يؤدي حتما الى سقوطها ، فالثورة مستمرة ، ولا بد من استمرارية النضال • لان النضال الثوري لا يقف ولا ينتظر ، لانه عمل دائم ومستمر •

كذلك ارى وجوب فتح ابواب « المعهد الاشتراكي العربي » الى الراغبين اليه انتماء في الاقطار العربية فان تخريج « الكوادر » السياسية ركيزة اساسية في كل تنظيم ثوري من جهة ، ولتكون عاملا اساسيا في الالتحام نضاليا مع الجماهير من جهة أخرى •

ولما كانت هناك « معوقات » تحول دون وحدة القوى الثورية ، لعل اشهرها خطرا هو تسلل اعداء القوى الثورية أو اعداء الثورة العربية من عملاء وانتهازيين ، فان هذا الامر يؤكد أهمية الدور القيادي للكوادر في كشف العملاء والانتهازيين واستئصالهم من التنظيم السياسي •

بعد هذا الذي قلناه ، لابد لنا ان نتساءل ترى من هي القوى الثورية؟!
ان تحديد وتعيين القوى الثورية ضرورة أساسية مادما نهدف الى وحدتها
ومادما في معركة مع أعداء الجماهير •

في الاصل ليست هناك موازين نزن بها الثوري من غيره • ولكن هناك
معيارا يمكن ان يتخذ اساسا لتحديده ألا وهي المواقف التي تصدر من الانسان
أزاء المشكلات التي يتعرض لها • ولكي نكون أكثر تحديدا لابد لنا من إعطاء
تعريف للثوري • وفي رأبي فأن الثوري هو ذاك الذي ارخص حياته في جهاده
نضالا لاسعاد الجماهير دون استغلال ولا استعلاء!

ولعل أصدق معيار لتحديد القوى الثورية انما قدمته لنا أحداث الانفصال
الذي حدث في سورية عام ١٩٦١ • فما ان طبقت الاشتراكية حتى رأت الرجعية
في سورية ، تؤازرها الرجعية العربية ، بتطبيقها خطرا يهدد بالموت وجودها •

والتاريخ العربي حافل بالشخصيات التي كانت داعية وحدة عربية وساعية
الى تحقيقها ولكنها دعوات مزيفة تهتم بالمظهر دون الجوهر • فمادامت المستويات
الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في البلاد العربية متخلفة ومتأخرة فان الدعوى
الى الوحدة ليست سوى المحافظة على التخلف وابقاء الرجعية ومن ورائها
الاستعمار في أرضنا • فنوري السعيد كان - بالزيف - يدعو الى الوحدة وهناك
حكام عرب كثيرون يدعون - بالزيف - الى الوحدة • ولكن لابد للوحدة من
ركائز أساسية وقواعد جماهيرية حتى تستطيع ان تبقى حية دون خطر • ولذا
فان « الاشتراكية العلمية » بتطبيقها العربي هي في نظري فيصل التفرقة بين الثوار
الحقيقيين من غيرهم •

ولما كانت انظمة الحكم مختلفة في الوطن العربي ، فأن التنظيم السياسي ينبغي
ان يكون قطعا - وبالضرورة - تنظيما نابعا من القاعدة الشعبية وليس فرضا تفرضه
هذه السلطات •

ان كل مواطن عربي مؤمن مدعو ومطالب بأن يشارك في دعم (الثورة

العربية) وان كل منظمة سياسية مطالبة بالاسهام حتى التضحية في محاربة القوى الرجعية في هذا الظرف العصيب •

ان وحدة القوى الثورية نداء - يفرضه الواجب موجه الى القوى الثورية مادامت تسعى هي الاخرى مؤمنة بالعمل على تحقيق اهداف أمتنا في الحرية والاشتراكية والوحدة •

بعد هذا الذي قلناه ، لابد لنا ان نتعرف على الاحزاب السياسية • ترى ما المراد وما المقصود بالحزب السياسى ؟ ما هي عناصر الحزب ؟ وما هي تكوينته الداخلية والى غير ذلك من المواضيع وهذا ما سوف نتناوله بالبحث في الفصل الثاني •

الفصل الثالث

الاحزاب السياسية

تميزت حياة المجتمعات - ولا زالت كذلك - بانها دائمة النزاع ، دأبته الصراع ، تعج بالمنافسات وتسيطر عليها المشاحنات ، ففي كل مجتمع صراع ! تارة يقوم ما بين الافراد واخرى يقوم ما بين الجماعات . وليس من شك ان هناك عوامل متعددة تعمل على تغذية هذا الصراع وذاك النزاع .

ويمكننا القول بان هناك صراعا فرديا وصراعا جماعيا ، كما ان في الحياة صراعا علنيا وصراعا خفيا ! ونستطيع ان نميز في الصراع الجماعي نوعين هما :

آ - صراع جماعي غير منظم .

ب - صراع جماعي منظم .

ومن القسم الاخير ينبثق - وبالتحديد - موضوع الحديث عن « الاحزاب والتنظيمات السياسية » وعليه فأتنا سوف ندرس في هذا الفصل المواضيع التالية :

١ - تعريف « الحزب السياسي » .

٢ - نشأة الاحزاب السياسية .

٣ - الصراع السياسي .

ذلك ان الاحزاب السياسية انما هي في الاصل اجهزة صراع قامت لتقاوم الحكم التعسفي ، ولذا فأتنا سوف نحاول ان نتعرف عما يراد بكلمة حزب سياسي ثم نكرة عامة عن نشأة الاحزاب السياسية محاولين بعدها ان نسلط الضوء على الصراع السياسي لما له من علاقة لصيقة ووثقى بدراسة الاحزاب السياسية .

المبحث الاول

تعريف الحزب السياسي :

الحزب لغة معناه قسم أو جزء وهو يضم مجموعة من الناس ، أما كلمة (سياسي) فان هذه الكلمة تعني معاني كثيرة أقربها هو أنها تتعلق بالسلطة • وهناك تعاريف عديدة للحزب منها تعريف (بنيامن كونستان) اذ عرفه بأنه (اتحاد اشخاص يعتقدون نفس المبادئ السياسية) (١) •

وعرفه الاستاذ (كلسن) بانها « تلك المنظمات التي تجمع بين رجال ذوى رأي واحد لتضمن لها تأثيرا حقيقيا فعليا في ادارة الشؤون العامة » (٢) • كذلك عرفه (بيرك) بأنه (مجموعة من الناس اتحدوا للعمل بمجهودهم المشترك على تحقيق الصالح العام على اساس مبدأ بذاته يتفقون كلهم عليه » (٣) • والحزب في رأي (روبرت • م • ماكير) هو أداة الرأي في الديمقراطية الحديثة » (٤) •

ولقد عرفه البرفسور (اوستن وني) بأنه جماعة منظمة ذات استقلال ذاتي تقوم بتعيين مرشحيها ، وتخوض المعارك الانتخابية على أمل الحصول على المناصب الحكومية والهيمنة على خطط الحكومة » (٥) • أما انا فاني اعرفه بأنه (مجموعة من الناس ينتظمهم تنظيم معين وتجمعهم مبادئ ومصالح معينة ويهدفون الوصول الى السلطة أو المشاركة فيها) • ومن تعريفاً هذا للحزب نستطيع ان نميز بين الاحزاب السياسية والجمعيات الخيرية وكذلك جماعة الضغط •

(١) Mourice Durerger, Op. Cit., p.

- (٢) هانس كلسن - الديمقراطية - المصدر السابق ص ٢٢ •
(٣) ورد في كتاب كراهام والاس - الطبيعة البشرية في السياسة - تعريف عبدالكريم أحمد - ص ٧٨-٧٩ •
(٤) المصدر السابق ص ٢٥٩ •
(٥) المصدر السابق - الجزء الثاني ص ٣ •

واساس التفريق يقوم على ان الاحزاب السياسية تسعى دوما الى الاستيلاء على السلطة أو المشاركة فيها • اما الجمعيات الخيرية فليس لها هدف سياسي معين • أما بالنسبة الى جماعات الضغط ، فان بين الاثنين فروقا يحسن بنا الوقوف - ولو قليلا - عندها •

وقبل الحديث عن الفروق ما بين الحزب السياسي وجماعة الضغط ، لابد لنا من معرفة بعض خصائص جماعات الضغط ، ذلك ان هذه الخصائص هي خير عون لنا وسبيل يقودنا الى معرفة الفوارق بينهما •

الاصل في هذه الجماعات انها تقوم على المصلحة الخاصة أولا واخيرا • فهم جماعة عرفوا بذكاء فريد وقدرة للاح ، قديرون على ان يتحركوا في كل مكان • مدفوعين بهدف المكاسب والارباح عن طريق العلاقة والصدقة وكذلك بتأثير المال وسلطانه الذي لا يقاوم !

ولذا فان جماعة الضغط انما في حقيقة جوهرها تشكل خطرا يهدد مصالح العامة من الناس • أما خصائصها فهي تضع المصلحة الخاصة في الاعتبار الاول من أهدافها وغاياتها وهي بذلك تضرب المصالح العامة للبلاد • في حين ان الاحزاب ليست كذلك نظريا ! وان كان بعض هذه الاحزاب قد يرتكب مثل هذا الخطأ عمليا •

كذلك فان جماعة الضغط تفتقر في عملها الى الاسلوب الديمقراطي لانها تقوم على الطاعة المطلقة للرئيس •

والديمقراطية - كما يفهم منها - انها احكم الشعب يقضي معناها ومبناها أن تكون حريصة كل الحرص على « وحدة الامة » فهي - اي الديمقراطية - ضد كل تكنل أو تحزب ! بل هي حتى ضد كل احتكار !

كذلك يمكننا القول ان جماعات الضغط لا هدف لها سوى مصالحها الخاصة وبالتالي فان لها لعبتها الخاصة على النطاق الحكومي والنطاق المحلي ، فهي تبحث دوما عن تحقيق مصالحها وحماية مكاسبها دون اعتبار للمصلحتين الحكوميه والمحلية • كذلك تمتاز جماعة الضغط بانها تبرر كل عمل (الغاية تبرر الوسطة)

فهم لا يترددون اطلاقاً في استعمال اسوأ السبل والافعال لتحقيق مصالحهم وغاياتهم المادية ، وهذا ما يدفعهم الى اتباع اساليب غير اخلاقية وصولاً الى اهدافهم •
ومن هذه الخصائص نستطيع القول بان بين الاحزاب السياسية وجماعة الضغط فروقا ، وهذه الفروق هي كما يلي :

١ - الاحزاب السياسية تسعى عمليا ونظريا الى السلطة وترغب في الحصول عليها وممارستها كليا أو جزئيا عن طريق المشاركة •

في حين ان جماعات الضغط فهي ترغب في السلطة ولكن ليس مباشرة ولا يمارسها احد منهم بل ان هذه الجماعات تدفع الى السلطة شخصا يرتبط بها ارتباطا مصلحيا ومن ثم تؤثر عليه (بالضغط) !

٢ - ان جماعات الضغط وهي لا تريد السلطة ، ولكنها تحرص كل الحرص على أن تضمن لنفسها نتائج أفضل ضمانا لمصالحها الخاصة وتحقيقا لمنافعها الاقتصادية من غير ان تتحمل ، ولو قليلا ، من المسؤولية •

في حين ان الاحزاب السياسية تعمل جاهدة ومجتهدة من أجل الوصول الى السلطة وهي تتحمل المسؤولية السياسية مع نتائجها •

وهكذا يتلخص لنا مما تقدم ، ان جماعات الضغط أو الضاغطة تختلف عن الاحزاب السياسية ، اذ ان الاولى انما تمارس (ضغطا) لتوجيه الرأي العام وتعمل على وصول جهة معينة الى السلطة • وهذه لا تمت الى جماعة الضغط الا بصلة المصلحة ولذا فهي لا تهدف الى الوصول الى السلطة • كذلك ليس من دأبها المشاركة في ممارستها كما هو الحال في الاحزاب السياسية •

بعد هذا الذي قلناه عن الفروق بين جماعات الضغط والاحزاب السياسية ، نعود الى تعريفنا للحزب السياسي (مجموعة من الناس ينتظمهم تنظيم معين وتجمعهم مبادئ ومصالح معينة ويهدفون الوصول الى السلطة أو المشاركة فيها) •

ومن تعريفنا هذا للحزب يمكننا القول بان هناك عناصر أساسية في الحزب يقوم عليها ألا وهي :

١ - مجموعة من الاشخاص :

لابد في كل حزب سياسي من وجود جماعة من الناس ينضمون اليه طواعية ويعتقون مبادئه ، مؤمنين به وبها عاملين على نشرها والدعوة لها والدفاع عنها • وليس بندي بال أن يكون عددهم كبيرا أو صغيرا في قيام الحزب وتكوينه • غير انه من الناحية السياسية فان اهمية كبرى تعطي للحزب الذي يمتلك قاعدة شعبية • فكلما كان العدد البشري فيه كثيرا كلما كان وصوله الى السلطة امرا ميسورا ، فضلا عن ان هذه الكثرة الكاثرة تعطي كسبا للحزب مغنويا وماديا اذ انهم ما أقبلوا على الانتماء الى الحزب الا لكونه حزبا شعبيا يحظى بتأييد شعبي الى جانب ان مبادئ الحزب وبرنامجه محيطان ومتنهماان لطبيعة الاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ولذا أقبلت هذه الجموع - زرافات ووحدا - انتماء وانضواء اليه •

٢ - وحدة المبادئ :

لابد في كل حزب سياسي من منهج يمثل وضوح الرؤية الفكرية متضمنا المبادئ التي يؤمن بها ويعمل جاهدا ومجتهدا على نشرها • ولقد غدت للمبادئ أهمية بالغة في حياة الاحزاب وكذلك الانظمة السياسية • فالصراع الدائر الآن بين المعسكر الاشتراكي والعالم الرأسمالي انما هو صراع مبادئ وعقائد يعمل كل جانب على نشرها وكسب تأييد عالمي لها • ولا مراء في ان العقيدة (الايدلوجية) تفعل أثرها في كسب الناس • فلا بد لمن يريد الانتماء الى حزب أو لمن يريد تأييد نظام سياسي من تفهم لمبادئها اولا ، وعند ذاك يكون هذا الفهم والادراك سببا في انتقاله الى الايمان بها والدفاع عنها والترويج لها •

وهكذا تكون المبادئ (العقائدية) المحور الذي يجذب ويكسب الجماهير الشعبية • ولن يعيش حزب ولا نظام سياسي اذا لم يكن لهما مبدأ أو عقيدة

فلائظمة السياسية وكذلك الاحزاب انما يميز بعضها عن البعض الآخر بمبادئها
وايدولوجيتها •

٣ - وحدة التنظيم :

كما أن الجيش يخضع الى تنظيم صارم دقيق ، كذلك الاحزاب السياسية
ينبغي أن يكون تنظيمها صارما • اذ لابد من خضوع المنضمين اليها خضوعا تاما ،
ما دامت الاحزاب السياسية اجهزة صراع وصولا الى السلطة ، ولا بد للحزب أن
يواجه اعداءه • ولما كانت الحياة السياسية صراعا - كما قلنا - وجب أن يكون
هذا الصراع منظما وأن يكون أعضاء الحزب مدركين حد الايمان معنى النظام
وواجب الطاعة التي هي أساس لكل نضال •

والحزب لن يستطيع « تأدية هذه المهمات ، الا اذا كان هو نفسه يجسد
نظام (الضبط) الطاعة وروح التنظيم » (١) • ولعل من فضول الكلام القول بان
عصر التنظيم والضبط يلعب دورا رئيسا ومهما في حياة الاحزاب السياسية ، اذ
على مقدار قوة التنظيم وسيطرته يتوقف نجاح الحزب في حياته السياسية •
وفي الحقيقة والواقع ، فانه ما دامت في المجتمع نشاطات اجتماعية متضادة ،
فان التنظيم يفرض نفسه كضرورة لا غنى عنها •

٤ - وحدة القيادة :

لابد لكل جماعة تبغي اهدافا معينة وتسعى الى تحقيقها ونشرها من تنظيم
يجمعها وينسق عملها • والامر لا يقف عند حدود التنظيم اذ لابد لكل تنظيم
من قيادة •

فوحدة القيادة امر بالغ الاهمية والخطورة للانظمة السياسية وكذلك
الاحزاب •

والسلطة في الاصل واجبة الوجود لكل جماعة تريد ان تنتظم فيما بينها
فكرا وعملا ورغبة في الوصول الى تحقيق اهدافها التي بها تؤمن وهذه السلطة

(١) ستالين - الحزب - دار بغداد ١٩٥٩ ص / ١٠ •

لا بد لها من (قائد) يدبر أمر الجماعة ويدير شؤونها ، فلا يمكن القول بان يكون على رأس منظمة أو نظام قائدان • اذ هيات ان يجتمع اثنان في قرن • أو سيمان في غمد كما قال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) •

٥ - الوصول الى السلطة :

كل حزب له هدف واضح يعمل من اجله عملا حثيا ومتوصلا الا وهو الوصول الى السلطة •

اذ عن طريق (السلطة) يكون في مكنة الحزب وقدرته تطبيق البرنامج أو المنهج الذي يتضمن مبادئه الرئيسية في العمل السياسي ، ونظراته وآراءه في اصلاح وتطوير الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية •

فما دام الحزب بعيدا عن السلطة ، تكون مبادئه وبرنامجه نظرية فقط • ولكي يثبت الحزب اقدامه في امتلاك قلوب الناس ، لا بد له من مجال عملي وتطبيقي حتى يعطي للجماهير دليلا قاطعا وبرهانا ساطعا على ايمانه بها فكرا وعملا ، نظريا وعمليا •

ولطالما تكشفت حقيقة كثير من الاحزاب عند وصولها الى السلطة اذ انها ابتعدت وعجزت عن تحقيق المبادئ التي كانت تنادى بها وتدعو الناس الى اعتاقها •

ان آفة الحزب انما هي حياته التطبيقية ، فهنا فقط تظهر حقيقته وليس الامر هنا مقصورا على الاحزاب وحدها بل يتعداها ليشمل الانظمة السياسية وكذلك الافراد •

وكلمة اخيرة ، لا بد لنا من القول ان الاحزاب السياسية تختلف عن الجماعات الدينية والثقافية ، ذلك ان الاولى - كما رأينا - حريصة على السلطة امتلاكها كليا أو جزئيا عند المشاركة فيها ، في حين ان اهداف الجماعات الدينية انما هو التأثير على الرأي العام دون الرغبة في الوصول الى السلطة أو المشاركة فيها •

بعد هذا الذي قلناه ، عن تعريف الحزب ، يكون من الضروري التعرض

- ولو بايجاز - الى اهمية الاحزاب السياسية • ولقد نوه احد المعينين بدراسة الاحزاب السياسية عن اهميتها قائلاً :

« بانه لا توجد من القوة المؤثرة في حياة الانسان ما اهملت دراسته كالاحزاب ، رغم انه لا يوجد ما يستحق العناية في دراسته مثلها » (١) •
ان اهمية الاحزاب السياسية كامة وقائمة في الوظائف التي تقوم بها في النظام الديمقراطي (٢) وهي !

١ - تحاول الاحزاب السياسية استقطاب المواطنين وتشجعهم للمساهمة بدور فعال في النشاط السياسي وبخاصة في الانتخابات •

٢ - الاحزاب السياسية تحدد وتعرف المشاكل والقضايا السياسية القائمة وتضع لها الحلول التي من المحتمل أن تسلكها الحكومة في معالجتها لهذه المشاكل •

٣ - الاحزاب السياسية اداة يستطيع المواطنون بواسطتها تنظيم انفسهم والمساهمة بصورة فعالة في رسم وتحديد السياسة العامة •

٤ - تتميز الديمقراطية بتركيزها على ضرورة انتخاب المواطنين لحكامهم ومن خلال المنافسة السياسية ما بين الاحزاب المتصارعة اثناء الانتخاب ، قد يستطيع المواطنون التعبير عن وجهات نظرهم بشأن انتخاب حكاهم •

٥ - حزب المعارضة في النظام الديمقراطي ، من خلال معارضته ونقده ، لنهج وأعمال السلطة يحاول لفت نظر الحكومة الى وجهات نظر سياسية لحزب

(١) وردت في كتاب كليفتون روسيتر - الاحزاب في امريكا - ترجمة الدكتور محمد لبيب شنب ، ص ٣ •

(٢) فائق علي الهاشمي - في رسالة الماجستير والتي هي تحت عنوان :

The City Manger Plan in Theory and Practics — a Thesis Presented to the Graduate Concl of The University of Tennessee — 1967, PP. 72-73.

الإقليمية. • فضلا عن ذلك ، يحزب المعارضة يحاول تقييم أعمال وانجازات الحكومة مؤكدا على مسؤوليتها السياسية ازاء الرأي العام. •

٦ - من خلال النشاط السياسي للأحزاب السياسية تقوم الأخيرة بترشيح المرشحين للوظائف وتمنحهم الفرصة للاستمرار في مراكزهم لحقبة

أخرى. •

٧ -

٧ -

٧ -

٧ -

٧ -

٧ -

٧ -

المبحث الثاني

« نشأة الأحزاب السياسية »

الحياة السياسية قديمة قدم الدنيا • والصراع السياسي ظهر منذ أن وجد الإنسان على ظهر هذه الأرض • وفي الحقيقة فإن البشر كل يعمل على شاكلته ، ولكل منهم أهداف وآمال في هذه الحياة وهي تتأثر بعوامل معينة في أن تكون مواقفهم سلبية أو ايجابية • والافراد مختلفون من حيث الآمال والاميال ، فلكل واحد منهم افكاره ومعتقداته وطموحه • وليس من شك ان العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية تلعب دورها الاول والرئيس في اختلافات الناس التي تجعل الشعب الواحد (احزابا) و (شيعا) •

ان سوء توزيع الثروة : وفيرة حتى التخمّة في قلة قليلة من الناس ، وفقير مدقع يسود الاغلبية منهم ، مصدر دائم وهام في اختلاف الناس وبالتالي انقسامهم وحدوث الصراع بينهم •

هذا التناقض وهذا الاختلاف فيما بين قوتين مالكة وهي حاكمة ومملوكة وهي محكومة (اختلاف المصالح الاقتصادية والاجتماعية) عامل من أبرز العوامل في نشوء الاحزاب السياسية • كذلك تلعب الافكار والتقاليد والاختلاف الديني والعنصري ادوارا هامة في تكوين ونشوء الاحزاب السياسية •

كذلك قد يؤدي تعسف السلطة واحتكارها للامتيازات وجعلها قاصرة على قلة من الناس دون أعمال للصالح العام أو لمصلحة الاغلبية ، عاملا من عوامل نشوء الاحزاب تغييرا للحكم وللطبقة الحاكمة • ولطالما عملت الجماهير - ولا زالت تعمل كذلك - على تغيير انظمة الحكم لانها - أي الانظمة - لا تعبر عن آمالها وتطلعاتها ولا تتحسس بالآمالها وأوصابها •

هذه الصور المختلفة أسهمت في قيام ونشوء الاحزاب السياسية • ولقد عرفت الشعوب في الماضي الاحزاب السياسية (كما رأينا ذلك عند حديثنا عن

الديمقراطية) • ولكن الامر الذي ليس فيه شك هو ان الاحزاب في العهود السحيقة انما كانت (احزاب فكر) ، ولعلها هي المظهر الاوّل لقيام الاحزاب السياسية في أقدم العصور والدهور • الى جانب (احزاب المصالح) المتناقضة المتمثلة في احزاب (الاغنياء والفقراء) •

وعليه فإن تلك الاحزاب لم تكن قائمة ومنظمة تنظيماً علمياً حديثاً كما هو شأن الاحزاب في الوقت الحاضر •

ان دراسة الاحزاب دراسة حديثة وقيام الاحزاب أو نشوؤها نشوءاً - حديثاً وعلمياً - انما يرجع الى عام ١٨٣٢ في بريطانيا (١) •

ويمكننا القول اضافة الى ما ذكرناه من أسباب قيام الاحزاب ، ان عوامل أخرى لعبت دورها - ولا زالت تلعب دورها - في تكوين الاحزاب السياسية ويمكن حصرها بما يلي :-

عوامل اجتماعية ، اقتصادية ، ايدلوجية ، عوامل محلية وعوامل دينية الى غير ذلك •

كما يمكننا القول ان الرغبة في تغيير الطبقة الحاكمة بأخرى ، انما قويت بفضل انتشار المبادئ الديمقراطية وظهور مبدأ الاقتراع العام • كذلك الرغبة في التغيير الاجتماعي •

وعليه يمكننا القول (مع البرفسور ديفرجيه) ان هناك نوعين من العوامل ساهمت في نشوء الاحزاب الا وهي : ١ - برلمانية ٢ - خارجية •

آ - العوامل البرلمانية :

ان الاحزاب السياسية انما قامت بفضل نشوء الجماعات البرلمانية أو الكتل البرلمانية • فظهور (اللجان البرلمانية) انما كان سبباً من الاسباب التي ادت الى نشوء الاحزاب •

(١) يرى البرفسور موريس ديفرجيه ان تاريخ الاحزاب السياسية في اوربا انما يرجع الى عام ١٨٥٠ •

صحيح ان المجالس السياسية وجدت قبل وجود الانتخابات ولكن الاخيرة تعد قطعاً مظهراً اصيلاً من مظاهر الحياة البرلمانية التي اقترن بها ميلاد الاحزاب السياسية الحديثة •

ولعلنا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ، ان الاحزاب في الماضي انما قامت لتكون جهازاً انتخابياً نواتها اللجان الانتخابية • ولقد كانت الاحزاب تابعة وخاضعة الى سيطرة الكتل البرلمانية أو الى سيطرة قادة برلمانيين بارزين • حتى اذا ما ظهر الصراع الطبقي تبدلت الاحزاب من اجهزة انتخابية وأصبحت اجهزة صراع وكفاح !

ففي ظل الحياة البرلمانية ولمدة طويلة كانت الاحزاب تحيا حياتها مع البرلمان دونما تفريق كما يقول اوسترو كورسكي (١) •

وكانت الاحزاب في الغالب انما تمثل مصالح اقليمية متصارعة اكثر من كونها احزاباً تمثل قواعد شعبية عريضة • حتى اذا ما جاء قانون عام ١٨٣٢ فان الامر في بريطانيا قد تبدل وتغير ، اذ رافق صدور هذا القانون ظهور تنظيمات حزب مركزي تعدى تأثيره وفعاليته لندن لتشمل المملكة كلها • وأول هذه التنظيمات انما هو نادي كارلتون الذي انشأه المحافظون • ومما يجدر الاشارة اليه ، ان الجماعات البرلمانية انما قد وحدها وشد بعضها الى البعض الآخر عوامل عدة لعل اهمها :

آ - المصلحة ب - وحدة الفكر ج - الاقليمية د - عامل المهنة •
اذ ليس من شك في ان المصلحة هي التي دفعت اللجان أو الجماعات البرلمانية لتتفق فيما بينها لتكسب تمثيل المناطق •

ويروى لنا التاريخ ، ان الجماعات المحلية كانت - وهي متأثرة بعوامل نابعة من المنطقة التي يمثلونها - قد أسهمت في ميلاد أحزاب سياسية وعلى سبيل المثال

(1) M. Ostrogorski — Democracy and the Organization of Political Parties. Volume 1: England, 1964, p. 70.

نذكر ان ممثلي المناطق أو الاقاليم المختلفة في فرنسا والذين كانوا يفتنون الى فرساي ، قبل الثورة الفرنسية حيث يجتمعون هناك ليتذكروا شؤون المنطقة وليسهموا في الدفاع عن المصالح الاقليمية التي يمثلونها • قد استأجروا (مقهى) يعتقدون فيها اجتماعاتهم • وبمرور هذه الاجتماعات نشأت فيما بينهم وحدة الرأي تغذيها مشاعرهم الواحدة النابعة من مصالح الاقليم الذي يمثلونه • وكيف انه وبمرور الايام كانوا يتقلون بعد مناقشتهم للمسائل الاقليمية الى المسائل العامة ذات الصبغة الوطنية • وهكذا صارت هذه الجماعة البرلمانية كتلة حرصت على ضم مختلف العناصر من الاقاليم الاخرى كلما وجدوا فيها ميلا في الاتفاق أو رأيا يتفق مع آرائهم وفكرة شبيهة لفكرتهم في حكمهم على القضايا العامة • وهكذا ولما يعرف بناي (بريتون) •

حتى اذا ما انتقلت الجمعية الوطنية الفرنسية من فرساي الى باريس ، أصبح لزاما على النادي المذكور أن يجد مقرا يعقد فيه اجتماعاته ، ولما لم يجدوا (مقهى) ليتخذوها مقرا لهم ، فانهم - مدفوعين بعامل الضرورة واحكامها - قد اتخذوا احد الاديرة مقرا ، وعرف المجتمعون باسم (اليعاقبة) اقتباسا من اسم الدير ! وليس بينا - من قرأ التاريخ الفرنسي - من لا يعرفه !

اما عامل المصلحة ، فمما لا ريب فيه هو ان كل نائب انما يحرص على دوام نيابته واستمرار تمثيله للبلاد •

ومن كان ليس عضوا في البرلمان ، فانه يعمل جاهداً ومجتهدا الى حد الاندفاع في صيرورته نائبا في المجلس • وليس الامر يقف في عامل المصلحة عند حد التباينة فقط بل هو حكم ساري على كل نشاطات الانسان وتطلعه تحقيقا لاهدافه التي بها يؤمن •

بنا - العوامل الخارجية :

يمكننا القول بان الجمعيات الفكرية وكذلك النقابات والجمعيات السرية كلها قد لعبت ادوارا واضحة في تكوين الاحزاب السياسية •

فللتدليل على دور الجمعيات الفكرية في تكوين حزب سياسي ، نجد أن الجمعية (الفابية)^(١) وهي جمعية فكرية اسهمت الى حد كبير وملحوظ في تكوين حزب العمال البريطاني (الحزب احاكم في بريطانيا الآن) .

• كذلك اسهمت النقابات المهنية في تكوين نفس الحزب (العمال) .

اما بالنسبة الى النقابات فلقد لعبت النقابات الفلاحية والتعاونية دورا هاما في تكوين الاحزاب السياسية اذ اسهمت في تكوين الاحزاب الفلاحية في الدول الاسكندنافية وأوروبا الوسطى وسويسرا واستراليا وكندا .

كذلك لعبت الكنيسة دورها الكبير في نشوء كثير من الاحزاب السياسية . ففي الدول المنخفضة وعلى أثر ظهور المذهب (الكالفيني) ، نشأ حزب سياسي من المؤمنين بافكاره وآرائه ليقف في وجه حزب المحافظين الكاثوليك . ولقد أسس البروتستانتون حزبا سياسيا ليقف هو الآخر في مواجهة الكاثوليك وكذلك لمواجهة اتباع المذهب الكالفيني .

ولا نكران ما للافكار الدينية من أثر في تكوين الاحزاب السياسية في أواخر عهد الخلفاء الراشدين وبعده . كذلك (جمعية الاخوان المسلمين) فانها مثل باهر الوضوح على ما نقول . كذلك تعتبر جمعيات المحاربين القداماء عاملا من العوامل الخارجية في نشوء وتكوين الاحزاب السياسية . فلقد كان دور هذه الجمعيات كبيرا في ميلاد الاحزاب الفاشية والنازية في كل من ايطاليا والمانيا . وفي فرنسا قام حزب في عام ١٩٣٦ يحمل اسم (الحزب الاشتراكي الفرنسي) وما هو في الحقيقة الاجماعه من المحاربين القداماء .

(١) جمعية اصلاحية تأسست في انكلترة عام ١٨٨٤ . وترجع هذه التسمية الى قائد روماني اسمه فايوس (القرن الثالث قبل الميلاد) عرف بخطة (الانتظار) وتجنبه ما امكن الاحتدام في معارك حاسمة مع اعدائه . والجمعية الفابية تضم المثقفين البرجوازيين . ولقد وصفها لثنين بانها تمثل اتجاه الانتهازية المتطرفة !

وتعتبر الجمعيات السرية ايضا من العوامل الخارجية لتكوين الاحزاب السياسية فكثيرا ما تقوم منظمات وجمعيات سرية لا يبيح لها القانون حق ممارسة نشاطاتها المختلفة ، فتعمد الى العمل السري وتتخذة اساسا لتحقيق اهدافها في قلب نظام الحكم وتغيير السلطة فيها أو تأخذ على عاتقها العمل على اشعال نار تحررية ضد السلطة الاجنبية • ومن الامثلة الواضحة على ذلك (الحزب الشيوعي الروسي) •

كذلك جبهة التحرير الجزائرية ، فلقد كانت منظمة سرية حتى اذا ما اندلعت الحرب التحريرية في الجزائر ، واستطاع هذا البلد العربي ان يحقق استقلاله بفضل ثورته المعجزة انقلبت المنظمة الى حزب سياسي بعد ان كانت منظمة سرية •

كذلك ينطبق القول على الحزب الشيوعي الروسي فانه كان يمارس نشاطه السياسي سرا حتى اذا ما نجحت الثورة وسيطر الثوار على الحكم ظهر حزبا سياسيا • وهناك امثلة أخرى في هذا السبيل •

ولربما يتساءل سائل ترى ما هي اسباب التأخر في نشوء النظام الحزبي ؟ ان اسباب ذلك كما أوضحها البروفسور ماكيفر تعود «الى الطابع الطبقي للدول التي نمت فيها الديمقراطية • وهذا الطابع اشد ما يكون بروزا في الطور الاوليغاركي الذي يسبق الطور الديمقراطي في هذه الدول • ففي هذا الطور الاوليغاركي تغطي المصالح الطبقية ، وتصبح المعارضة لذوي القدرة مقاومة من قبل الطبقات المستضعفة لاضطهاد الطبقة الحاكمة • ويظل التنظيم الحزبي متعدرا ، ما دامت الطبقة مستفحلة الى هذا الحد • ولا يمكن ان ينمو هذا التنظيم الا بعد ان ينجلى التمييز بين الطبقة والحزب » (١) •

(١) روبرت • م • ماكيفر - المصدر السابق - ص/٢٦٢ •

المبحث الثالث

الحياة السياسية والقوى المتصارعة

قلنا ان الحياة صراع ومعركة • يتلاقى على أرضها متصارعون يختلفون في ألوانهم ومشاربهم ومعتقداتهم وقد يكون المتصارعون افرادا كما قد يكونوا جماعات • كذلك الصراع فانه تارة مكشوفاً وعلنياً وأخرى مستورا خفياً !

ولقد قضت نواميس الطبيعة ان البقاء للأقوى وللأصلح • فالحياة معركة تجري بين قوى الخير وقوى الشر • بين الضعيف والقوى ، بين من يملك ومن لا يملك • كل ينافس الآخر ويريد ان يكون السبق له في هذه الحياة الدنيا •

والبشرية قد جنت خيراً وقيراً ، بعد ان ضحت كثيراً ، من ذلك الصراع وتلك المنافسة •

ان المجتمع حيث تعيش فيه قوى متصارعة : مؤمن طيب ، وكافر فاسد لا بد لهما من ان يتصارعا ويتنازعا ليظهر الايمان ساطعاً وليسقط الفساد صريعاً • فلولا الشر لما عرف الخير ، ولولا الظلمة لما عرف النور ، ان تنازع الاشرار مع الاخيار ، وتصارع القوى المؤمنة مع القوى الباطلة ، انما يزيد في تعلق الناس بالخير وكراهيتهم للشر ويدفعهم الى التمسك بالفضيلة والعمل على اجتناب الرذيلة •

قال الله في كتابه العزيز :

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » (١) •

هكذا الحياة يتدافع ابناءؤها نزاعاً وصراعاً ومنافسة • كل يعمل ما قدر له ان يعمل وما هو قادر عليه • والبشر مختلف الوانة كذلك مختلف عقائده •

(١) سورة البقرة - الآية (٢٥١) •

والانسن يعيش دوما يتطلع طموحا الى غايات واهداف ، وقد يسيطر عليه طموحه
فيسير في الحياة بلا هداية ولا دراية الا ما توحى به نفسه من سوء وان النفس
لامارة بالسوء •

هكذا الحياة اذن : صراع يقوم بين البشر ليذوم • وهكذا يتدافع الناس
حتى ينصلح أمرهم •

وحياة الاحزاب السياسية صراع دائم • كل حزب بما لديهم فرحون • وكل
يدعي ان الحق بجانبه وانه يمثل الاغلبية من الناس •

وليسمت الحياة السياسية وقفا على الاحزاب بل ان هذه الحياة تشارك فيها
القطاعات واجهزة الاعلام والمعتقدات كذلك تؤثر في الصراع الانتماء الطبقي
والتكوين الاجتماعي والعوامل الدينية والعنصرية والاقليمية والى غير ذلك •

ولما كانت الحياة السياسية صراعا فان القوى المالكة للسلطة ترى في هذا
الصراع شرا لانها تريد ان تستمر في انتفاعها بالسلطة والقوى المهلوكه ترى في
هذا الصراع خيرا لانه سيبلها الى التحرر مما هي فيه من ظلم وذل ومسخة •

•

•

الفرع الاول

الصراع السياسي

من الجلي الواضح ان السلطة تحاول جاهدة ومجتهدة ان تستمر وتبقى • ولكي تبقى لا بد لها ان تكون قوية ومتجددة • ومن الواضح الجلي ان القوة ليست باستعمال العنف وانما قوتها تأتي من شعبيتها وهدمدار ثقة المحكومين بها • ولما كانت السلطة تحاول ان تبقى حيث هي • وان هناك قوى اخرى تحاول الصعود لتمتلك السلطة ، فان الصراع دائر لا محالة بين السلطة التي تريد أن تبقى في القمة دون هبوط من جهة وبين القوى الجديدة التي تريد الصعود الى السلطة •

ولما كانت السلطة ايضا بطبعها أو بطبيعتها تفسد فان تجديدها أمر لازم وضروري • ان الجماهير تعبر عن رأيها في السلطة رضا أو سخطا حيا أو كراهية ، وهذه المشاعر انما هي انعكاسات الجماهير نحو السلطة • فلکم سخط شعب على حاكميه ولكم خشى الحكام من سخط الشعوب • وعليه فان الصراع يدور دوما وابتدا ما بين الحاكمين وما بين المحكومين • بين الدولة والشعب • وعليه فان احتمالات تغيير هذه السلطة يكون امرا محتملا ووشيك الوقوع • ذلك ان « الدولة ما هي الا جهاز قدير على استعمال السلطة والقسر ، مكونة من خبراء ومختصين في النظام والصالح العام • وهي آلة لخدمة الانسان (١) » فان هي خرجت عن ذلك ، شق الناس عليها عصا الطاعة •

والحياة السياسية ليست بعد كل هذا وذاك قاصرة على النصوص الدستورية • ان للحياة السياسية جانبا حيا متحركا يتمثل في القوى المتصارعة • ويجدر بنا اذن ان نتساءل عما اذا كان طرف الصراع واحدا أو ان هناك

اطرافا متعددة ؟

(1) Jacques Maritain — L'Homme et L'Etat — P.U.F. 1953, p. 12.

ثم ما هي سبلها في هذا الصراع وهل هناك انواع عدة للصراع وما هي ؟
يمكننا القول ان للصراع السياسي أنماطا متعددة منها :

آ - صراع فردي وصراع جماعي ♦

ب - صراع أفقي وصراع عمودي ♦

ج - صراع مفتوح علني وصراع مستور خفي ♦

وفيما يلي من سطور ، سنحاول وباختصار دراسة هذه الانماط من الصراع

السياسي ♦

آ - صراع فردي وصراع جماعي :

قد يتصارع أفراد فيما بينهم للحصول على السلطة أو الحصول على امتيازات هذه السلطة ، كأن يحاول احدهم ان يكون (وزيرا) أو (قائدا للجيش) أو

(نائبا) ♦

هذا النوع من الصراع يسمى (صراع جماعي) لانه يتمثل في رغبة رجال

هم في الغالب سياسيون للحصول على مراكز تفضي عليهم صفة السلطة ♦

ان الصراع الذي يدور حول السلطة أو التمتع بامتيازاتها انما هو في الاصل

صراع جماعي ♦

اما الصراع الفردي فهو الذي يكون على مستوى المحكومين وليس الحاكمين ♦

فقد يتسابق متسابقون لغرض الحصول على (وظيفة : بائع تذاكر) فهنا

الصراع فردي لانه لا يمثل السلطة في قمتها ♦

وفي الحقيقة فانه ينبغي القول مع البروفسور ديفر جيه بان الفصل بين الاثنين

دقيق ، لان الفصل بين الحاكمين والمحكومين ليس واضحا عند التفصيلات هو

الآخر ♦

ويمكننا ان نصيف قائلين بان الصراع الجماعي انما يدور في الاصل بين

منظمات كالأحزاب والقبائل والطبقات الاجتماعية والى غير ذلك (كجماعات

الضنف مثلا) ♦

ونظرة المعين بدراسة الحياة السياسية تختلف فيما يخص الصراع الجماعي والفردي واهميتها فهناك نظرة (يمينية) كما ان هناك نظرة (يسارية) •
 فاليمين يرى في الصراع السياسي انه صراع فردي أو بين افراد ليس غير !
 واليسار يرى في الصراع السياسي انه صراع جماعات وجماهير •
 ولكن كلاهما يتفق في ان الصراع الآخر انما هو صراع ثانوي • بمعنى ان اليسار يرى في الصراع الفردي صراعا ثانويا بينما يرى اليمين في الصراع الجماعي صراعا ثانويا •

ب - صراع أفقى وصراع عمودي :

الصراع الذي يدور بين الافراد أو بين الجماعات لغرض السيطرة على السلطة أو المشاركة فيها أو التمتع بامتيازاتها انما هو صراع أفقى •
 واذا كان الصراع مستمرا كأن يكون ما بين القادة والجماهير ، فان هذا النوع من الصراع انما هو صراع عمودي •

ج - صراع مفتوح علني وصراع مستور خفي :

لما كانت الانظمة السياسية مختلفة في هذا العالم ، وان لكل نظام سياسي نظريته الخاصة في الصراعات السياسية والحريات العامة • لذا فان هناك نوعين من الصراع هما صراع مكشوف علني وصراع مستور خفي •
 ففي ظل الانظمة الغربية ، الاصل فيها ان النزاع ظاهر ومفتوح ، وفي الدول الديكتاتورية يكون الصراع مستورا وخفيا •

ففي الغرب ، تقوم الحياة السياسية في الظاهر على انها مفتوحة وليس مغلقة ، اذ تتبارى الاحزاب والنقابات فيما بينها كذلك يمثل البرلمان وجهها رسميا للصراعات السياسية ويقود الصراع السياسي في الدول الغربية الاحزاب السياسية وجماعات الضغط وكذلك وسائل الاعلام •

ولكن كما قلنا في حديثنا عن ديمقراطية الغرب ، انها ديمقراطية رأس

المال • كذلك الحياة السياسية فانها تجري حقا تحت الشمس وفي وضوح النهار ولكن الشمس التي تسطع فوقها انما هي شمس (الدولار) أو (البون) ! بمعنى ان رأس المال يمارس هو الآخر تأثيره الكبير والفعال في المعركة السياسية أو في الصراع السياسي •

ولسنا في حاجة الى القول ان الهدف من الصراع السياسي انما هو قطعنا لاعتبارات منها ما كانت اقتصادية ومنها ما كانت لاعتبارات نفسية ومنها ما كانت لاعتبارات معنوية •

ان السلطة والقبض عليها تمنح القابض مالا وفيرا وتمنحه مجدا ورصيدا وتمنحه ايضا شعورا نفسيا يظفي شهوته الى السلطة والتمتع بها •

ثم كثيرا ما تسيطر على بعض الناس الرغبة في السيطرة ، وهو يرى في السلطة سبيله الوحيد لتحقيق رغبته ، فلذا تراه يندفع اندفاع من رشف الكؤوس في سبيل الوصول اليها مهما كان الثمن !

الباب الثاني

الهيكل العام للأحزاب السياسية

الفصل الاول

البناء الحزبي

ليست كل الاحزاب متشابهة من حيث هيكلها العام • ذلك ان لكل حزب طبيعة خاصة به، يتأثر بالواقع الاجتماعي الذي يعيش ليمارس نشاطاته الحزبية • والاحزاب السياسية لا تشابه أيضا من حيث عناصرها أو وحداتها الاساسية وكذلك من حيث الارتباط •

ويمكننا القول بأن هناك انواعا أربعة للاحزاب السياسية • لكل نوع منها وحدات أساسية خاصة بها تخالف الوحدات الاساسية الاخرى لحزب آخر • ولها ايدلوجية معينة لا تشابه ايدلوجية الاحزاب الاخرى • ان الاحزاب السياسية ، منظورا اليها من وحداتها الاساسية ، تنقسم الى أربعة انواع هي :

- ١ - الاحزاب المحافظة •
 - ٢ - الاحزاب الاشتراكية •
 - ٣ - الاحزاب الشيوعية •
 - ٤ - الاحزاب الفاشستية •
- وسوف نحاول فيما يلي من صفحات ان نلقي نظرة على كل نوع منها •
- محيطين بخصائصها العامة •

المبحث الاول

الفرع الاول

الاحزاب المحافظة

ان الذي يمثل الاحزاب المحافظة هما حزبا المحافظين والاحرار في بريطانيا وكذلك الاحزاب الامريكية •
ولقد كانت بريطانيا الارض الخصبة التي قامت فيها الديمقراطية ونشأت معها الاحزاب •

فهناك من يزعم بان بريطانيا قد عرفت ثنائية الحزبين منذ أمد طويل وان المعارضة الحقيقية انما يرجع تاريخها الى الحرب الاهلية فيها^(١) •
فالتاريخ البريطاني يحدثنا كيف ان انتصار الملكية على عهد (ثيودور) في القرن السادس عشر كان خاتمة المطاف للصراع الذي كان دائرا بين الطبقة النبيلة وبين حزب البلاط الملكي •

ولقد كتب احد المعلقين السياسيين كلردنر عام ١٦٤١ قائلا :
« ان هناك حزبين كانا متعارضين في مجلس العموم » •

والامر الذي ليس فيه شك ان الاحزاب الحديثة في بريطانيا انما تكونت بموجبه لائحة الاصلاح لعام ١٨٣٢ • ولقد كانت أول حكومة حزبية تكونت في بريطانيا برئاسة بت (Pitt) الثاني في عهد جورج الثالث^(٢) •
كذلك يحدثنا التاريخ ان القرن السابع عشر كان بداية منافسة ما بين التوريين (Tories) وبين الويكنز (Whigs) ، وكيف ان حزب المحافظين

(١) الحرب الاهلية بدأت عام ١٦٤١ وانتهت عام ١٦٤٨ •

(2) Mabileau et Merle — Les Partis Politiques en Grande-bretagne — P.U.F., 1965, p. 11.

وحزب الاحرار ومعارضتهما الشديدة ما هي الا ابتداء المنافسة بين التوريز-
والويكز •

ولقد سيطرت المنافسة بين المحافظين والاحرار على التاريخ السياسي البريطاني
حتى اذا ما بدأت بوادر القرن العشرين تلوح ، ظهر حزب العمال ، الذي سرعان
ما أخذ مكانه على المسرح السياسي • ولقد شهدت بريطانيا ضمور نفوذ حزب
الاحرار وظهور وزيادة نفوذ حزب العمال حتى انتهت بان اصبح الطرف الثاني
سيطرة على الحياة السياسية في بريطانيا ووصوله الى السلطة غير مرة ، علما بانه
الحزب الحاكم فيها في الوقت الحاضر •

والذي ينبغي ان يقال في هذا المجال ، هو ان الاحزاب البريطانية لم تكن
في الماضي احزابا دقيقة التنظيم ، اذ كان يسيطر على الاحزاب النبلاء والاعيان •
بل ان (تنظيم الاحزاب حتى عام ١٩٦٨ كان تقريبا مظهرا صرفا لتجمع
السراة » (١) •

وكانت الخلافات فيما بين الاحزاب دينية في جزء منها ، واقتصادية في جزء
آخر ، وفي احوال أخرى انما تعود الى التقاليد العائلية ومالها من آراء معينة ازاء
المشكلات العامة •

ولطالما سيطرت الخلافات الدينية على الاحزاب البريطانية ، وفي الحقيقة
فان الصراع ما بين التوريز والويكز انما هو صراع يعود في أصله الى خلاف ديني
بينهما •

ذلك ان التوريز انما كانوا يدافعون عن الكنيسة الانكليكانية وكذلك
الامتيازات الملكية • في حين ان حزب الويكز كانوا يدافعون عن الحرية الدينية
وكذلك حقوق البرلمان • وهكذا فان هذا الخلاف انما كان ايدانا بميلاد حزبين
متناقضين ، يناهض احدهما الآخر :

الأول يدافع عن مصالح الملك واتباعه ولذا فانه (حزب البلاط) أو (حزب
الناج) • والآخر يدافع عن المصلحة العامة لذا فانه (حزب البلد) •

ولكن ليس من شك أيضا في أن للعوامل الاجتماعية والاقتصادية أثرا بعيدا
وعميقا في الخلاف ما بين الحزبين • ذلك ان حزب (البلاط) انما يمثل اصحاب
المقاطعات فهم طبقة الارستقراطية والآخرين يمثلون الطبقة البورجوازية • وهكذا
قدر لهذا الخلاف ان يدوم قرابة قرنين •

ولا بد لنا من القول في هذا المقام ان الاثنين لا يمثلان - حقيقة - حزبين
كما هو المفهوم العلمي الحديث للحزب ، وانما كانا يمثلان أجنحة برلمانية
واتنخابية • وكما رأينا في موضوع نشوء الاحزاب السياسية ان الاحزاب قد
نشأت مع ظهور البرلمان • أو كما قال جراهام والاس :

« ان الحزب هو اكثر الموجودات السياسية تأثيرا في الدولة القومية
الحديثة • وقد ظهر في الوجود مع ظهور الحكم النيابي على نطاق واسع ، ولم
يعرقل نموه أي تقاليد قانونية أو دستورية ، وهو يمثل انشط المحاولات التي
قام بها الناس لجعل انظمتنا السياسية ملائمة لحقائق الطبيعة البشرية الدافقة » (١) •

وما كانت لهذين الحزبين من اهداف عامة وانما كانت تدفعهم المصلحة التي
سيطرته وهيمنته على الحياة السياسية •

علما بان الويكنز - وكما جاء على لسان بيرك (Burke) كان يرى ضرورة
أن يحكم الوزراء معتمدين على تأييد البرلمان ووفق منهج عام •
ويمكننا ان نقول ان وصول (Pitt) الى الحكم بوصفه رئيسا لحزب ، كان
ايدانا بميلاد الاحزاب الحديثة في بريطانيا •

ولقد اصبح حزب التوريث يسمى حزب المحافظين وحزب الويكنز حزب
الاحرار •

(١) جراهام والاس - المصدر السابق - ص ٧٨ •

بعد هذه اللمحة السريعة لتاريخ الحزبين في بريطانيا ، فانه آن لنا الدخول لمعرفة خصائص الاحزاب المحافظة بصورة عامة وموجزة •

خصائص الاحزاب المحافظة :

من الملاحظ ان هذه الاحزاب تنصب اهتماماتها على نخبة من الناس تمتاز بمكانتها الاجتماعية البارزة أو بامتلاكها لثروات ضخمة أو بانتمائها الى طبقة لها رصيد ضخم من المكانة الاجتماعية وكذلك المستوى الثقافي • فهذه الاحزاب - المحافظة - لا تتطلع الى الجماهير الشعبية قط ، وهي خلوة من ايدلوجية معينة ، وطريق الاتصال بين الحزب والمنضمين اليه يتم عن طريق اللجان • اما ميزانية هذه الاحزاب فهي تقوم أساسا على المنح والهبات التي تأتيها من الاعضاء ذوى المكانة البارزة والثراء المعروف • اما نشاطات هذه الاحزاب فهي دورية وليست مستمرة تتعلق بالاهتمام بالمشاكل السياسية وكذلك في حالة اجراء انتخابات عامة أو جزئية • كذلك يلاحظ على الاعضاء الداخليين في نطاق هذه الاحزاب كونهم مدفوعين بعامل (المصلحة) اذ جل اهتمامهم انما ينصب على المحافظة على مصالحهم الخاصة والاحتفاظ بمراكزهم الممتازة في المجتمع •

كذلك هناك عامل آخر يعمل هو الآخر أثره في دفع قسم من الناس الى الانتماء الى هذه الاحزاب الا وهو عامل البيئة ، فوجد ان عنصر - الاعتياد - هو الآخر سبيل يدفع (الخلف) الى الانتماء الى حزب (السلف) فكثيرا ما يسير الناس اقتداء - على آثار القدامى •

ولا جدال في ان الاحزاب البريطانية تشكل السمة البارزة بل انها اكثر السمات وضوحا وتأثيرا في النظام السياسي البريطاني • بل ليس في الامكان دراسة هذا النظام الا بدراسة النظام الحزبي فيه والذي يقوم على ثنائية الحزبين • لقد كان حزب المحافظين وحزب الاحرار قطبي الصراع السياسي في بريطانيا كما اسلفنا ذكره ، أما اليوم فقد ظهر حزب العمال - كقوة ثانية - تسيطر على الحياة السياسية البريطانية بعد أن زال نفوذ حزب الاحرار تدريجيا

نتيجة لظهور حزب العمال الذي ترجع نشأته الى عام ١٩٠٠ • ومن المفيد الاشارة الى ان حزب العمال لم يتبع الطريقة التقليدية في نشوء الاحزاب البريطانية التي تقوم على أساس الكتل البرلمانية وانما قام نتيجة حركة شعبية بعد قيام الثورة الصناعية في بريطانيا مطالبا باصلاحات اجتماعية وسياسية واقتصادية • ولكن يجدر بنا ان نشير ايضا الى ان هذا الحزب كسابقه حزب المحافظين - يتزع في سياسته الخارجية الى الاحتفاظ بمصالح بريطانيا الاستعمارية ولذا فانه لا يعد - قطعا - حزبا اشتراكيا •

أما وقد تكلمنا عن الاحزاب البريطانية ، التي هي - والاحزاب الامريكية - أمثلة ساطعة للاحزاب المحافظة ، فانه اكتمالا للبحث ، يتعين علينا دراسة الاحزاب الامريكية ، ملقنين عليها نظرة سريعة •

الاحزاب الامريكية :

اول شيء يلفت نظر الباحث في دراسة الاحزاب الامريكية كونها تختلف اختلافا أساسيا عن الاحزاب الاخرى ، ذلك ان الولايات المتحدة الامريكية تقسم الى ولايات متعددة تبلغ (٥١) ولاية ولكل ولاية نظامها وقانونها الخاص بها ثم ان علاقة هذه الولايات بالحكومة تؤدي الى تشدد هذه الولايات حرصا على مصالحها وهذا ما يدفعها الى الایغال في الحزبية •

ثم ان الولايات المتحدة الامريكية انما يقوم نظامها السياسي على فصل السلطات ، كذلك طبيعة الولايات نفسها وعلاقتها بالحكومة كلها عوامل تسهم اسهاما كبيرا في تقوية الروح الحزبية فيها •

والاصل في الاحزاب الامريكية انها احزاب اقليمية محلية بحتة وليست احزابا على المستوى القومي للبلد • ولما كانت هذه الاحزاب محلية فان هذه (المحلية) عامل يغذى ويقوى الحزبية • لانها تقوم على المصلحة فحسب • ذلك ان الولاية انما هي الوحدة المهمة والاساسية في عمليات الانتخاب • وفي الحقيقة ان الذى يسيطر على الحياة الامريكية انما هي المصالح المادية البحتة • وما الحزب الا رابطة شكلية للفوز برئاسة الولايات المتحدة الامريكية •

والشيء الجدير بالملاحظة والاشارة اليه هو ان الشعب الامريكى خليط من جنسيات متعددة مختلفة وبالتالي فانه شعب يفقد الى وحدة (بيولوجية) وكذلك وحدة (ايدولوجية) • غير ان الاستقلال والسيطرة (وحدة المصلحة) هي التي تجمعهم • والشيء الذي ليس فيه ريب هو ان عامل (المصلحة) هو الذي يسير الولايات المتحدة وهو الذى يشد العناصر المختلفة المكونة لشعب الولايات المتحدة بعضها ببعض الاخر •

والولايات المتحدة الامريكية تعرف نظام (ثنائية الحزبين) على الرغم من وجود احزاب متعددة وجديدة • فنظامها الحزبي يشابه النظام الحزبي البريطانى • غير ان الاول يختلف عن الثانى في بنائه ووظيفته •

ويقول البروفسور ماكيفر بان الولايات المتحدة قد اظهرت مقدره فريدة على الاحتفاظ بالنظام الحزبي الثنائى بالرغم من تحديات الاحزاب الجديدة التي نشأت في مختلف الاوقات • والسبب في ذلك الوظيفة المزدوجة التي يؤديها هذا النظام على المستويين الفدرالى والمحلي • فيقرر على المستوى الاول مصير الحكومة الفدرالية على اساس مبدئي • واما عمله المحلي والاقليمي فانه يمتد للولايات كلها عبر مسافات قارية تعكس مظاهر كثيرة للتوع الاجتماعى والثقافى • ويتطلب حكم هذه المنطقة الادارية الشاسعة نفقات مالية عامة واسعة ومتنوعة • فيتجه الصراع الحزبي المحلي نحو وضع اليد على هذه النفقات اكثر مما يتناول المبادئ • ويكون غالبا - الاتفاق في المبدأ بين الحزب المحلي والوطني عرضيا وتقليديا • فما الحزب - كما وصفه أحد الثقات على المستوى الفدرالى - «... سوى رابطة واهية تسعى للفوز بالرئاسة» (١)

ان الاحزاب الامريكية خلوة من الايدولوجية - شأنها شأن الاحزاب المحافظة - وكذلك فانها مفتقدة الى اساس اجتماعي تقوم عليه • ذلك ان الاحزاب - كما قد درسنا - انما هي تعبير عن الاوضاع الاجتماعية وانعدام ما يعرف (بالطبقة

(١) ماكيفر - المصدر السابق - ص - ٢٧٠ •

الاجتماعية) سبب عدم قيام حزب اشتراكي فيها على الرغم من ان هذا النمط من الاحزاب قد غزا كافة انحاء المعمورة • ان الاشتراكية بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية مذهب دخيل ومستورد • فلم يعرف - كما يقول البروفسور كول - ان الولايات المتحدة الامريكية قد انتجت مفكرا اشتراكيا من طراز رفيع (١) • ولعل من الطريف بمكان ان نذكر رأيا لوارنر سومبارت يقول فيه :

« لقد تحطمت سفينة الاشتراكية منذ زمن طويل على صخور الروزيف وفتيرة التفاح » (٢) •

ويسيطر على الحياة السياسية الامريكية سيطرة كاملة حزبان هما الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري •

وفي الاصل فان الصراع بين (الاتحاديين) و (اللاتحاديين) كان السبب والاساس في قيام هذين الحزبين • وهذان الحزبان خلوان من الايدولوجية والعضوية فيهما - كما هو الحال في الاحزاب المحافظة - لا تقوم على اساس الكمية وانما على النخبة • وهي احزاب لا مركزية • ذلك ان كل ولاية مستقلة عن الاخرى وهي تتمتع باستقلالية كبيرة اذ كما يقول احد المؤلفين الامريكيين ان « التنظيم الحزبي في امريكا لا يقوم على اساس رئاسي ولكنه نظام مصاطب ، تستقل كل مصطبة (المدينة ، الولاية ، الدولة) عن المصاطب الاخرى » (٣) •

ولكي نكمل الصورة عن الاحزاب المحافظة او الاحزاب الغربية (انكلترة وامريكا) يتعين علينا دراسة الاحزاب السياسية في اسرائيل أكمالا للبحث اولا ، واعمالا للقول المأثور (اعرف عدوك) ثانيا ولان كثيرا من الدراسات قد صدرت

(١) هـ • ج • تاريخ الفكر الاشتراكي - الماركسية والفضوية - ص/٤٨٦ •

(٢) ورد في كتاب الاحزاب السياسية في امريكا - كليفتون روسيتر - ترجمة الدكتور احمد شنب / ١٩٦٠ ص / ١٠ •

(٣) نفس المصدر ص / ١٥ •

في الغرب عن اسرائيل زاعمة ومصورة ان نظامها نظام ديمقراطي وان فيها
احزابا اشتراكية ثالثا *

وفيما يلي من صفحات سوف نحاول اعطاء صورة سريعة ولكنها مركزة
عن الاحزاب السياسية في اسرائيل *



الفرع الثاني

الاحزاب السياسية في اسرائيل

نظرة عامة :

ان قيام اسرائيل - كدولة - في قلب أمتنا العربية حدث شاذ في التاريخ ، اذ لم يسبق له مثيلا • لقد قامت اسرائيل باطلا بالقوة في زمان كان الشعب العربي يعيش في غفلة من حقيقة أمره ، محكوما بأنظمة حكم خائنة ، وباستعمار جثم فوق ارضه وبتخلف ضارب أطنا به في كل الارض العربية •

ان الاغتصاب لا يمكن ان يكون حقا ، ولقد اتبعت الدول الغربية اساليب فرصنة فرضتها القوة • وليس من شك في ان قيام هذه الدولة في قلب الاممة العربية انما اغراضها توسعية واستغلالية ولكي تحول دون تحقيق ارادة الشعب العربي ، ولتكون أداة الاستعمار في ضرب التحركات التحررية في الارض العربية تحقيقا لاهداف الاممة العربية في الحرية والاشتراكية والوحدة •

لقد استطاع الصهاينة المجرمون - بالخداع حيناً وبالقوة احيانا - ان يجدوا لانفسهم - باطلا ومن غير حق - ارضا ليقوموا عليها دولتهم • واذا كان الامر كذلك فما احرى العرب - وخصوصا عرب فلسطين - ان يعودوا الى ارضهم السلية ماداموا اصحاب الحق فيها • ان ذلك لن يكون الا بالقوة والعنف الثوري الذي يقوم على الاستمرارية نضالا وقتالا ، تضحية وفداء • وهذا ما تتموم به الان القوات الفدائية لتحرير الارض الفلسطينية •

ظهرت فكرة (الصهيونية) في القرن التاسع عشر مع ظهور الافكار الديمقراطية الغربية التي تنادي بالحرية والمساواة في المجتمعات الغربية • ولقد واكب ميلاد القرن التاسع عشر أفول الدين في اوربا بظهور حركة التسامح الديني ، غير ان اليهود حرصوا - كما هو شأنهم دائما - على عدم الاندماج في المجتمعات الغربية وغيرها خوفا من زهاب حلمهم بأقامة دولة لهم (ان اقامة دولة

يهودية هدفه حفظ الشعب اليهودي من خطر التحرر والاندماج^(١) •
ولقد اقترن ظهور الصهيونية بأسم هرتزل ولكن لم يكن هرتزل اول الداعين
الى اقامة وطن قومي لليهود اذ سبقه الى ذلك (ليون بنسكرا) غير ان الاخير لم
يذكر مكانا معيناً لهذا الوطن • والصهيونية - كما هو معلوم - انما هي نسبة
الى كلمة (صهيون) وهي اسم التلال التي قام عليها (بيت المقدس) وكان اول
من استعملها رجل يهودي هو (ثان برنادام) •

وكان المؤتمر الاول للصهيونية العالمية الذي عقد في مدينة بال السويسرية
هو الذي قرر انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين •

وهرتزل هذا يرى في قيام (الدولة اليهودية) ممثلة للحضارة الاوربية في
الشرق • فلو تم لهم الحصول على فلسطين لصار اليهود (يشكلون انذاك جزءاً
من الرديف او السد الاوربي بوجه آسيا ، ومركزاً طليعياً للمدينة ضد
البربرية)^(٢) هكذا كان هرتزل يغازل المدينة الغربية لتكون أداة تحقيق قيام
هذه الدولة !

ولقد تقرر في هذا المؤتمر العمل على :

١ - استعمار اليهود لفلسطين •

٢ - انشاء منظمة تربط يهود العالم بوساطة مؤسسات تابعة لها في كل بلد

فيه يهود •

٣ - تقوية الشعور القومي اليهودي •

٤ - الحصول على موافقة حكومية لتحقيق هدف الصهيونية •

ولقد حرص الصهيونيون على تحقيق اهدافهم بكل السبل والطرق فقاموا
بالاتصال بقيصر المانيا ففشلوا ثم اتصلوا بالخليفة العثماني فكان نصيبهم الفشل

(١) ناحوم جولدمان - ورد في كتاب اسرائيليات - احصاء بهاء الدين -
دار الهلال ص/٩ •

(٢) انجلينا الجلو - عوامل تكوين اسرائيل - دراسات فلسطينية -
١٩٦٧ ، صص/٢١-٢٢ •

ايضا فتوجهوا الى انكلترة حيث استطاعوا الحصول على (تصريح بلفور) بأقامة
وطن قومي لليهود عام ١٩١٧ •

لقد صدر هذا التصريح حاملا وعد بريطانيا التي لم تكن تملك الامر في
فلسطين الى اليهود بأقامة وطن قومي لهم • وليس هناك اروع من وصف الرئيس
جمال عبدالناصر له حين قال (أعطى وعدا من لا يملك الى من لا يستحق) !

وكانت بريطانيا تهدف من وراء اقامة اسرائيل لتكون مقرا وممرا للاستعمار
لحماية مصالحه في الشرق (المصالح البترولية ، قناة السويس) ولضرب
الحركات التحريرية في الوطن العربي (احداث ١٩٥٦ و ١٩٦٧ قاطعتا الدلالة
على ما نقول) •

لقد أتت اسرائيل منذ قيامها حتى الان اسلوبا عنصريا تتضاءل امامه اساليب
النازية واننا لنترك الكلام الى المؤرخ الكبير أرنولد توينبي اذ يقول :
« ان اشهر الذين يزعمون انهم شعب مختار هم اليهود • فالحركات
الصهيونية والنازية سواء في ادعاء هذه الصفة العنصرية غير الصحيحة •

ان الحركة الصهيونية قد جمعت بين جنبيها اسوأ ما في الحضارة الغربية :
القومية العمياء والاستعمار ! فأن استيلاء الحركة الصهيونية على بيوت وارض
وأماك ٩٠٠ الف عربي في فلسطين ، هم الان لاجئون ليس أرقى من الناحية
الاخلاقية من ابشع الجرائم التي ارتكبت خلال الخمسة قرون الاخيرة بواسطة
الغزاة والمستعمرين • وهذا هو حكمي الاخير على تاريخ الصهيونية في فلسطين •

ان اليهود من بين كل شعوب العالم ، لهم اطول تاريخ في التعرض
للاضطهاد • وقيام اليهود بتحميل طرف ثالث مسؤولية الاضطهاد الذي لاقوه على
يد الغرب يشكك المرء في الطبيعة الانسانية كلها ، (١) •

ليس من العدالة في شيء قيام النازية بأضطهاد اليهود ، ولكن انه لظلم صارخ

(١) ورد في كتاب - اسرائيليات - احمد بهاء الدين - ص/١٦٦ •

• أن يدفع الشعب العربي ثمن ذلك الاضطهاد • لقد نشأت الصهيونية في أوروبا •
حيث اضطهدت الاخيرة اليهود ، وما كان الشعب العربي مضطهدا احد !

والعجيب في الامر ان يتباكى المعتدون الصهاينة المجرمون على الحقوق وخلقهم
يقف مرددة الدعاية الغربية كلها هذا الادعاء على الرغم من بطلانه •
ان الثورة العربية الفلسطينية هي الرد الحاسم والعمل الملائم ليعيد الحق
الى نصابه والى أهله وليسكت الى الابد الدعاوي الباطلة •

ان الثورة الفلسطينية جزء من الثورة العربية والثورة العربية جزء من
الثورة العالمية بل ان الثورة العربية بتجاربها الغنية والعديدة متمثلة في ثورة
(٢٣) تموز في ارض الكنانة والثورة الجزائرية والثورة اليمنية قد زودت الشعوب
المغلوبة على أمرها دروسا في فن الثورة ، فلطالما ثار الشعب العربي ضد الاستعمار
و ضد التخلف وهو بثورته العربية في الجزائر قد قدم تضحيات زادت على المليون
شهيد وهي ثورة فريدة من نوعها اذ جاء الفرنسيون وسكنوا الجزائر (١٣٢) عاما
حتى اصبحت - في نظرهم - فرنسية ولكن الحق انتصر في النهاية لان الباطل
دوما كان زهوقا !

والثورة الفلسطينية التي اججها ابناءؤها تعطي لونا جديدا للثورات ، اذ جاء
شعب بلا أرض واحتلوا ارض غيرهم وأجلوا شعبها • ان التجارب العديدة التي
مرت بها الثورات العربية وما فيها من خصائص ترقى بالثورة العربية الى مصاف
(ثورة عالمية) •

بعد هذه اللمحة السريعة ، نبادر بالدخول الى دراسة الاحزاب السياسية في
اسرائيل •

الاحزاب السياسية في اسرائيل :

من طبيعة قيام اسرائيل وتكوينها ، نبادر بالقول ان اسرائيل دولة حرب
السلطة فيها عسكرية • وهذا القول بحد ذاته كاف ليدهض دعوى القائلين بان

اسرائيل بلد ديمقراطي • وانا قبل الدخول في هذا الموضوع يتعين علينا
تبيان الخصائص العامة لهذه الاحزاب • وهذه الخصائص يمكن اجمالها فيما يلي :

١ - الظاهرة الاولى للاحزاب السياسية الاسرائيلية انها نشأت قبل قيام اسرائيل :
من المعلوم ان الاحزاب السياسية انما هي تعبير عن واقع اجتماعي معين
حيث تمارس فيه نشاطاتها • ولكن الاحزاب الاسرائيلية انما قامت في اوربا الشرقية
(روسيا وبولونيا وغيرها) وعليه فان الاحزاب لا تمثل المجتمع الاسرائيلي وبالتالي
فان وجودها ليس اساسيا في تقسيم النظام •

٢ - الظاهرة الثانية للاحزاب الاسرائيلية انها متعددة :

كثرة الاحزاب في اسرائيل لا تعدم الحقيقة القائلة بان هذا التعدد انما هو
في الشكل والمظهر وليس في المحتوى والجوهر • ذلك انها قامت كلها من اجل
هدف واحد الا وهو تحقيق الاطماع الصهيونية •

٣ - الظاهرة الثالثة للاحزاب الاسرائيلية انها ادوات عدوانية :

وهذه انما مستمدة من الظاهرتين الاولى والثانية ، ومن ثم فان تاريخ قيام
هذه الدولة قاطع الدلالة على ما نقول •

٤ - انها احزاب متعددة النشاطات :

الاصل في الاحزاب انها تهدف اهدافا سياسية اما الاحزاب في اسرائيل فان
لها اهدافا اخرى اجتماعية وسياحية ونشاطات رياضية •• الخ وهذا ما يؤكد كون
هذه الاحزاب انما وجدت لتجمع اليهود على أساس عنصري •

٥ - الظاهرة الخامسة انها احزاب عنصرية :

لا يقبل في الاحزاب الاسرائيلية الا من كان يهوديا مؤمنا بقيام دولة اسرائيل
والدفاع عنها •

٦ - الظاهرة السادسة انما هو تأثير العامل الديني على الاحزاب الاسرائيلية
لذا فانها مركزية السلطة •

وهذا العامل الديني في الحقيقة انما مستمد من الصهيونية التي هي دين

جديد ، اذا جاز هذا التعبير وليست مستمدة من الدين اليهودي •

ان دولة قامت في ارض غيرها ، وارتضت لنفسها اغتصاب الارض وطرد أهلها لا يمكن ان تكون دولة ديمقراطية ، لان الديمقراطية انما هي حكم الشعب ، والحكم الذي يقوم في إسرائيل لا يعبر عن رضى الشعب الاصلى •

ثم اننا بعد ان ذكرنا الخصائص العامة لهذه الاحزاب ، ولما كانت هذه الاحزاب اداة عدوانية يحركها الحكم العسكري لذا فان اسرائيل ليست بلدا ديمقراطيا وان كان تعدد الاحزاب فيها ، لان هذا التعدد شكلي ولانها تابعة من غير الارض التي اغتصبتها الى جانب كون هذا الاغتصاب نفسه يدحض ادعاء القائلين بانها بلد ديمقراطي • ان اغتصاب شعب لشعب اخر لا يمكن ان يكون ديمقراطيا • اما كون اسرائيل بلدا اشتراكيا فان هذا الامر لا يدعو الى كثير من المشقة لتبيان باطله • يكفي ان اسرائيل في خدمة الاغراض التوسعية والاستغلالية للامبريالية العالمية •

ان الاستعمار العالمي ليقف كله خلف اسرائيل ، يمد لها بالمال وادوات القتال ويعينها على البقاء بالقوة • فلو كانت اسرائيل بلدا اشتراكيا لما وقفت امريكا حامية الاستعمار في العالم خلفها • ان اسرائيل كما قال معلم جماهير امته العربية جمال عبدالناصر هي امريكا وامريكا هي اسرائيل •

المبحث الثاني

الاحزاب الاشتراكية

يجدر بنا قبل الحديث عن هذه الاحزاب ان نتعرض - ولو قليلا ولكن بصوتة مركزة - الى كلمة اشتراكية • والحقيقة ان ليس هناك رأي ثابت يقطع بمن كان اول من استعمل هذه الكلمة : اشتراكية أو كلمة اشتراكي •

فالكتاب على هذا الامر مختلفون • فمنهم (١) من يذهب الى أن اول ظهورهما مطبوعين بالاطالية انما كان في عام ١٨٠٣ • ولربما جاء ذكرهما عرضا دون قصد أو غاية يرجوها كاتبها • ولقد أعقب ذلك فترة من الزمن كادت الكلمة أن تصبح نسما منسيا لولا أن انصار (أوين) عادوا الى استعمالها من جديد حين استعملوا كلمة (اشتراكي) في مجلة التعاون ، وكان ذكرها هذه المرة عن قصد يراد به تأكيدهم على اتباع مبادئ روبرت أوين في التعاون أو التعاونية •

اما كلمة (اشتراكية) فكان اول ظهورها مطبوعة في مجلة فرنسية - لاكلوب - عام ١٨٣٣ • وهناك من يرى (٢) أن أول ظهور لكلمة الاشتراكية انما كن عفويا في فرنسا وانكلترة ما بين عامي ١٨٣٠-١٨٤٠ • وكان معناها عاما من غير تحديد • فمثلا يرى (بير ليرو) (٣) انها ضد الفردية • في حين انها تعني بالنسبة (لاوين) نظام جمعيات تعاونية •

وكان (ريباو) قد كتب هو الآخر مقالة مسلسلة في مجلة (العالمين) وكان عنوان المقالة (الاشتراكيات الحديثة) حتى اذا ما جاء عام ١٨٤١ ظهر كراس مؤلف من قبل (روبرت أوين) وكان بعنوان : ما هي الاشتراكية (٤) ؟

(١) ج • ه • كول - تاريخ الفكر الاشتراكي - الرواد الاول - ترجمة عبدالكريم احمد - ص/٨ •

(2) Jean Touchard — Histoire Des Idees Politiques — Tome 2, 1959, p. 550.

(٣) P. Leroux من مقالة كتبها في مجلة الانسكلوبيديا في تشرين

الثاني عام ١٨٣٣ •

What is Socialism? (٤)

وكلمة اشتراكية قد أثار جدلا ونقاشا - ولا زالت تثير - كبيرين حول معناها الحرفي • وفي الحقيقة فإن كلمة الاشتراكية (Socialisme) الفرنسية ومعناها الانكليزية و (Socialism) الالمانية انما معناها الحرفي هو (الاجتماعية) وليست الاشتراكية • أي مجموعة المبادئ التي تخص المجتمع والتي تهدف الى رفاهيته وتقدمه •

والاصل ان العبرة بالمقاصد والمعاني لا بالالفاظ والمباني ، وعليه فان الاشتراكية تعني مبادئ معينة تهدف الى خدمة المجتمع كليا • ولقد كان ظهور الافكار الاشتراكية مقترنا بتقدم الافكار الديمقراطية وحصول الشعوب على حقوقها بعد أن كانت منحها من الملوك •

يقول العلامة كول : « وكان لفظ « الاجتماعى » يستعمل في هذا المجال كمقابل للفظ « فردي » • فكان « الاشتراكيون » هم اولئك الذين يؤكدون أهمية العصر الاجتماعى في العلاقات البشرية ، في معارضة التأكيد السائد لمطالب الفرد ، ويحاولون أن يدفعوا المشكلة الاجتماعية الى مركز الصدارة في الجدل العظيم حول حقوق الانسان ، وهو الجدل الذي اطلقته من عقاله الثورة الفرنسية والثورة الاقتصادية المصاحبة • وقبل ان تتداول كلمة اشتراكية « كان الناس يتحدثون عن النظم الاجتماعية » بنفس المعنى تقريبا • وكانت كلمة (اشتراكيين) تعنى اولئك الذين يدعون الى احد « النظم الاجتماعية » العديدة التي كان يناضل بعضها البعض وتتحد في نفس الوقت في عداوتها للنظام « الفردي » السائد في الاقتصاد ، للنفوق الذي كانت تحظى به المسائل السياسية على المسائل الاقتصادية والاجتماعية في وجهات النظر والاتجاهات المعاصرة عن العلاقات البشرية والتنظيم السليم للشؤون العامة » (١) •

والشئ الذى يذكر هو خلو هذه الاشتراكية من الصراع الطبقي • حتى

(١) ج • ه • كول - المصدر السابق - ص / ١٠ •

إذا ما حدثت حركة كراكوس بايف^(١) ، فإن افكار الصراع الطبقي والبروليتاريا
قد أخذت مكانها البارز في الافكار السائدة انذاك • صحيح ان الافكار الاشتراكية
قد بدأت قبل الثورة الفرنسية ، بل ان هناك من يرجعها الى تاريخ قديم جدا
يتصل باليونانيين ، فان الاستاذ (كول) يرى أن (سنة ١٧٨٩ نقطة بداية لدراسة
نمو الافكار الاشتراكية) الحديثة^(٢) •

ثم يقول في موضع آخر « والواقع ان احداث الفترة ما بين عام ١٧٨٩ وهزيمة
« مؤامرة الاكفاء » بزعامه كراكوس بايف بعد ذلك بسنوات قليلة جعلت صراع
الطبقات - رغم انه كان على نطاق ضيق ولفترة قصيرة - حقيقة واضحة لأول مرة
في مجتمع حديث ، وادت - خلال المعركة بين الاغنياء والفقراء - الى تشكيل
مذاهب اشتراكية تمثل عنصرا جديدا في النمو التاريخي للمجتمع الغربي وان
لم تحظ في أي وقت من الاوقات الا بعدد قليل من الانصار المباشرين »^(٣) •

والاصل في الاحزاب الاشتراكية انها تعتمد على العمال (اكثر الطبقات
عددا ، واشدها فقرا) كما يقول سان سيمون •

تمتاز هذه الاحزاب بان لها (ايدلوجية) تلعب دورا كبيرا في نشاطات
الحزب وليس أمرها يقف عند النواحي السياسية فحسب بل يتعداها الى الثقافة
العامة ، اذ ان الاحزاب الاشتراكية ، في الاصل ، انما تؤمن باهمية الفكر لذا فانها
خريصة - دوما - على تثقيف اعضائها •

ثم ان هذه الاحزاب تقوم على تعبئة الجماهير ولذا فان نشاطاتها مستمرة
وليسست دورية • وان العمل فيها انما يجري عن طريق (الاقسام) التي هي
عصب الحركة فيها •

(١) Babeuf - ولد في سان كنتان (١٧٦٠-١٧٩٧) قام بحركته الثورية

ولكنها فشلت وقد عرفت بـ (مؤامرة الاكفاء) •

(٢) كول - المصدر السابق - ص/٢٢ •

(٣) كول - المصدر السابق - ص/٢٤ •

أما مالية هذه الاحزاب فانها تقوم على موارد ثابتة نسبيا هي بدلات الاشتراك التي يدفعها اعضاؤها •

ولابد لنا ، ما دمنا نتحدث عن الاحزاب الاشتراكية ، من التفريق بينها وبين الاحزاب المحافظة • فالاخيرة - أي الاحزاب المحافظة - تحركها دوافع مصلحة غالبا في حين ان الاحزاب الاشتراكية - منظورا لها من حيث أساس قيامها وطبيعتها - حيث كان ظهورها - كما قد رأينا - نتيجة حتمية لظهور الجماهير على المسرح السياسي ومشاركتها في الحياة السياسية العامة مشاركة فعلية • لذا فإن دوافع هذه الاحزاب المصلحة العامة غالبا •

ولابد لنا من التنبيه في هذا المقام ان كثيرا من الاحزاب تزعم بانها احزاب اشتراكية كحزب العمال البريطاني الحاكم ، والحزب الاشتراكي الفرنسي الذي شارك في الاعتداء على مصر عام ١٩٥٦ وكذلك حزب الامة الاشتراكي في العراق وهذه كلها وغيرها ايضا احزاب رجعية ليس لها من الاشتراكية الا الاسم ! وما ينطبق على الاحزاب ينطبق على الافراد • فان كثيرا منهم يدعي انه اشتراكي وهو أبعد الناس عنها •

ان الاحزاب الاشتراكية هي تلك التي تؤمن فكرا وعملا نظريا وعمليا بالمبادئ الاشتراكية التي تحول دون سيطرة شعب على آخر وتمنع استغلال شعب لآخر ! وتعمل على القضاء على التناقضات الاجتماعية دونما استغلال انسان لآخر الانسان •

المبحث الثالث

الفرع الاول

الاحزاب الشيوعية

هناك آراء متعددة ومختلفة قيلت عن نقطة الابتداء بالنسبة الى الافكار (الاشتراكية) وكذلك (الشيوعية) • فهناك من يرى في حركة باييف بانها المظاهرة الاولى للبروليتاريا في عمل ثوري (١) •

وهناك من يرجع (الاشتراكية) و (الشيوعية) الى الفكر اليوناني القديم ، وهنا كايضا من يرجعها الى شيوعية الكنيسة المسيحية الاولى ، وهناك من يرى في المظاهر الشيوعية في حياة الاديرة في العصور الوسطى نقطة انطلاق لهما • وهناك من يرى ايضا بان (المدينة الفاضلة) التي كتبها توماس مور هي نقطة البدء في هذه الافكار !

أيا كانت البداية وأيا كان هذا الرأي ، فان الذي يعنينا من الامر هنا انما هو الحزب الشيوعي ومثله البارز الحزب الشيوعي الروسي • يمكننا القول ان ميلاد هذا الحزب كان قد سبقته عدة تنظيمات ، فمثلا (جماعة تحرير العمل) التي أسسها بليخانوف عام ١٨٨٣ • فهذه الجماعة تعتبر أول جماعة ماركسية منظمة ساهمت والى حد كبير في نشر الافكار الماركسية في روسيا •

والسبب الذي يدعونا الى ذكرها هو ان روسيا في السبعينات من القرن التاسع عشر كانت أبعد الدول عن التأثر بالافكار الماركسية • يقول البرفسور كول : « وقد ظلت معرفة روسيا بالماركسية قليلة حتى السبعينات من القرن الماضي » (٢) •

ثم يقول في موضع آخر « ولكن الامر لم يقتصر على ان روسيا لما تكن بها

(١) كول المصدر السابق ص/٣٣ •

(٢) كول الدولية الثالثة - ترجمة عبدالكريم احمد - ص/٥٦٠ •

حركة ماركسية فحسب ، بل ولم تكن فيها أية جماعة تأثرت بأفكار ماركس « (١) .
وفي الثمانينات بدأت الماركسية تغزو روسيا ، وكانت أكثر الجماعات المؤمنة
بالماركسية غير قادرة على الصمود أو الاستمرار أو سرعان ما تتحطم .

ولقد كان لظهور (لينين) أثر بعيد الغور في دفع الحركة الماركسية في روسيا
الى الامام ، اذ استطاع ان يؤلف عام ١٨٩٥ (عصبة الصراع من اجل تحرير
العمال) في بطرسبورغ اذ كانت في هذه المدينة عدة جماعات ماركسية تبلغ
العشرين جماعة ، فعمل لينين خلال سنتين حتى استطاع توحيدها مجتمعة وهي
تضم كل حلقات العمال الماركسيين .

ونستطيع ان نقول ، بعد هذا العرض الموجز ، ان عام ١٨٩٨ يمكن ان
يعتبر مطلع ميلاد الحزب الشيوعي حين اجتمعت (فئة صغيرة) من الديمقراطيين
الاجتماعيين الروس في مدينة (منسك) .

ولقد استطاع لينين بعد خروجه من المنفى عام ١٩٠٠ ان يعمل كثيرا من
اجل وحدة الحزب . ذلك ان الحزب الروسى ظل يعاني انقساما حادا في داخله ،
ذلك الانقسام الذي عرف ما بين البلشفيك والمشفيك .
وفي الحقيقة ، فان الاسباب الظاهرية لهذا الانقسام كما يقال ، انما يعزى
الى اختلاف المؤتمر الى حد الانقسام حول أساس العضوية في الحزب وليس حول
برنامج الحزب .

ولقد اشتجر هذا الخلاف وقامت معركة كبيرة بين لينين وبلديخانوف من
جهة ومارتوف وتروتسكي من جهة أخرى .

فلقد كان لينين يرى ان العضوية مفتوحة لاولئك الذين يقبلون برنامج
الحزب ويؤيدونه ماديا وبلاشتراك الشخصي في منظمة من منظمات الحزب .
أما مارتوف فكان يرى ان تحذف العبارة الخاصة بالاشتراك الشخصي في
منظمة من منظمات الحزب .

(١) كول الدولية الثالثة - ترجمة عبدالكريم احمد - ص / ٥٦٠ .

والشيء الذي ليس فيه شك ، ان الخلاف أعمق من هذا بكثير وهو يتعلق بمفهوم الحزب • ذلك ان لينين كان يريد حزبا يقوم على المؤمنين به وكأنهم مجاهدين ، مستعدين دوما لكل بذل وفداء عند كل أمر يصدر من الماكنة أو المنظمة الحزبية •

وهكذا عرف ان الحزب الشيوعي فيه جناحان ديمقراطيان احدهما البلشفيك والثاني المشفيك • اما القول انهما حزبان فلا يمكن الاخذ به لان كلا الجناحين كان يؤمن بوجود حزب واحد فقط •

ولقد أدت الظروف التي مرت بها روسيا ولاسيما امام ثورة ١٩٠٥ ، والتي حدثت على أثر هزيمة روسيا في الحرب مع اليابان ، الى ان يتناسى الجناحان خلافاتهما مؤقتا ، ليقتربا بعد ذلك • وصار كل جناح يدعي انه الممثل الحقيقي للحزب •

ان الشيء الذي لا يختلف فيه اثنان هو ان روسيا بسوء اوضاعها ونكران القياصرة لحقوق الشعب ، كان يدفع الشعب الى الثورة حتما (١) • ولكن هذا المناخ الثوري لم يستغل ، اذ أدت الاحداث التي اعقبت ثورة ١٩٠٥ ولاسيما عام ١٩٠٧ الى اختفاء الحركات الثورية داخل روسيا اختفاء يكاد ان يكون كاملا •

ولقد شهد (الحزب الديمقراطي الاشتراكي) صراعا مريرا بين مختلف الاجنحة التي تكونه ، ولقد كان الخلاف يدور حول مفهوم الحزب والطبقة وكذلك حول مفهوم القومية والثورة الدائمة • ولقد استمر هذا الصراع من عام ١٩٠٦ حتى ١٩١٤ وهو العام الذي قامت فيه الحرب العالمية الاولى •

ثم كان لتجاح الثورة الروسية عام ١٩١٧ السبب الاول في ظهور هذا الحزب علنيا (بعد ان كان حزبا سريا) وتولية السلطة في الاتحاد السوفياتي •

(١) يقول البرفسور كول : « بيد ان الروسيين كانوا يشتركون في شيء واحد ، هو أنهم جميعا كانوا ثوريين » - الدولية الثانية - ص/٥ •

ويعد الحزب الشيوعي الروسي الجهاز الوحيد القابض على السلطة في كل الاتحاد السوفياتي ، فهو الذي يدير الشئرن العامة ويقود الجماهير لانه الطليعة الثورية لها • وهو أبرز واخطر جهاز في النظام السوفياتي •

وهذا الحزب انما يقوم - من حيث التنظيم - على قواعد هي (الخلايا) المنتشرة في كافة انحاء الاتحاد السوفياتي ، فهناك مثلا خلايا المصانع والمحلات والقرى ثم هناك (خلايا) الاقسام أو الشعب • ثم هناك ايضا خلايا المناطق ومن اجتماع الاخيرة يتشكل الحزب لجمهورية واحدة من الجمهوريات الروسية والتي عددها (١٥) خمسة عشر جمهورية •

ويمتاز هذا الحزب بانه وحده الذي يمارس الحياة السياسية ولا يسمح لاي حزب بمباشرة الحياة العامة سواه • وعليه فان الحزب الروسي يتبع نظام الحزب الواحد (١) • وسبب ذلك ان الحزب - في المفهوم الماركسي - ما هو الا تعبير عن طبقة ، ولما كان الاتحاد السوفياتي - في زعم الماركسيين - خلوا من الطبقات فلا مجال لوجود احزاب متعددة وانما حزب واحد •

واليوم وقد انتشرت في انحاء مختلفة وكثيرة من العالم احزاب شيوعية تدّين بالولاء للاتحاد السوفياتي فان ذلك يدل دلالة قاطعة على الاهمية التي يحتلها هذا النوع من الاحزاب •

والاحزاب الشيوعية المنتشرة في انحاء مختلفة من المعمورة ترى في الاتحاد السوفياتي (أرض الثورة) الاولى • وفي الحقيقة فان الثورة الروسية قد حطمت نظاما قيصريا فاسدا وضربت الرأسمالية ضربة قاصمة •

ولقد اثبتت الثورة - كما يقول العلامة ج. ه. كول - انها - ان خيرا او شرا - اهم حدث عالمي منذ (الثورة الفرنسية) في سنة ١٧٨٩ « (٢) •

(١) يصف دستور الاتحاد السوفياتي الحزب الشيوعي بانه « طليعة الشعب العامل » •
(٢) كول - تاريخ الفكر الاشتراكي - الجزء الخامس - ترجمة عبد الكريم احمد - ص / ٤ •

الفرع الثاني

الحزب الشيوعي الصيني

اما وان العالم الاشتراكي منقسم اليوم بنتيجة الصراع العقائدي ما بين الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية ولما كانت الصين تزن بثقل كبير على مجريات الاحداث العالمية وان هناك احزابا شيوعية تدين بالولاء الى بكين وليس موسكو ، ولان التجربة الصينية تجربة رائعة ، فلقد آثرنا ان نخصص للحزب الشيوعي الصيني بحثا ندرس فيه - دراسة موجزة - احوال الصين والحزب الشيوعي فيها •

لم يكن للصين - كما هو الامر لروسيا - دور يذكر في الدولية الثانية • كانت الافكار الاشتراكية قبل كارل ماركس حكرا للمدرسة الفرنسية باستثناء أوين الذي كان انكليزيا •

والصين بلد متخلف ، كبير التعداد السكاني ، يعتمد على الزراعة ، ولا يستطيع المرء ان يتحدث عن ثورة اشتراكية في الصين ولا عن فكر اشتراكي فيها ، فالثورة الصينية التي حدثت عام ١٩١١-١٩١٢ لم تكن ثورة اشتراكية •

والفكر الذي كان ينادى به (سان يات سن) لم يكن فكرا اشتراكيا ، ربما كانت فيه بعض اللمحات ، اذ كان الدكتور سن وطنيا مؤمنا بحق بلاده ضد الاستعمار •

وليس من شك ، في ان للدكتور سن يات سن تأثيرا عميق الاغوار في بث الروح الاستقلالية لدى الصين • وليس من شك ايضا ان الصين كانت مثلا صارخا للفساد والتخلف !

ويمكن تلخيص فلسفة سن بانها تقوم على ثلاثة امور هي :

- ١ - القومية
- ٢ - الديمقراطية
- ٣ - توفير مصدر الرزق •

لقد كان سن « قوما نبذ مفهوم الصراع الطبقي تماما ورفض الاعتراف بان
الرأسمالية ، بوصفها متميزة عن الامبريالية الاجنبية ، هي العدو الذي يجب على الشعب
الصيني ان يقائله » وكان يؤمن بحماس بالديمقراطية الشعبية ويقف ضد السلطة
المركزية بأستثناء الفترة التي يكون فيها الصراع الثوري قائما فعلا « (١) » .

الحركة الشيوعية في الصين :

يمكن ارجاع تأريخ نشوء الحركة الشيوعية في الصين الى عام ١٩١٨ ، اذ
تكونت مجموعة للدراسات الماركسية في بكين على أثر نجاح الثورة الشيوعية في
روسيا عام ١٩١٧ ، وكانت هذه الدراسات تحت ادارة استاذين من جامعة بكين
هما : لي شاو وشن ثي هسيو .

وكانت أول حركة جماهيرية - غير انها ليست شيوعية - تلك التي عرفت
بحركة (الرابع من مايس) قام بها المثقفون ولاسيما الطلاب وقد جذبت كثيرا
من الطبقة العاملة .

ولقد شهد عام ١٩٢٠ ميلاد (جماعة الشباب الشيوعي) الفها الطلبة الصينيون
المقيمون في باريس . وهذه تعتبر اول منظمة شيوعية . ولقد عاد بعض الطلبة الى
الصين وهناك أتصلوا بشن ثي هسيو الذي كان موجودا في شنغهاي ، فبدأوا بانشاء
جماعة (الشباب الشيوعي) في مدينة شنغهاي . وفي حزيران عام ١٩٢١ اجتمعت
هيئة مؤلفة من (١٢) مندوبا في مؤتمر افتتح في شنغهاي ليعلن ميلاد الحزب
الشيوعي برئاسة شن ثي هسيو . وكان من بين الاثني عشر مندوبا ماوتسي تونك
زعيم الصين الشعبية حاليا .

« وكان هناك « الكومنتانغ » هو حزب سان يات سن والثورة الوطنية ، حزبا
فضفاض التنظيم ، وكان حزبا وطنيا يقوم على قاعدة واسعة ، يضم عناصر

(١) كول - المصدر السابق - الدولية الثانية - ص/٥٣٩ .

بورجوازية كبيرة وليس متحدا مطلقا فيما يتعلق بسياسة سان الراديكالية ، بل والاشتراكية في كثير من جوانبها « (١) » .

غير ان الكومنتاغ كان « المنظمة الجماهيرية الوحيدة الموجودة للثورة الصينية ، وما كان الشيوعيون يستطيعون تجنب تحديد موقفهم منه » (٢) .

والظاهرة الجديرة بالملاحظة والحرية بالتسجيل ، هي ان ماوتسى تونك اعطى كل اهتمامه الى الفلاحين عاملا على ان يجعل منهم قوة ثورية ، في حين ان زعامة الحزب الشيوعي ما كانت لتعطى اية اهمية تذكر الى الفلاحين كقوة ثورية بل كانت ترى وتصر على ان بروليتياريا المدن هم وحدهم القادرون على القيام بالثورة .

ومن الواضح الجلي ، ان ماوتسى تونك ، كانت نظرتة أعمق وأكثر ادراكا لحقيقة الوضع في الصين . فالصين - كما قلنا - بلد زراعي تشكل الطبقة الفلاحية النسبة الرئيسية من سكانه ، وعليه فالاعتماد على هذه الطبقة أكثر ضمانا لنجاح الثورة .

ان الثورة في اهدافها عالمية ، ولكن الوصول اليها تحقيقا له طرق مختلفة . ان حرص القيادة الشيوعية على الاعتماد على البروليتاريا - اقتداءا بالثورة الروسية - لم يكن اقتداءا علميا لان لكل بلد ظروفها خاصة به . ثم انه حتى الثورة الروسية لم تتم على البروليتاريا في يادى أمرها .

ولقد اعترف الكومنترن وكذلك الزعماء الشيوعيون الصينيون بالدور القيادي للفلاحين . ومنذ ذلك الوقت ارتفعت شخصية « ماو » وغدا رجل الموقف في الصين .

وقد قام ماوتسى تونك عام ١٩٣٤ « بالزحف الطويل » الشهير حيث اجتاز به عبر القارة الصينية . وكان ماوتسى تونك قد اختير عام ١٩٣١ في اول مؤتمر

(١) كول - المصدر السابق - الجزء الثاني من المجلد الرابع - ص / ٣٧٠ .

(٢) كول - المصدر السابق - الجزء الثاني من المجلد الرابع - ص / ٣٧٠ .

سوفيتي لعموم الصين في يواشين في كيانتجسي ، رئيسا للجنة المركزية للحزب الشيوعي كما أختير رئيسا لجمهورية السوفيتية الصينية • ان الصين اليوم انما يحكمها الحزب الشيوعي الصيني بقيادة « ماو » الذي كان رئيسا للجمهورية ثم تنازل عنها محتفظا بمنصبه الحزبي وهو رئيس اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني • وفي الصين احزاب اخرى غير ان وجودها شكلي اذ السلطة التي تمارس الحياة الحزبية انما هو الحزب الشيوعي الصيني •

ان التجربة الصينية تجربة فريدة من نوعها ، انتصرت الثورة فيها بفضل الدور القيادي الذي تولاه الفلاحون وليس العمال الصناعيون • وهكذا و « بوجي ماو » قد اخذت طريقها باستقلال متزايد عن الكومترن والنفوذ الروسي ، ووضعت لنفسها تفسيرها الخاص بها للانجيل الماركسي « (١) » •

بعد هذا الذي قلناه عن الاحزاب الشيوعية (الروسية والصينية) فان للحزب الشيوعي خصائص ينفرد بها عن غيره من الاحزاب • كما ان هناك خصائص تجمعها مع الاحزاب الفاشستية • وعليه فاننا نرجى الحديث عنها لتتولى دراسة الاحزاب الفاشستية ، وبعدها سوف نتعرض لدراسة هذه الخصائص المتفقة منها والمختلفة •

(١) ج • ه • كول : المصدر السابق - الجزء الثاني من المجلد الرابع ص / ٣٩٢ •

المبحث الرابع

« الاحزاب الفاشستية »

في الاصل يراد بكلمة (فاشستي) ذلك النظام الذى اقامه (موسوليني) في ايطاليا من عام ١٩٢٢ عند قيامه بالزحف على روما الى عام ١٩٤٣ حين انتهى النظام وانتهى معه مبدعه بالاعدام من قبل الشعب الايطالي .

وعندما أستولى هتلر على السلطة في ألمانيا عام ١٩٣٣ فان النظام النازي قد اخذ الكثير - تأثيرا - من المبادئ الفاشستية . ولذا فاننا حين نقول الاحزاب الفاشستية فاما المراد بها الحزب الفاشستي الايطالى والحزب النازي الالماني وكذلك الاحزاب التي سارت على منوالهما . وليس من شك في ان الفاشستية قد تأثرت كثيرا براء نيتشه وسوريل وبارتو وغيرهم . وهي فلسفة - اذا جاز التعبير - غير عقلانية اذ تهجم العقل وترى في الدم والتقاليد والعائلة والجنس عوامل رئيسة واسياسية في حياة البشر وكذلك فان هذه الفاشية متأثرة بآراء نيتشه (١) وكذلك بارتو (٢) فيما يخص عدم سواسية الناس : ذلك ان فيهم من يولد أهلا للقيادة وفيهم من يولد تابعا !

وفي الصفحات التالية سوف نبحت في الفرع الاول الفاشية وفي الفرع الثاني النازية ثم ندرس الصفات التي تلتقى فيها مع الاحزاب الشيوعية والفروق التي تقوم بينهما .

(١) فردريك نيتشه : (١٨٤٤-١٩٠٠) احد مشاهير الفلاسفة الالمان وهو صاحب كتاب هكذا تكلم زرادشت .

(٢) فليفريدو باريتو - سوسيولوجى واقتصادى ايطالى (١٨٤٨-١٩٢٣) يعتبر فيلسوف الفاشية .

الفرع الاول

الحزب الفاشي

كثرت النقاش حول الاسباب التي أدت الى وصول الفشية الى الحكم في إيطاليا • وفي الحقيقة فان هذه الاسباب متعددة منها : ما هو متعلق بفشل النظام البرلماني في معالجة المشاكل الى جانب سوء الاوضاع الاقتصادية • او بعبارة أخرى فلقد (كان نموها متأثرا تماما بالظروف الاقتصادية

للعصر ، والمعنويات اليائسة التي اثارته الكارثة الاقتصادية في عقول الصغار ولكنها لم تكن حركة اقتصادية من حيث الاساس ، بل مجرد ظاهرة قومية عدوانية تستند الى العواطف الحادة لعامة الجماهير)^(١) • ولقد عمل موسوليني ، بعد ان قام بالزحف على روما في الثامن والعشرين من شهر تشرين الاول عام ١٩٢٢ ، على إلغاء الاحزاب السياسية ، وأباح الحرية السياسية لحزبه فقط • وجعل هذا الحزب أداة الدولة • وذلك بعد ان سيطر على السلطة التشريعية التي خولته حق اصدار قانون يعطى المراسيم التنفيذية مفعول القوانين التشريعية •

وكان نظام حكمه نظاما شخصيا ، نظم الحزب تنظيما تسلسليا فجعل زعامة الحزب المحلية قاعدة له ، اما القمة فهو المجلس الفاشستي الاعلى •

ولقد فرض على المؤيدين له أداء يمين الطاعة لنظامه ولشخصه • وعمل على نشر مبادئه بين منظمات الشباب بل وشكل جيشا خاصا من فرق القمصان السوداء تتصل به مباشرة وتعمل وفق أوامره • اما النظام الملكي فكان صورة بلا روح فقط ! اذ كان الملك يملك ولكن لا يحكم • وكان الحاكم الحقيقي انما هو موسوليني • وكان جل اعتماد الدوتشي منصبا على كتابه الفاشية التي تدين له بالطاعة العمياء !

(١) ج • ه • كول - الاشتراكية والفاشستية - ترجمة عبدالحميد الاسلامبولي • ص / ١٩ •

« ان الفاشية ديكتاتورية شخصية ، طابعها الشخصي ظاهر في خلوها من اية فلسفة ايجابية واضحة المعالم » (١)

اما نظامها الحزبي فنضيف الى ما اسلفناه من قول ، انه نظام قائم على المصالح لا المبادئ • فعليه زعمانه انما يلتفون حول شخصية الدتشي تحقيقا لمصالحهم ولاطماعهم •

اما شخصية موسوليني فانها كانت متقلبة • بدأ حياته السياسية اشتراكيا ثم انتهى بان اصبح العدو الاول للطبقة العاملة حين اصبح فاشيا •

كان حزب موسوليني الاشتراكي قد وقف موقف المعارض من اشتراك ايطاليا في الحرب الى جانب الحلفاء • وكذلك كان موسوليني غير انه سرعان ما غير رايه في تشرين الاول عام ١٩١٤ وغدا من دعة اشتراك ايطاليا في الحرب جنبا الى جنب مع الحلفاء • ولقد كان موقفه هذا سببا في قرار الحزب بطرده • وكان هذا الطرد عاملا نفسيا دفع موسوليني الى تكوين ما يعرف (الفاشي دى كومبايتيمتو) التي كانت النواة للحركة الفاشية •

ولقد اتبع موسوليني اساليب الاغتيال والعنف لتحقيق اهدافه في الوصول الى السلطة • « والواقع - كما يقول كول : ان الفاشيين كانوا قد شرعوا فعلا في حملة العنف غير المشروع التي ستدمر في سنوات قلائل الحركات الاشتراكية والنقابية وتضع السلطة العليا في يد موسوليني • فكانت جماعات (آردتي) التابعة لموسوليني منهمكة فعلا في القيام بأعمال عنف متفرقة ضد الاشتراكيين وغرف العمل أبان الشهور الاولى من ١٩١٩ ، وفي أبريل نفذ موسوليني اول عمل مسرحي انتقامي ضد زملائه السابقين • فقد قامت قوة من (الارديتي) تنفيذيا لاوامره بحرق مكاتب (افانتي) في ميلانو ونهبها ، ومرت الجريمة بلا عقاب ولا انتقام مضاد • وان كان عمال ميلانو ردوا على ذلك باضراب عام ، وجمع رصيد كبير لاعادة بناء المكاتب التي دمرت ، ومنذ هذه اللحظة بدأ موسوليني

(١) روبرت م • ماكيفر - المصدر السابق ص / ٣٠٥ •

يتطلع الى كبار اصحاب الاعمال لتأييده في قتاله العنيف المدمر ضد الاشتراكية « (١)
نكفي بهذا القدر في حديثنا عن الفاشية متقلين منها الى دراسة النازية ، ومرجئين
عقد المقارنة بين الاثنين اولا ، ومن ثم بينهما وبين الشيوعية بعد الفراغ من دراسة
النازية •

(١) ج . هـ . كول - الاشتراكية والفاشية - المصدر السابق - ص / ٢٥

الفرع الثاني

« الحزب النازي »

لا مرأى في ان وصول هتلر الى السلطة في المانيا ، كان له تأثير كبير وبعيد الاثر على السياسة العالمية • ولقد استغل هتلر وجماعته من النازيين الظروف السيئة الاقتصادية والظروف النفسية لشعب خرج من الحرب ذليلا ومكبلا بعار الهزيمة ومقيدا بقيود معاهدة جاترة الى جانب كونه مثقلا بغرامات الحرب • كل هذه الاسباب خلقت الجو الصالح لانتشار الدعوة النازية ووصول هتلر الى السلطة •

لقد أحسن هتلر أثناءة الشعور القومي في الشعب الالمانى وبذلك تهيأت له ظروف طيبة فتحت له الباب ليتولى الحكم في المانيا •

والغريب العجيب هو ان النظام النازي رغم تصديه بالعنف ضربا للحركات العمالية ، فانه استطاع ان يكسب كثيرا من العمال تأييدا الى الدعوى النازية • ذلك لان الشعور بالالام ، ألم الهزيمة واليأس الذي اصاب المانيا بعد الحرب « قد أثر في العمال بقدر ما أثر في المتمين الى الطبقات المسيطرة سواء بسواء ، ومكن للنازيين ان يتسمنوا السلطة باسم بعث الامة ، وليس بدعوى كراهية الطبقات الاقتصادية للمستوى الاشتراكي • واني هنا لاكره مرة اخرى ، اني لا أزعم ان الملامح الاقتصادية لم تكن غير ذات موضوع ، وانما أقول يقينا ، انه لخطأ جسيم ان نعتبر هذه الملامح الاقتصادية موضع الاهتمام كله ، أو ان نفسر النازية بكل بساطة على انها النزاع الاخير في الاندحار الرأسمالى » (١) •

ولكن الامر الذي ليس فيه شك ، هو ان النازية وكذلك توأمها الفاشية ، حركتان سياستان جاءتا لتحول دون انتشار الفكر الاشتراكي في كل منهما ، بل انهما قاما بضرب القوى العمالية لثلاث تقع السلطة في ايدي هذه القوى ، وعليه فاننا

(١) ج - ه • كول - الاشتراكية والفاشية المصدر والسابق ص/٢٥ •

نرى في الحركتين كونهما رجعتين وليستا بثورية • ان اندحار القوى الاشتراكية ساعد كثيرا على وصول الحزب النازي الى السلطة •
وفي الحقيقة فان نجاح الثورة الروسية وقيام دولة السوفيت قد نبه الى حد بعيد القوى البورجوازية في كل من المانيا وايطاليا الى الخطر المحدق بها من جراء احتمالات وصول القوى الاشتراكية الى السلطة فيهما ، ولذا فان هذه الامور كانت اسبابا رئيسة في قيام الفاشية في ايطاليا والنازية في المانيا •
ان الحزب النازي الذي شارك في الانتخابات العامة لسنة ١٩٢٨ قد احرز اثنا عشر عضوا في (الرايخستاغ) •

ولكن هذا الحزب استطاع في عام ١٩٣٢ ان يحصل على (٢٣٠) عضوا وكانت عدد الاصوات التي نالها ١٣٧٥٠٠٠٠٠ صوت • (هذه الانتخابات جرت في شهر تموز) وفي شهر تشرين الثاني من نفس العام ، هبطت اصواتهم الى ١١:٧٥٠٠٠٠٠ صوتا واصبح عدد نوابهم (١٩٦) نائبا •

وفي شباط ١٩٣٣ اصبح هتلر مستشارا للدولة ، وحين اجريت الانتخابات ، نال الحزب النازي ١٧٢٥٠٠٠٠٠ مليون صوتا • وهكذا تم للحزب النازي الحصول على الاغلبية المطلقة في البرلمان ، الذي طرد منه الشيوعيون •

أوجه التشابه والاختلاف ما بين النازية والفاشية :

لا نكران ان طبيعة كل من المانيا وايطاليا مختلفة ، ثم ان ظروفهما غير متشابه الى جانب ان الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية متباينة • وهذه الامور تلقي الضوء الكثير على طبيعة كل النظامين وكذلك اختلاف شخصية كل من هتلر وموسوليني •

فمثلا لقد خرجت المانيا من الحرب العالمية الاولى مهورة ومدحورة ، في حين ان ايطاليا خرجت من الحرب منتصرة مع الحلفاء ، غير ان ايطاليا لم تكن راضية لان دورها كان ضعيفا ومن ثم فان ما نالت من مغنم لم يرض طمعها في كسب أكثر •

وهذا الاختلاف بعينه قد يكون سببا يجمع بين الاثنين في كونهما غير راضين عن النتائج ولكن ليس من شك ان ايطاليا كانت غير راضية في حين ان المانيا كانت تغلي استياء وسخطا وتتحين الفرص للانتقام .
ولذا فان الاثنين قد عملا على كسب هذا السخط وذلك الاستياء لدى الشعب الايطالي ولدى الشعب الالماني .

ثم ان وجود التشابه بين الاثنين انما تقوم على كونهما حركتين سياسيتين نشأتا بين ابناء الطبقة الوسطى . ولقد اتبعت كلاهما اسلوبا في اثاره العواطف والمشاعر لدى الجماهير في حركة ترمي الى البعث القومي لكل منهما .
كذلك فان وجوه التشابه بين الاثنين تقوم على فكرة الاستعلاء ، فالفاشية كانت دوما تحلم باعادة مجد روما القديم . وكانت الفكرة النازية تقوم على أن المانيا فوق الجميع .

كذلك فان كلا الحركتين قد اتبعتا اسلوبا عنيفا دمويا في ضرب خصومهما وفي استخدام اجهزة البوليس السري و فرق القمصان السوداء أو شرق (الاس .
أس) الصاعقة الالمانية في كبت وضرب كل حركة مناوئة بلا رحمة !
ثم ان من وجوه التشابه أيضا قيامهما على تقديس فكرة (الزعيم) وان كانت النازية الالمانية اكثر اغرافا في الذهاب اعجابا بشخصية الزعيم .
ثم ان التشابه بينهما يقوم على نظرتيهما الى الدولة . فكلاهما لا يؤمنان بالفرد ولا بالحقوق الفردية . يقول الاستاذ ماكيفر « والدوتشى يبشر بخضوع الفرد للدولة ، ويدعوه لاتخاذها المثل الاعلى لولائه » (١) .

أما بالنسبة لالمانيا فان في برنامج الحزب النازي قولاً مأثوراً ومشهوراً يقول فيه : « انك لا شيء . . . شعبك هو كل شيء » !
"Du bist nichts, dein Volk ist alles"

(١) ماكيفر - المصدر السابق - ص/٣٠٥ .

أما أوجه الخلاف ، فهي قطعا تتعلق بطبيعة الشعبين وكذلك قوة
الايولوجية ♦

فالشعب الالماني شعب يحب النظام ويتعشق الى حد التقديس شخصية هتلر ،
في حين ان الشعب الايطالي لم يكن كذلك ♦ علما بان الشعب الالماني اكثر تقدما
من الشعب الايطالي وكذلك فان (العقيدة النازية تهيمن على النفس بقيمتها هيمنة
تامة ♦ والعقيدة الفاشستية تقليدية وانتهازية) (١) ♦

اما فيما يتعلق بشخصية الدوتشي (موسوليني) والفوهرر (هتلر) فإن
البرفسور ماكيفر قد عقد مقارنة بينهما وهو يقول : « وكانت شخصية هتلر تختلف
عن شخصية موسوليني ♦ فهتلر هو مثال الديكتاتور المتعصب وموسوليني هو مثال
الديكتاتور المغامر » (٢) ♦

لقد أحرز هتلر نجاحا منقطع النظير في اكتساب التأييد الشعبي له ♦ ولم
يكن لموسوليني هذا التأييد ، علما بان المانيا ، كما اسلفنا ، بلدا صناعيا متقدما في
حين ان ايطاليا أقل منهما تقدما وصناعة ♦ وعليه فانا نرى ان هتلر شخصية قادرة ،
يتمتع بمواهب ومزايا ، في حين ان موسوليني كان - كما يقول ماكيفر - شخصية
مغامرة !

بعد هذا العرض السريع ، عن الاحزاب الشيوعية والفاشستية ، ان ان نقول
أن هناك خصائص تجمعها معا ♦

ذلك ان كلاهما يتبع نظام الحزب الواحد ♦ وكلاهما يقوم على الارتباط
العمودي ثم ان هذه الاحزاب تقوم على فكرة مركزية السلطة ♦
كذلك تمتاز هذه الاحزاب (الشيوعية والفاشية) بان لها ايولوجية قوية
تخضع افرادها الى نظام صارم ♦ فلا سبيل للتفريق بين اعمال وحياة عضو الحزب
الخاصة وبين اعماله وحياته العامة ♦

(١) ماكيفر - المصدر السابق - ص/٣٠١

(٢) ماكيفر - المصدر السابق - ص/٢١٠

« كانت صورة الاحزاب الفاشستية في ايطاليا والمانيا كالاحزاب الشيوعية نوعا من الديانة الارضية التي هي في حالة حرب مع المذاهب الاخرى » (١) .
ان كلا النظامين يقوم على فكرة متسلطة ومتحكمة وتلعب العقيدة دورا هاما في حياة الحزبين .
غير أنه ينبغي القول الى أن هذا التوافق والتشابه لا يعدم الحقيقة ، وهي أن هناك فروقا أصيلة بين هذين النوعين من الاحزاب . وهذه الفروق هي :

١ - من حيث التنظيم :

يرتكز الحزب الشيوعي في تدوير نشاطاته وادارة اعماله على الخلايا ، في حين ان الاحزاب الفاشستية انما تركز في تدوير اعمالها على الميليشيا .

٢ - من حيث الطبقة الاجتماعية :

الاحزاب الشيوعية تقوم على أساس الطبقة العاملة وديكتاتورية هذه الطبقة .
في حين ان الاحزاب الفاشستية تقوم على الطبقة البورجوازية .
وبمعنى آخر ان الشيوعية بطبقته البروليتاريا تحاول جهدها الوصول الى السلطة والاطاحة بالطبقة الرأسمالية . في حين ان الاحزاب الفاشستية تحاول جهدها المحافظة على سلطة الطبقة البرجوازية والعمل جاهدة ومجتهدة دون وقوع هذه السلطة في ايدي الطبقة العاملة .

٣ - من حيث الفلسفة :

تسم الشيوعية بانها اكثر تكاملا من الناحية الفلسفية من الفاشستية . ثم ان نظرة الشيوعية الى العالم نظرة تفاؤلية باسمه . فهي تؤمن بالتقدم البشري وتتغنى بالغد السعيد .
في حين ان الفاشستية تمتاز بتشاؤمية قائمة . وهي لا تؤمن بالغد وانما

(١) اوستن رني - المصدر السابق - الجزء الثاني ص / ٤٠ .

وتتغنى بالماضى الغابر والمجد المندر وترى ان الامس خير من اليوم ♦

٤ - من حيث القومية :

ان الشيوعية تقوم - نظريا - على عالمية الفكرة ♦ ونقول نظريا لان الواقع قد أثبت عكس ذلك ♦

فالصراع العقائدي الدائر ما بين الاتحاد السوفياتي - والصين الشعبية ، في رأينا ، ليس الا صراعا بين دولتين تحرص كل واحدة منها على مصالحها القومية العليا ♦ « ان هذا الصراع يعطينا انطباعا بان المصالح القومية هي دوما فوق العقيدة ♦ وان هذه - أي العقيدة - لا تستطيع ولن تستطيع ان تأخذ المكان الذي تحتله المصلحة القومية » (١) ♦

بينما الفاشستية تقوم على قومية الفكرة وهي قومية استعلائية تقوم على العنصر والدم ♦

٥ - من حيث الايمان :

تؤمن الشيوعية بالجمهير - البروليتاريا - التي هي صاحبة المصلحة في النظام المذكور ♦ لذا فانها تقوم على فكرة المساواة ♦

بينما الفاشستية - وكما رأينا - لا تؤمن بالجمهير فانها ثورية في حين ان الفاشستية لا تؤمن بالجمهير فهي محافظة ♦

نكون بهذه الدراسة قد أحطنا علما بانواع الاحزاب السياسية ، واننا في الصفحات القابلة سوف ندرس التكوين الداخلي للاحزاب ♦

(١) اطروحتنا للدكتوراه - المصدر السابق - ص/٣٦١ ♦

الفصل الثاني

« التكوين الداخلي للأحزاب السياسية »

قلنا عند تعريفنا للحزب السياسي بأنه « مجموعة من الناس » وعليه فالأحزاب السياسية إنما هي في حقيقة الأمر وجوهه مجموعات بشرية لها منهج معين ويحكمها مبادئ ومصالح معينة • وكما نعلم فإن في نطاق كل مجتمع بشري فريقين :

أ - فريق آمر حاكم

ب - فريق مأمور محكوم

الأول يأمر ويقود والثاني يخضع ويطيع • ومن الواضح أن كل مجتمع إنساني - كما يقول الفقيه الفرنسي دكي - ينقسم إلى حاكمين ومحكومين • كذلك شأن الأحزاب السياسية فإن في نطاقها دوماً فريقين :
القادة ومن ثم الأعضاء •
ولابد عند دراسة التكوين الداخلي للأحزاب السياسية من معرفة ما يلي :

١ - التكوين المباشر وغير المباشر للأحزاب

٢ - الوحدات الأساسية المكونة للحزب

٣ - الارتباط العام لهذه الوحدات

وفيما يلي من صفحات سنحاول دراسة هذه المواضيع بصورة متتالية •

المبحث الاول

التكوين المباشر وغير المباشر للاحزاب السياسية

الاصل في الاحزاب انها تتكون تكوينا مباشرا ، والاستثناء انما هو التكوين غير المباشر ، وعليه فان هناك نوعين او شكلين للتكوين الداخلي للاحزاب السياسية وهما :

أ - تكوين مباشر

ب - تكوين غير المباشر

أ - التكوين المباشر :

اجتماع مجموعة من الناس يوحدهم ويجمعهم تنظيم ومبادئ ومصالح معينة يتفقون فيما بينهم على اثناء حزب معين ثم يشعرون السلطات باتفاقهم هذا وعند اجازة الحزب قانونا يكون تكوين الحزب تكوينا مباشرا بأرادة اعضائه ♦

و « العضوية » في هذا التكوين تقوم على تقديم طلب تحريري من قبل شخص راغب في ان يكون عضوا في الحزب ، ويفصح في طلبه عن رغبته في الانتماء الى الحزب معلنا أيمانه بمبادئه وأستعداده لدفع بدل الاشتراك الشهري او السنوي ♦

ان موافقة الحزب على الطلب يفتح لصاحب الطلب حق الدخول الى الحزب وعليه فان له حق الحصول على الهوية الحزبية او بطاقة العضوية ♦ وهذا يعطيه ويمنحه حق حضور الاجتماعات الحزبية وكذلك الاجتماعات العامة والمؤتمر العام وغير ذلك ♦

ان المثل على هذا التكوين انما هو الحزب الاشتراكي الفرنسي ♦

ب - التكوين غير المباشر :

في هذا النوع من التكوين نجد ان جمعيات مهنية ونقابية وعمالية وثقافية

قائمة ، بمعنى ان لها وجودا قانونيا ، تسهم في خلق حزب يضم المتسعين اليها .

ان المثل على هذا التكوين انما هو حزب العمال البريطاني في عام ١٩٠٠ وهنا لا بد لنا من القول ان العضو حين ينظم الى نقابة انما ينظم اليها باعتبارها جماعة أو فرقة اجتماعية وليس باعتبارها حزبا سياسيا .

ونعرض توضيح العلاقة بين التكوين المباشر للاحزاب وبين التكوين غير المباشر لها ، فانه يمكننا ان نتخذ من الدولة الموحدة والدولة الاتحادية مثلا يعنيها على فهم فكرة التكوين المباشر للاحزاب والتكوين غير المباشر لها .

ففي الدولة الموحدة نجد ان المواطنين يرتبطون بالدولة نفسها دون وجود واسطة لتقوم بذلك . وهذا هو عين الشيء بالنسبة للحزب ذي التكوين المباشر حيث يرتبط المنضمون اليه بالحزب من غير واسطة او رابطة من جهات أخرى .

وهذا على العكس من الدولة الاتحادية حيث يرتبط المواطنون بها عن طريق الدول الاعضاء المكونة للاتحاد ، وكذلك الحزب ذو التكوين غير المباشر فانه ينشأ من اتحاد مجموعة مختلفة تمثل طبقة اجتماعية او مهنية . ولذا فلا يمكننا القول ان هناك عضوية في حزب غير مباشر . فالعضو حين ينظم الى نقابة او جمعية فانما هو ينظم اليها باعتبارها جماعة أو فرقة اجتماعية وليست حزبا سياسيا .

واتماما للبحث ، فانه لمن الضروري ، ان نذكر ان هناك ثلاثة انماط للاحزاب غير المباشرة وهي :

١ - الاحزاب الاشتراكية (العمالية) :

في هذا النمط من الاحزاب غير المباشرة نجد ان نقابات العمال والنقابات التعاونية هي التي تكون (مادة الحزب) . وهكذا فان الحزب يمثل مجموعة

من الاحزاب هما : حزب العمال البلجيكي وكذلك حزب العمال البريطاني عام
• ١٩٠٠

٢ - الاحزاب الكاثوليكية :

وهنا نجد ان الحزب يمثل ، والى حد ما ، اتحادا للقباط العمالية او
التعاونية متحدة مع الجمعيات الفلاحية والتجارية والصناعية •
وهكذا تكون هذه الاحزاب جامعة لطبقات اجتماعية مختلفة ، وكل منها
تحتفظ بخصائصها الاصلية • ومثل هذه الاحزاب هما : الحزب الشعبي
النمساوي والكتلة الكاثوليكية البلجيكية •

٣ - الاحزاب الزراعية :

في داخل هذه الاحزاب ، تلعب القباط والتعاونيات الزراعية نفس الدور
الذي تلعبه القباط والتعاونيات العمالية في نطاق الاحزاب الاشتراكية • وتعد
الاحزاب الزراعية اكثر الاحزاب غير المباشرة تنظيما • ومثلها الاحزاب البلقانية
ولاسيما حزب المزارعين البلغاري وكذلك حزب الريف الاسترالي •

المبحث الثاني

الوحدات الاساسية للحزب السياسية

يراد بالوحدات الاساسية تلك المنظمات التي يتكون منها الحزب • وهي تتفاوت من حيث التكوين ، من حزب لآخر •

فلو اننا اخذنا الحزب المسيحي في بلجيكا والحزب الراديكالي في فرنسا والحزب المسيحي في ايطاليا وحزب المحافظين في بريطانيا فاننا نجد ان كلا من هذه الاحزاب يتصف بأصالة واضحة ، كما انها تختلف الى حد ما من حيث التنظيم ، وكما أسلفنا القول عند الحديث عن الاحزاب السياسية والتي كل منها انما هي حصيللة ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية وفكرية ، كذلك الوحدات الاساسية لاي حزب فان لكل منها تكوينا اصيلا هي الاخرى ، فمثلا لجنة الحزب الراديكالي الاشتراكي الفرنسي وخلايا الحزب الشيوعي الروسي وميليشيا الحزب الفاشستي وقسم الحزب الاشتراكي الفرنسي نجد ان بينهما اختلافات جوهرية واسعة ، وعليه فيمكننا القول بان الوحدات الاساسية للحزب السياسية انما هي اربعة :

أ - اللجنة

ب - القسم

ج - الخلية

د - الميليشيا

أ - اللجنة : اول ما يمتاز به انما هي اقتصارها على عدد محدود من الناس فهي تضم عددا قليلا من الاعضاء دون الرغبة في زيادتهم ، وذلك لانها تشكل فريقا (مغلقا) لا يدخل اليه كل من يرغب وانما يصار الى عضويتها اما عن طريق الترشيح او عن طريق التعيين •

وعلى الرغم من ذلك فان اللجنة تتمتع بسلطة كبيرة ، وقوتها تتأني ، الى

حد كبير ، من النوعية وليس من الكمية • فهي تقوم بداهة على الطبقة البارزة في المجتمع • ان نطاق عملها الجغرافي يكاد يكون الى حد ما كبيرا ويكاد يشبه المنطقة الانتخابية ايضا ، ففي فرنسا مثلا نجد ان اللجان تباشر اعمالها ضمن (القسم) وذلك تحت ظل الجمهورية الثالثة • اما عن نشاطات اللجنة فانها دورية وليست دائمة ، وهي تشتد وتنشط كلما اقترب موعد الانتخابات ، وفيما عدا هذه الاحوال فانها لا تتحرك ويمكننا تقسيم اللجان الى نوعين :

١ - لجان مباشرة

٢ - لجان غير مباشرة

بالنسبة للاولى فان المثل عليها لجان الحزب الراديكالي الاشتراكي الفرنسي ، حيث يضم مجموعة من سرة الناس البارزين في المجتمع اختيروا بسبب كفاءتهم الشخصية وقابلياتهم الفردية كأصحاب الاملاك والاطباء في المدن والارياف وهؤلاء لا يمثلون اية طبقة او جماعة وانما يمثلون اشخاصهم فقط •

اما بالنسبة للجان غير المباشرة فان لجان حزب العمال البريطاني التي تتكون من اجتماع ممثلي الوحدات الاساسية المحلية خير مثال عليها •

ويلاحظ ان هؤلاء انما هم اعضاء فيها ليس بسبب شخصياتهم وقابلياتهم الفردية وانما بسبب التفويض •

ويمكننا اضافة نوع اخر من اللجان الا وهي (اللجان الفنية) حيث يقوم عليها جماعة من الفنيين ذوي الخبرة الذين ينتخبون بسبب خبرتهم في الانتخابات ، وهذا ما هو موجود في الاحزاب الامريكية •

صفوة القول ان اللجان انما هي العنصر المحرك لنشاطات الاحزاب المحافظة ، وهي تعبير عن الطبقات البرجوازية المحافظة •

ب - القسم : وهذا يشتمل على مجموعة من الناس اكبر مما تشتمل عليه اللجنة • والقسم يمتاز بانه (مركزي) الى حد ما بالقياس الى اللجنة ويلاحظ

ان الاحزاب الاشتراكية تعتمد في تدوير اعمالها وادارة نشاطاتها على الاقسام • ولئن كانت اللجنة مغلقة في وجه من يريد الدخول اليها فن القسم مفتوح لكل من يرغب الدخول اليه • كذلك فان القسم يحتوى على طبقة من الناس شعبية التكوين في حين ان اللجنة قاصرة على الشخصيات البارزة في المجتمع • اما نطاق القسم على المستوى الجغرافي فانه اقل من النشاط الذي تمارسه اللجنة • ويمكن القول بان الاقسام تمتاز بانها مركزية الارتباط ، في حين ان اللجان غير مركزية • وهناك ايضا فرق جوهري هام بين اللجان والاقسام وهو ان الاولى - كما اسلفنا - تعبر سياسى لطبقة البرجوازية في حين ان الاقسام انما هي تعبير لطبقة الجماهير •

والاصل ان الاقسام تعتبر من بدع الاحزاب الاشتراكية وهي محكومة بمخاطبة الجماهير والعمل على نشر الثقيف والوعي السياسى • كما ان قاعدة الاقسام تعتبر واسعة بالقياس الى اللجنة التي تقتصر على فئة قليلة • كذلك يمكن القول بان نشاطات الاقسام مستمرة وليست دورية كما هو الحال في اللجان •

ج - الخلية : وتمتاز هذه الوحدة الثالثة من الوحدات الاساسية للاحزاب السياسية بجبكة التنظيم وان اعمالها محاطة بالسرية والكتمان • وهناك صفتان رئيستان للخلايا تميزانها عن الاقسام : قاعدة التجمع وعدد الاعضاء •

فلئن كانت الاقسام تعتمد على قاعدة محلية وهي (الاساس الجغرافي) فان الخلية تستند على الناحية المهنية • ولذا فان عامل المهنة هو الذي يملئ على تكوينها وليس العامل الجغرافي كما هو الحال في اللجان والاقسام • فهذه الخلايا تضم المنضمين الى الحزب والموجودين في مكان معين حيث يمارسون اعمالهم وهكذا يمكننا ان نميز بين خلايا المصانع وخلايا المكاتب والادارة والمحلة والمنطقة • • الخ • وقد يحدث ان يكون في الشارع الواحد خليتان • ومما يؤخذ على الخلايا التي تقوم على اساس مهني انها تسقط المسائل السياسية العامة من اهتمامها لان اهتمام الاعضاء يكاد يكون محصورا في محيط عملهم •

فالعامل ولا ريب يحرص دوما على اثاره المناقشات اذا كانت تتعلق بتحسين حالة ورفع مستواه المعاشي او رفع اجور عمله ، وهذا ينطبق على الخلايا الاخرى التي يكون اعضاؤها ذوي مهن متشابهة • ولذا ارتوى ان يكون اساس تنظيم الخلايا (المحلة) وبذلك يتها للخلايا وجود مستوى منوع حيث تتوارى فيها مختلف الشخصيات واصحاب المهن المختلفة • فيجتمع الفلاح والاستاذ والمحامي والعامل والطبيب • الخ • فاذا ما اثرت المناقشات فانها تكون متنوعة المواضيع وتعني بمختلف الشؤون الخاصة منها والعامه ، ويكون النقاش بالتالي عاملا على رفع المستوى الثقافي والفكري لاعضاء الخلية •

اما عدد اعضاء الخلية فانه ولاشك اقل كثيرا من عدد اعضاء القسم وقد لاحظ احد اعضاء الحزب الشيوعي الفرنسي في تقرير قدمه الى مؤتمر الحزب عام ١٩٤٥^(١) والذي اسمه (مورييس موفيه) ان وجود عدد من الاعضاء يزيد على المئة عامل يشبط من فعاليات الخلية ، وبالتالي يصبح في غير مقدورها القيام بواجباتها على الوجه المطلوب • وهو يرى ان اقتصار الخلية على عدد يتراوح ١٥ - ٢٠ عضوا احسن بكثير من احتوائها على عدد ضخم ، ذلك انه ينبغي على المسوول عن الخلية ان يحيط علما باعضائها ويكون ملما بظروفهم المعاشية ومجالات اقامتهم وعملهم ، وحيث انه يتعذر على هذا المسوول ان يحيط بظروف مائة عضو ، فحيثنذ يكون اقتصار الخلية على عدد يتراوح ما بين ١٥-٢٠ عضوا هو سبيل افضل للقيام بالواجبات المطلوبة ولعل من المفيد ان نذكر ان عدد اعضاء خلايا الحزب الشيوعي الايطالى هو سبعة اعضاء فقط • اما الحزب الشيوعي العراقي فالخلية فيه يتراوح عدد اعضائها ما بين ٣-٥ اعضاء •

ولئن كانت اللجان من خلق الاحزاب المحافظة ، والاقسام من خلق الاحزاب الاشتراكية فان الخلايا من بدع الحزب الشيوعي الروسي اذ جاء في مقررات

(1) Maurice Duverger, Op. Cit., P. 59.

المؤتمر الثالث للشيوعية الدولية عام ١٩٢٤ وجوب الاخذ بنظام الخلايا من قبل كافة التنظيمات الشيوعية ♦

د - الميليشيا : وهي نوع من الجيش ولكنه خاص ببعض الأعضاء ويعددهم اعدادا عسكريا ويخضعهم لنفس النظام الصارم الذي يخضع له الجندي ، اللباس والمظهر ، ولكن يظل هؤلاء الاعضاء مدنيين ♦ والميليشيا هي من بدع الاحزاب الفاشستية ، صحيح ان هناك ميلشيا في الاحزاب سبقت الفاشستية الا كانت ثانوية الدور ، ولم تكن من الوحدات الاساسية لتكوين الحزب ♦

وما من حزب من الاحزاب قام تكوينه على الميليشيا تقصرا ، فليس هناك حزب قام تكوينه على اساس الوحدات الاساسية بمفردها ، اللهم الا الاحزاب المحافظة في القرن التاسع عشر ، وهو استثناء لهذه القاعدة ، اذ قامت على اللجان فقط ♦

ونستطيع ان نبين نوعين من الاعضاء في هذا التنظيم :

١ - الاعضاء العاملون

٢ - الاعضاء الاحتياط

في النوع الاول يقوم الاعضاء بأعمال ذات خطورة وتتعلق بحماية اجتماعات الحزب وضرب خصومه والعمل على نشر منشوراته وكذلك ترويح الدعاية له ♦ اما الاعضاء الاحتياط فهم اولئك الذين تجاوزوا الخامسة والثلاثين من عمرهم ويشغلون وظائف معينة فيه او تكون هذه الوظائف اقل خطورة مما يقوم به الاعضاء العاملون عادة ♦

ولقد قامت الميليشيا بدور فعال في وصول موسوليني الى السلطة ، اذ ان زحفه على روما (١٩٢٢) واستلامه السلطة كان الدور الاول فيه للميليشيا وكذلك كان شأنها في تثبيت اقدام هتلر عند وصوله - هو الاخر - الى السلطة ♦

والحقيقة فان فكرة الميليشيا تقوم في المذهب الفاشستي على اساس ان

الطبقة المختارة هي التي يقوم عليها العبء الاول في توجيه المجتمع والسيطرة عليه ، وليس من ضير لهذه الاقلية ، وهي النخبة ، من استعمال اساليب العنف والقوة في سبيل اخضاع الاغلبية والحصول على اذعانها وتأييدها .

ويلاحظ ان الاحزاب الفاشستية ولا سيما الحزب النازي كان هو الآخر قد أخذ بنظام الخلية على صور موسعة ، كذلك أخذت احزاب كثيرة بنظام الميلشيا كالحزب المسيحي البلجيكي والحزب الاشتراكي النمساوي وكذلك الاحزاب الشيوعية في اوربا ابان الاحتلال النازي لها . وهذا مما دعى الاستاذ (موريس ديفرجيه) الى القول بان هناك ترابطا عاما بين هاتين الوحدتين الميلشيا والخلايا . أليست الخلايا تتضمن التعبئة المدنية والميلشيا تتضمن التعبئة العسكرية^(١) ؟

بهذا نكون قد انهيينا دراسة الوحدات الاساسية للاحزاب السياسية وبذا يكون موضوع البحث القابل انما هو الارتباط العام .

(1) Maurice Duverger, Op. Cit., P. 60.

المبحث الثالث

الارتباط العام

اما وانا قد درسنا الوحدات الاساسية للاحزاب السياسية فانه يتعين علينا معرفة كيف يتسنى لهذه الوحدات ان ترتبط الواحدة بالاخري مكونة في مجموعها حزبا سياسيا ثم كيف انها تقوم بواجباتها ونشاطاتها تحقيقاً لاهداف الحزب ؟ هذه الاسئلة هي التي يجب عليه موضوع الارتباط العام • وفي الحقيقة فانه موضوع يملك اهمية سياسية خاصة على الرغم انه في مظهره يعطي أهمية فنية فحسب •

ان الاساس الذي يقوم عليه الارتباط العام هو التقسيم الاداري لدولة ما • فالعراق مثلا يتكون من أربعة عشر لواء ، فاللواء اذن هو الاساس الذي يقوم عليه ارتباط الحزب بالنسبة لوحداته الاساسية فترى ان الوحدات تثبت في النواحي والاقضية والالوية حيث تتصل كلها بالمركز العام في بغداد العاصمة • ففي كل حزب هناك القواعد الشعبية المنبثة في قطر ما وهذه ترتبط بدورها الى المنظمات التي هي اعلى درجة فالناحية حيث توجد وحدات أساسية حزبية فانها ترتبط فيما بينها مكونة فرع الحزب في الناحية حيث يرتبط بفرع القضاء وهذا بدوره يرتبط بفرع اللواء ، ثم ترتبط كل هذه الفروع في الالوية بالمركز العام • ولذا فان ارتباط الوحدات الاساسية يتخذ شكلا هرميا من القاعدة حتى القمة • والدول تختلف انظمتها الادارية ففي سويسرة مثلا يقوم النظام على أساس « الولاية » (١) وفي بلجيكا يقوم النظام الاداري فيها على اساس القسم ، وفي فرنسا تقوم على أساس اللواء حيث ترتبط الاقسام والخلايا بالفرع الموجود في اللواء وهكذا •• وفي هولندا يقوم التقسيم الاداري على المنطقة •

(1) Canton.

وكتيرا ما تأخذ بعض الاحزاب سبيلا يخرج بها عن هذه القاعدة فالحزب الشيوعي الفرنسي أخذ - ولمدة طويلة - بنظام المناطق التي هي تكوين حزبي وليس لها علاقة بالتقسيم الاداري . كذلك قسم الحزب الشيوعي العراقي الى ثلاثة مناطق شمالية ووسطى وجنوبية وهذا التقسيم انما هو الآخر لاغراض حزبية بحثة لا علاقة لها بالتقسيم الاداري . كذلك الحزب النازي فانه قسم المانيا الى (٢١) فسما ، كذلك في مناطق الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني فانها لا تتفق مع التقسيم الاداري فيها .

ولابد لنا عند الحديث عن الارتباط العام من دراسة مواضع عدة منها الارتباط الضعيف والارتباط القوي ، ارتباط أفقي وارتباط عمودي واخير المركزية واللامركزية في الاحزاب وهذا ما سنتناوله فيما يلي :

١ - الارتباط الضعيف والارتباط القوي :

هناك احزاب ارتباطها ضعيف وأخرى ارتباطها قوي ، فالاحزاب ضعيفة الارتباط ومثلها الحزب الراديكالي الاشتراكي الفرنسي ، نجد ان هذا الحزب يتكون أساسا من اللجان والاتحادات المختلفة للحزب مجتمعة . وليست هناك قواعد ثابتة ولا محددة لبيان كيفية تكوين الفروع والمنظمات التابعة لها . فكقاعدة عامة ، الاتحادات في الاقاليم وحدها لها حق الانخراط مباشرة لان النظام الاساسي لا يسمح بمشاركة لجنة الا اذا كانت مسجلة في فترة أو دورة الاتحاد . ولكن ليس هناك شيء محدد فيما يتعلق بالتكوين الداخلي بحيث ان كل اتحاد أو لجنة تستطيع أن تنظم نفسها بالشكل الذي تراه ، وارتباط اتحادات الاقاليم أو الفروع بالحزب ارتباط ضعيف . صحيح ان النظام الاساسي يتحدد تمثيلا معيناً بالنسبة الى المؤتمر أو اللجنة التنفيذية غير ان ذلك ليس دقيقا . كان الحزب

الراديكالي قبل عام ١٩١٤ مكونا من منتخبى الحزب وممثلى الشعب واللجان واتحادات الفروع ولكن من غير تحديد عددهم ولا بيان كيفية تعيينهم أو ترشيحهم . أما الآن فإن اعضاء الاتحادات أو اللجان اذا ما دفع أحد منهم بدل الاشتراك يحق له الحصول على بطاقة تخوله حق حضور جلسات المؤتمر .

اما فيما يتعلق بالمكتب التنفيذي أو كما يسمى (اللجنة التنفيذية) ، وهو يعد من أهم المنظمات فيه ، ليس هو الآخر بأحسن حالا من سابقه ، فهذا المكتب يضم اعضاء معينين بحكم النظام وكذلك اعضاءا منتخبين من قبل المؤتمر العام . اما اعضاءه المعينون بحكم القانون فهم اعضاء مجلس الشيوخ واطباء مجلس الجمعية الوطنية (النواب) الذين هم اعضاء الحزب ، والمستشارون العامون مستشارو المجالس البلدية للمدن التي يزيد عدد سكانها عن ٥٠٠٠٠٠ خمسين الف نسمة ، وكذلك الرؤساء أو نوابهم الحاليون والسابقون كذلك السكرتيرين العامون والسابقون ، ورؤساء وسكرتيرى الاتحادات الاقليمية . كان الاعضاء الذين ينتخبون من قبل المؤتمر العام قبل عام ١٩١٤ وعددهم اثنان لكل اقليم يزيد عدد سكانه على ٢٠٠٠٠٠ المائتي الف نسمة .

وبعد ذلك ينتخب المؤتمر لكل اقليم يزيد عدد سكانه على ١٠٠٠٠٠ مائة الف نسمة عضوا واحدا ، وكذلك عن كل ٢٠٠ من دافعي الاشتراك عضوا واحدا .

ولكن منذ عام ١٩٤٥ بقى الصنف الثانى هو المعمول به وهي تمثل ربع اللجنة التنفيذية ، اما ثلاثة ارباع اللجنة فانما يأتون عن طريق التعيين بحكم نظام الحزب . ومما لا شك فيه ان ثلاثة ارباع اللجنة التنفيذية ، وهم معينون وليسو منتخبين ، يعطى توضيحا باهرا لضعف الارتباط في الحزب الراديكالي الفرنسي . وهكذا عوضا من ان يعتمد الحزب على قواعده الأساسية التي تشكل قوته الحقيقية ، نجد ان هذا الحزب يضع مجموعات غير متجانسة

يربطها رباط واه ضعيف • وهذا الرباط الواهي يخفي في الحقيقة علاقات شخصية ومنافسات حزبية وصراعات كتل من الشخصيات •

اما الارتباط القوي والذي مثله الحزب المسيحي الاشتراكي البلجيكي فانه جد مختلف عن الارتباط الضعيف • ارتباط الحزب المسيحي الاشتراكي البلجيكي فيه تعليمات محددة ودقيقة بحيث يضمن مشاركة كل عنصر من العناصر الاساسية للحزب • فالاقسام المحلية تنتخب كل سنة ممثلين ، واحد لكل مائة عضو (أو اثنان كأقصى حد) • وهؤلاء المثلون بضمنهم البرلمانين واعضاء المجالس البلدية فهؤلاء يكونون الجمعية العامة حيث ينتخب من نطاقها رئيس واثنا عشر عضوا ، وهؤلاء بدورهم يختارون ستة اشخاص (يمثلون نصف العدد المنتخب) وهكذا من المجموع وعددهم تسعة عشر عضوا تتكون اللجنة المركزية في الاقاليم حيث تسير على ادارة شؤون الحزب المحلية فيها • وكل لجنة تنتخب نفسها ممثلين الى المؤتمر العام • وهكذا يختار عضو واحد من كل (٢٥٠) مائتين وخمسين عضوا في اقسام الحزب • ومن المؤتمر العام ينيق المكتب الذي يشرف على ادارة شؤون الحزب بصورة دائمية الا وهو اللجنة الوطنية • وهذه اللجنة ممكن توسيعها في مجلس عام يضاف اليه رؤساء لجان الاقسام • وهذا المجلس العام انما هو وسط بين المؤتمر العام واللجنة الوطنية •

وما دمنا بصدد الحديث عن الارتباط القوي فانه يتبادر الى الذهن سؤال هل من علاقة بينه وبين الديمقراطية؟ وبينها - أي الاخيرة - والارتباط الضعيف • ليس من شك - كما رأينا - ان الارتباط الضعيف ليس ديمقراطي • ذلك ان تكوين الحزب الراديكالي الفرنسي يبعد - والى حد كبير - الروح الديمقراطية لانه يقوم على التعيين لان السلطة فيه تقوم على حفنة صغيرة من الشخصيات وليس للقواعد الحزبية أثر في هذا الاختيار •

اذن هل الارتباط القوي ديمقراطي ؟ قد يكون ديمقراطيا وقد لا يكون ديمقراطي - كما هو في الاحزاب الاشتراكية - حيث الانتخاب على كافة القواعد - من القاعدة حتى القمة • الى جانب مراقبة صارمة ودقيقة الى التمثيل وكذلك التصويت فهذه الامور ولا شك تخلق جوا ديمقراطيا باهر الوضوح •

اما في الاحزاب الديمقراطية والمسيحية (الترشيح - في حالة الحزب المسيحي الاشتراكي البلجيكي) فان الترشيح عامل يحدد ويحدد كثيرا من الديمقراطية كذلك الاحزاب الشيوعية ، التي هي الاخرى قوية التنسيق ، فالتعيين فيها - تعيين القادة من قبل المركز - يفضي الى خلق تحكم وتسلط واضح • وهكذا تغدو صفة الارتباط القوي سبيلا يحد بل يقضي على الديمقراطية ويقوي من سيطرة القادة على القواعد الحزبية •

انه من المناسب ان نتساءل هل هناك من عوامل تدفع احزابا الى القوة والضعف في الارتباط ؟

ربما تسهم طبيعة البلد وتقاليد وظروفه الى حد ما ولكن هذا ليس بعامل كبير ، فالاحزاب الاشتراكية الاسكندنافية أقوى ارتباطا من الاحزاب الاشتراكية اللاتينية (جنوب اوربا) والاحزاب الايطالية أقل ارتباطا من الاحزاب الفرنسية ولكن ذلك ليس بدائم اذ لو أخذنا الحزب الشيوعي الفرنسي أو الايطالي فانه ولا شك أقوى ارتباطا من الاحزاب الاشتراكية في المانيا أو الدول الاسكندنافية والحزب الاشتراكي الفرنسي أقوى ارتباطا من حزب المحافظين البريطاني •

ربما ايضا يمكننا اعتبار بعض الظروف التاريخية عاملا من عوامل اتجاه حزب معين نحو الارتباط القوي • فالصراع السري في اوربا عندما كانت تحت احتلال المانيا النازية فان العمل السري قد دفع الاحزاب الى ان ترتبط ارتباطا قويا •

كذلك يلعب النظام الانتخابي دورا ملحوظا في ذلك • على ان العنصر الرئيسي الذي يدفع حزب نحو الصلابة في الارتباط انما طبيعة الحزب نفسه أي طبيعة الوحدات الاساسية التي يقوم عليها • فالاحزاب المحافظة التي تعتمد على اللجان انما هي احزاب ضعيفة الارتباط • اما الاحزاب الاشتراكية التي تقوم على الاقسام فانها قوية الارتباط • والاحزاب الشيوعية التي تقوم على الخلية وكذلك الاحزاب الفاشستية التي تقوم على (الميلشيا) تعتبر قطعاً أقوى الاحزاب ارتباطا • وما دنا بصدد الحديث عن الاحزاب الفاشستية فان الحزب الفاشستي الايطالي كان أضعف قليلا • من حيث الارتباط - من الحزب الالماني - • نهنا تدخل طبيعة الشعب الالماني وجهه للنظام كعامل في ذلك •

٢ - الارتباط العمودي والارتباط الاقفي :

لابد لاعطاء صورة واضحة عن الارتباط العام للاحزاب السياسية • ذلك ان الارتباط القوي والارتباط الضعيف لا يعطيان هذه الصورة الواضحة بل انها تصنف الاحزاب ولذا فان من الضروري دراسة الارتباط العمودي والاقفي - حتى الى جانب دراستنا لمركزية الاحزاب واللامركزية نكون قد ألمنا بالموضوع الماما كافيا •

تري ما المراد بالارتباط العمودي ؟ يراد به تلك العلاقة التي تربط منظمتين تنفرد الاولى بالسلطة على الاخرى • فتمتلك الاولى القدرة على التوجيه والامر وتخضع الثانية اذعاناً وطاعة • والارتباط العمودي معروف ولكن الحزب الشيوعي اسهم الى حد ملحوظ في تحسينه وتأسيس أصوله • كمثل اتباع اتحاد اقليمي الى اللجنة المركزية أو قسم حزبي يتبع نوع الحزب وهكذا •

اما الارتباط الاقفي فهو على العكس من الارتباط العمودي حيث في الاول نجد ان هناك منظمتين على قدم المساواة لا استعلاء للاولى على الاخرى ، ولا سيطرة لها على الثانية • مثل العلاقة بين قسم وقسم أو اتحاد لحزب ما في لواء

مع آخر • فالاحزاب التي تتبع الارتباط العمودي فان هذا الارتباط لا يترك مجالا لتطبيق الارتباط الافقي • فالاحزاب عمودية الارتباط لا تستطيع الوحدات الاساسية وقواعدها الانتقال فيما بينها الا عن طريق القمة • وهذا يفرض - بدهاة - عدم امكانية ظهور ارتباط افقي كما اسلفنا من قول •

ان الاحزاب الشيوعية - و لاسيما الروسي - يعطينا فكرة توضيحية لانه يقوم على ارتباط عمودي متكامل • فخلالها الحزب الشيوعي لا تستطيع الاتصال فيما بينها الا عن طريق القسم الذي يكون الجهاز الاعلى للخلالها •

ومن مزايا هذه الطريقة انها تحول دون خلق انقسام في الحزب أو تكوين (فئات) داخل الحزب فلو حدث انقسام في خلية أو انشقاق فان ذلك لن يحدث في نطاق الخلالها المجاورة • كذلك فانها تؤدي الى وحدة الحزب وهذا الارتباط يتساقق كثيرا مع طبيعة العمل السري •

وليس الارتباط العمودي وفقا على الاحزاب الشيوعية بل عرفتها الاحزاب الفاشستية والنازية فالحزب النازي كان يقوم أساسا على الارتباط العمودي • كذلك الحزب الاشتراكي الالماني قبل صدور قانون الجمعيات الذي أصدره بسمارك كاجراءات ضد الاحزاب وتقييدها فقد دفعت هذا الحزب الى اتباع طريق يقوم على الارتباط العمودي هي الاخرى • فكانت كل مجموعة محلية من هذا الحزب تنتخب في اجتماع عام (رجل ثقة) ومن اجتماع هؤلاء يتكون جهاز الحزب • فليس لاقسام الحزب الاشتراكي الالماني الاتصال فيما بينها وانما يتم ذلك عن طريق رجال الثقة • ومن الواضح ان قوانين بسمارك كانت مناهضة للاشتراكية وكان يهدف منها القضاء على الاحزاب الاشتراكية •

اما بالنسبة للاحزاب المباشرة ، فان الارتباط الافقي يحتفظ بأهمية خاصة ليس كطريقة للاتصال الداخلي وانما في علاقات خارجية مع المنظمات الاخرى • فكثيرا ما تعتمد هذه الاحزاب الى اتباع الارتباط الافقي لكي تسيطر على المنظمات

الملحقة للحزب أو لغرض ضرب حزب معارض ، لضم الأولى والسيطرة عليها من قبل القادة • ولاغراق الحزب المعارض بدعاية سياسية يقوم بها الاعضاء • وهكذا يصل الى قيادة المنظمات الملحقة قادة من الحزب نفسه •

وكثيرا ما يكون الارتباط خفيا كما في حالة النقابات والجمعيات النقابية والرياضية فانها في الاصل أو في الظاهر - رسميا - مستقلة عن الحزب ولكن في الحقيقة والواقع جميع المناصب الرئيسية في هذه المنظمات والجمعيات انما هي بيد الحزب •

بعد ان انهيينا بحث موضوع الارتباط العمودي والارتباط الافقي فان ذلك يقودنا الى الحديث عن المركزية واللامركزية في الاحزاب •

٣ - المركزية واللامركزية :

هل ان المركزية تعني الارتباط العمودي ؟

وان اللامركزية تعني الارتباط الافقي ؟

لئن تلتقي الفكرتان معا في بعض النقاط فانها تختلف من حيث الاصل • ذلك ان الارتباط العمودي والارتباط الافقي تتعلقان - والى حد كبير - بعملية « التنسيق » بين الوحدات الاساسية المكونة للحزب • اما في حالة المركزية واللامركزية فانها تبحث في كيفية توزيع السلطة على مختلف مستويات القيادة • وكما ان الدول تختلف في اخذها بالنظام المركزي واللامركزي في ادارة شؤون الدولة على الصعيد القومي والمحلي • كذلك تختلف الاحزاب السياسية هي الاخرى •

فلاحزاب المركزية هي التي يكون المركز جهة الاختصاص في اصدار القرارات وتوجيه نشاطات الحزب المختلفة • واللامركزية تعني اعطاء قدر كبير من الاستقلالية للفروع تتولى بنفسها معالجة مشاكل الحزب وتدير شؤونه المختلفة • واللامركزية في الاحزاب تتخذ انماطاً أربعة هي :

- آ - اللامركزية المحلية •
 - ب - اللامركزية الايديولوجية •
 - ج - اللامركزية الاجتماعية •
 - د - اللامركزية الاتحادية •
- وستتولى شرحها تباعا •

آ - اللامركزية المحلية : ان مفهوم اللامركزية يتساقط مع (المحلية) وهي تقوم على أساس ان القادة المحليين لحزب ما يتمتعون بسلطة واسعة في اتخاذ القرارات المهمة ومعالجة مشاكل وتصريف أمور الحزب المحلية • وليس للمركز من سلطة عليهم الاضئيلة •

وقد تتساقط فكرة اللامركزية المحلية مع ارتباط ضعيف كما تتساقط مع فكرة الارتباط القوي • مثل الاولى الحزب الراديكالي الاشتراكي الفرنسي وكذلك الاحزاب الامريكية ومثل الثانية الحزب الاشتراكي الفرنسي • وتلعب اللامركزية المحلية دورا خطيرا في الاتجاهات السياسية للاحزاب ولكن لما كانت اهتمامات (الفروع) الحزبية عليه لذا فان عيها يكمن في «محلية» اهتمامها وضيقت نشاطاتها واسقاطها الاعتبارات السياسية والقومية والدولية من هذا الاهتمام •

وان الاعتبارات المحلية الضيقة ربما تفسر لنا الكثير من الحياة السياسية الفرنسية تحت ظل الجمهورية الثالثة وكذلك الاتجاهات السياسية الامريكية •

ب - اللامركزية الايديولوجية :

وهذا النوع من الايديولوجية يقوم على فكرة تمتع الفئات أو «الاتجاهات» في داخل حزب معين بحرية ملحوظة تقوم على استقلالها وتأكيد شخصيتها الى حد ما ، اذ مما لا ريب فيه ان داخل كل حزب تيارات واتجاهات فكرية مختلفة • فالحزب الاشتراكي الفرنسي قد طور هذا النمط من اللامركزية كثيرا • اذ كانت الاتجاهات الفكرية السياسية تتمتع في داخل هذا الحزب بتنظيم قوى حتى

عام ١٩٤٥ حيث مثلت هذه القوى في اللجان الادارية للحزب • وقد الغي النظام الجديد للحزب هذه القاعدة • ولكن - عملا - ظلت بها معمولة • في الحقيقة والواقع فان اغلب الاحزاب الاشتراكية المباشرة قد عرفت هذا النوع من اللامركزية • فما البولشفيك الا اتجاه (الاغلبية) في نطاق الحزب الشيوعي السري في روسيا والمنشفيك الا اتجاه (الاقلية) • وعند وصول الحزب الى السلطة فقد ظلت هذه الاتجاهات موجودة ولقد عمل الحزب طويلا لجعلها

« مركزية ايدولوجية » حيث تم له ما اراد عام ١٩٣٦ •

ولئن كان عيب هذا النمط من اللامركزية انها تفضي الى الانقسام أو حدوث الانشقاق في وحدة الحزب فان محاسنها لمثيرة اذ انها تؤدي الى خلق جسر فكري يقوم على المناقشة وهذا ما يؤدي الى توسيع آفاق العضو الحزبي - الفكرية والسياسية - الى جانب اهتماماتها بالمسائل السياسية العامة •

ج - اللامركزية الاجتماعية : وهذه تقوم بداهة على طبقة اجتماعية معينة ولذا فانها تتعلق بالاحزاب غير المباشرة (كلاحزاب الكاثوليكية) فهذه تقوم على اعطاء صلاحيات واسعة الى الاقسام التعاونية •

ويشوب هذه الطريقة من اللامركزية عيب الاهتمام بمصالح فئة خاصة لذا فان اهتماماتها هي الاخرى - كاللامركزية المحلية - خاصة وليست عامة تخص فريقا أو طبقة اجتماعية كالفلاحين (المزارعين) • ولكن يظل نطاق وطبيعة الاهتمام مختلفا في اللامركزية الاجتماعية عنها في المحلية • وذلك لان العمل وتقسيم العمل وكذلك التقدم العلمي كل هذه عوامل تخفف في هذا العيب • وهكذا تغدو اللامركزية الاجتماعية اكثر فعالية من المحلية حيث ان الاخيرة تكون المصالح اقليمية بحتة • كذلك تسهم في معالجة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ولكن من دون وصول الى حلول جذرية في هذا الشأن • لان كل « جماعة » ترى وسائلها أصوب من غيرها وأحق بالاهتداء والاتباع •

اما عيبها فهي تفضي - كما هي الحالة في اللامركزية الايدولوجية - الى الانقسام والانشقاق • وحزب الكتلة الكاثوليكية البلجيكي خير مثال على ذلك •

د - اللامركزية الاتحادية : قد يقوم في الاحزاب تنظيم سياسي حزبي يعكس التنظيم الاتحادي لدولة ما • ففي سويسرة حيث النظام الاداري فيها يقوم كما رأينا - على الولاية ، ففي كل ولاية تشكل الجماعات الوطنية قاعدة للاختلاف السياسي والاداري للدولة الاتحادية • فاستقلالها داخل الحزب يكاد يقرب اللامركزية المحلية حيث لكل ولاية نظامها الخاص بها وهذا ما يسمح - ولا شك - بان يفصح كل فريق سياسي عن رأيه أو يعبر عن أصالته وشخصيته داخل المنظمات الحكومية •

وفي نطاق دولة ما حيث توجد جماعات من الناس مختلفة العنصر فان هذا الاختلاف العنصري يفضي الى عدم ظهورها مجتمعة وانما موزعة • وهذا واضح في الاتحاد الذي كان واقعا بين النمسا وهنغاريا قبل عام ١٩١٤ حيث كان الحزب الاشتراكي موزعا في سبعة منظمات مستقلة تمثل الجماعات المختلفة وهم : الالمان ، الهنكاريين ، الجيك ، الروتين ، السلوفانين ، الايطاليون ، البولونيون •

كذلك حزب الكتلة الكاثوليكية البلجيكي حيث أعيد تنظيمه عام ١٩٣٦ على اساس اتحادي حيث نجد قسمين فيه : الحزب الكاثوليكي الاشتراكي (الفالون اهل بروكسل) ولكن الحرب حالت دون ذلك ولكنها أدت الى خلق الحزب الاشتراكي الذي يضم جناحين الاول (فلاندر) والثاني (الفالون) وكلا الجناحين الممثلين في اللجنة العمومية والمجلس العام يضم عددا مساويا • وكل جناح يعقد اجتماعا منفصلا عن الآخر •

وكثيرا ما تعلن الاحزاب انها لامركزية في نظامها الاساسي وهي في حقيقة الامر وجوهه مركزية • ذلك ان الاحزاب تحرص على اكتساب الشخصيات المحلية البارزة فاعلانها (لامركزية) سبيل يقنع هذه الشخصيات البارزة الى ان لها دورا رئيسا وقياديا ولذا فليس من ضير ولا خطر عليه من انضمامها الى حزب ما •

واحزاب أخرى تعلن صراحة انها مركزية ولكن تغطي هذه المركزية

ثوب مغر • كالحزب الشيوعي الروسي حيث يعلن انه يتبع (المركزية الديمقراطية) وهذا يجربنا الى الحديث عن المركزية •
يمكن القول ان هناك نوعين من المركزية هما :

١ - مركزية اوتوقراطية •

٢ - مركزية ديموقراطية •

في الاولى يراد بها ذلك النمط من الادارة حيث تكون القرارات صادرة وموجهة من أعلى وتطبيق هذه القرارات في المناطق المحلية يخضع هو الآخر الى مراقبة ممثلين تعينها وتختارها القمة • كالحزب الفاشستية والنازية • وكذلك حركة تجمع الشعب الفرنسي التي انشأها الجنرال ديغول • فالجانب كل مجلس اقليمي نجد ان هناك ممثلا من قبل المركز هو الذي يمتلك السلطة الحقيقية وما المكتب أو المجلس الاقليمي الا سلطة استشارية •

اما المركزية الديمقراطية - وهي النوع الثاني - فان الحزب الشيوعي الروسي الذي يتخذها كقاعدة أساسية له فهو يرى - لغرض تطبيقها - انها تقوم على ما يلي :

١ - وجوب استطلاع رأى القاعدة على مختلف درجاتها في كل قرار يريد ان يتخذه المركز •

٢ - عند صدور قرار من المركز ينبغي على القواعد الشعبية كافة الخضوع •

٣ - خضوع الاقلية الى رأي الاغلبية •

وهنا ينبغي الوقوف قليلا اذ ان جهة الاختصاص في اصدار القرارات انما هو المركز • معنى ذلك ان الحزب الشيوعي السلطة فيه مركزية • وهي ديمقراطية لان القرارات انما تتخذ بعد معرفة الآراء المختلفة للقواعد الحزبية • ولكن يفترض ان المناقشة تجري قبل اتخاذ القرار ولكن الذي يحدث دوما هو صدور القرار ! ثم من الذي ينقل المناقشة على صعيد الخلايا ؟ ان الذي ينقل ذلك انما القادة المحليون وهؤلاء انما تنتخبهم القواعد ولكن مسؤوليتهم انما هي

امام الجهات الاعلى وليس امام تلك القواعد • ثم ان المناقشة ينبغي الاتمس
ايدولوجية الحزب وهي « المبادئ الماركسية - اللينينية » • وهذا يتضح ان
هذه « المركزية الديمقراطية » ما هي الا تغطية لمركزية واضحة •
بعد ان اوضحنا المركزية واللامركزية في الاحزاب ترى ما هي العوامل التي
تدفع حزبا الى ان يكون ارتباطه مركزيا او ارتباطا لامركزيا ؟
هناك عوامل مختلفة منها :

- ١ - تاريخية : وهي تلك التي تتعلق بكيفية نشوء الاحزاب فلقد لوحظ ان
الاحزاب التي يرجع نشؤها الى كتلة برلمانية أو انتخابية فهذه الاحزاب
تميل الى اللامركزية اما الاحزاب التي تكونت بفعل عوامل خارجية (كما
درسنا ذلك) فانها تميل الى المركزية لان هذه الاحزاب انما ولدت في
الحقيقة - بقرار من قبل المركز وليس القاعدة •
- ٢ - عامل الدين : الاحزاب التي تتكون بتأثير الدين تميل واضحا الى المركزية •
ذلك ان للدين اثرا بالغا في التأثير على الاعضاء ، ايمانا وخضوعا ، ولذا
فان هذه الاحزاب تعرف بمركزية شديدة مثلها الاحزاب الكاثوليكية
وكذلك حزب الاخوان المسلمين •

- ٣ - عامل المال : حيث يوجد المال توجد السلطة ومن يمتلك المال يمتلك
السلطة • لذا فان المال يلعب دورا خطيرا جدا في حياة الاحزاب السياسية •
ففي الاحزاب المحافظة حيث يقوم - في العادة - المرشحون انفسهم بتمويل
عملية الانتخاب لذا فان اللجان المحلية تعتبر اكثر ثراء من - المركز - لذا فان
المرشحين المحليين يمتلكون القدرة على التأثير على المركز • في حين لو ان المركز
هو جهة الانفاق على العمليات الانتخابية لذا فان المركز يتمتع بمركز مرموق في
التأثير على مذتلف الجماعات المحلية •
- ٤ - نظام الانتخاب : كذلك يلعب نظام الانتخاب دورا معينا في اتجاه حزب نحو

المركزية أو اللامركزية فالتصويت الموحد بالأغلبية يفضي إلى اللامركزية • لأن هذه العملية تعطي الأرجحية إلى الشخصيات المحلية معنى ذلك استقلالية واضحة إلى الهيئات المحلية وفروع الأحزاب ولكن التصويت بقائمة يفضي هو الآخر - نسبياً إلى اللامركزية • ذلك أن الأحزاب التي تعطي أهمية ثانوية للانتخاب تكون مركزية الاتجاه • فالحزب الفاشستي وكذلك النازية التي لا تقوم على الانتخاب إنما السلطة متمركزة ومركزية كذلك الحزب الشيوعي • والحقيقة أن الأحزاب تتجه دوماً إلى المركزية •

الفصل الثالث

العضوية في الاحزاب

لابد لنا - ونحن ندس الاحزاب السياسية - من معرفة العضوية كذلك معرفة من هو العضو الحزبي وهل هناك درجات لهذه العضوية أم لا ؟ ذلك ان العضوية تختلف من حزب لآخر وشروط قبول العضو هي الاخرى مختلفة وهذا يؤدي الى ان العضو يختلف من حزب لآخر • فمفهوم العضوية في الحزب الشيوعي تختلف عن مفهوم العضوية في حزب الاشتراكي •• الخ •

والواقع فان في نطق كل حزب سياسي نجد انواعا مختلفة او اصنافا للعضوية فحزب العمال البريطاني ومنذ عام ١٩١٨ يعرف نوعين من الاعضاء : فرديين واعضاء مجموعة • اما الاحزاب المباشرة فهي لا تعرف الا نوعا واحدا من الاعضاء الا وهو الاعضاء الفرديين وهذا ما يضيف على تلك الاحزاب تناسق العضوية والاعضاء • ومع ذلك فان هناك اعضاء • كما ان هناك مؤيدين أو مؤازرين كما ان هناك الدعائين وكذلك « الجنود » في الحزب او المجاهدين •

ينبغي قبل الحديث عن طبيعة المشاركة وتبيان ماهية العضوية ودرجاتها وكذلك شروطها من القول انه على اثر اضمحلال شأن الدين في اوربا ان ظهر دين جديد وهو « سياسي » ولذا فلقد غدت المعتقدات السياسية سممة مميزة للحياة الاوربية وتراجع الدين كعامل مؤثر في الحياة السياسية • كذلك ادت الثورة الفرنسية والثورة الصناعية الى الاهتمام بالجماهير ولذا فان ظهور الجماهير على المعترك السياسي الاوربي ميزة ثابتة تتصف به الحياة السياسية هناك •

وهكذا لعبت الايديولوجية فعلا في الجمهور فانطلقت احزاب جديدة تتميز بايديولوجية وتنظيم حزبي قوى وغدا هذا التنظيم عامل جذب واخضاع لتلك الحشود من الجماهير في حين ان الاحزاب القديمة كانت تتصف بالركود

وتنظيم ضعيف وارتباطاتها لامركزية اذ ليست هناك ايدولوجية تشد الاعضاء الى الحزب • وهكذا عرفت الاحزاب الكلية نظاما يشبه النظام العسكري بالنسبة للجيش حيث الطاعة والاذعان قاتون اساسي يسود ويشد القواعد الحزبية بعضها الى بعض امثالا للقامة •

المبحث الاول

فكرة العضوية

لا شك ان « الاعضاء » يشكلون المادة الاساسية الحية للأحزاب السياسية وعليه فان موضوع « العضو » و « العضوية » ذات اهمية كبيرة في دراستنا للأحزاب ولا بد لنا من التفريق بين العضو والمؤازر (وقد يسمى احيانا نصير) فالعضو هو ذاك الذي ارتضى طواعية - ايمانا منه بمبادئ الحزب - الدخول في حزب والخضوع الى الانظمة المرعية عاملا على نشر مبادئ الحزب والدفاع عن مصالحه • اما المؤازر فهو ذاك الذي يعلن تأييده الى مبادئ حزب معين ولكن يظل خارج منظمة الحزب • وهكذا يتضح الفرق بين الاثنين وهو ان المؤازر ليس بعضو حزبي • ولكن هذه الفروق تتضاءل شيئا فشيئا كلما راح المؤازر مؤيدا ومدافعا عن الحزب ومبادئه •

وفي الحقيقة والواقع ان اختلاف العضوية يرجع الى المنظمة الحزبية نفسها ذلك ان الاحزاب القديمة في اوربا ليس مفهوم العضوية فيها كما هو مفهومها في الاحزاب الاشتراكية او الشيوعية او الفاشستية • هذا الخلاف في مفهوم العضوية يجبرنا الى الحديث عن احزاب اشخاص واحزاب جماهير •

احزاب اشخاص واحزاب جماهير :

لكي نعطي صورة واضحة عن الفرق بين الاثنين ، لابد لنا من عقد مقارنة بين حزبين يمثل كل واحد منهما هذين النوعين من الاحزاب (اشخاص وجماهير) •

فاحزاب الاشخاص (ومثلها حزب المحافظين البريطاني) تحرص كل الحرص على اكتساب الشخصيات البارزة والتي من اجتماعها تكون طبقة تعمل على كسب الانتخابات • فالهمم في هذه الاحزاب انما هي الصفات الشخصية

• للعضو كمركزه الاجتماعي او مكانته السياسية او كونه سليل اسرة غنية • وهكذا تلعب الاسماء - والتي لها رصيد كبير - اثرها في عملية الفوز بالانتخابات • حيث يتوافر للجماعة الاولى شخصيات بارزة (غنية) تتولى الاشراف على عملية الانتخاب وتنظيم الحملة الانتخابية ثم يأتي دور الشخصيات المالية حيث تقوم بعملية تمويل الحملات الانتخابية والانفاق عليها • وهكذا يتضح ان هذا النوع من الاحزاب يقوم دوما بالاختيار • وفكرة العضوية فيها انما هي شخصية ، تبنى الاختيارات فيها على المركز المرموق الذي يشغله فرد • ومركزه المالي •

وهكذا تكون العضوية - والى حد كبير - مغلقة الا في وجوه من تتوافر فيه هذه الصفات • واذا كان مفهوم العضوية ينصب على ان فردا يرتضي طواعية التوقيع على طلب يتعهد فيه بالامتنال الى قرارات الحزب والايمان بمبادئه ثم انه يقوم بدفع بدل الاشتراك فان هذا المفهوم لا ينطبق على الاحزاب المحافظة • اذ ليس هناك اعضاء • وبالمناسبة فلقد نشرت عام ١٩٣٩ مقالتان عن الحزب الراديكالى الاشتراكي الفرنسي ذكر في الاولى ان عدد اعضائه (٨٠٠٠٠٠) وفي الثانية ٢٠٠٠٠٠٠ ، فحيث يتعذر معرفة عدد اعضاء حزب بالضبط معنى ذلك ان لا اهمية لهذا الامر مطلقا في مفهوم هذه الاحزاب • لان هذا الحزب - وكذلك الاحزاب المحافظة في اوربا وامريكا - لا يهتمها أمر الحصول على الاعضاء قدر اهتمامها بالحصول على شخصيات بارزة •

اما احزاب الجماهير فالامر جد مختلف • فعدد الاعضاء يشكل امرا جوهريا في الحزب على النطاقين السياسي والمالي • فمن الناحية السياسية فان احزاب الجماهير يهتمها الجمهور لذا فهي تحرص على تثقيفه ثقافة سياسية ولذا فان الثقافة السياسية لها اهمية بالغة في حياة هذه الاحزاب • اذ تحرص على تكوين « نخبة » من بين الطبقة العاملة قديرة على ان تتولى المسؤولية جديرة بأدارة ماكنة الدولة • ولذا فان الاعضاء هم « مادة » الحزب وبدونهم لا يكتب لهذا الحزب الحياة أو

البقاء فمثله كمثله محاضر وليس في القاعة مستمع كريم واحد « أو كعود بلا وتر » •

أما من الناحية المالية ، فإن الحزب يعتمد في تكوين ماليته على الاشتراكات التي تقدم من قبل الاعضاء ، عكس الاحزاب المحافظة حيث تقوم العطايا والهبات والتبرعات مقام الاشتراكات وهكذا تحرص على تكوين « ماليتها » حتى تستطيع أن تحقق رغبتها في التثقيف والتوعية السياسية • وتضمن نشاطها الحزبي • وكذلك الانفاق على عملية الانتخابات • ففي الانتخابات تنطلق الاحزاب الجماهيرية في نداء الى جماهيرها طالبة التبرع بقدر معين للمساهمة في عملية تمويل الانتخابات وهي بذلك تؤمن عدم وقوعها تحت نفوذ - الرأسماليين - واصحاب المشاريع والبنوك - كما هي الحال في احزاب الاشخاص • وهكذا تخضع احزاب الاشخاص الى سيطرة الرأسماليين حيث يشكل المال السلطة الحقيقية فيها في حين ان احزاب الجماهير مستقلة فلا تخضع الى ارباب المال • ان الامثلة على احزاب الجماهير كثيرة منها الاحزاب الشيوعية ، الاحزاب الفاشستية وكذلك الاحزاب الاشتراكية •

أما احزاب الاشخاص فمثلتها الاحزاب المحافظة في اوربا وكذلك الاحزاب الأمريكية • وهناك احزاب وسط تقف بين الاثنين ، مثلها الاحزاب غير المباشرة • غير انها لا تشكل - كم ايرى البروفسور ديفرجيه - نوعا ثالثا لها •

ولقد كان لتطبيق الاقتراع العام اثر لا يجحد في قيام احزاب جماهيرية • فعلى اثر تطبيقه قامت احزاب اشتراكية في اغلب الدول عدا الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث ان الظروف الاجتماعية والسياسية فيها لا تساعدان على ذلك •

ويبدو جليا وقاطعا ان التفريق بين الاحزاب الجماهيرية واحزاب الاشخاص انما يقوم على أسباب اجتماعية وسياسية • فلو اعتبرنا الاحزاب الجماهيرية (ثورية) واحزاب الاشخاص (محافظة) فان الاخيرة ليست بحاجة - لا سياسيا

ولا ماليا - الى تجميع الجماهير في نطاقها لان هذه الاحزاب تمتلك اشخاصا وذوى مال ونفوذ وفير يمكنهم من تمويل اية عملية سياسية يريدونها • كذلك يرتكز التفريق بين الاثنيين على طبيعة التكوين الحزبي • فاحزاب الاشخاص تتناسق وتتطابق مع احزاب اللجان ، ذات الطبيعة المحافظة ، ضعيفة الارتباط لا مركزية • اما احزاب الجماهير فهي تركز على الجماهير - بقاء وثباتا - فكلما كان وعاؤها من الجماهير كبيرا كلما طال عمرها وظل سلطانها • ولذا فان الاقسام تتناسق وتتطابق مع طبيعة احزاب الجماهير اذ انها قوية الارتباط مركزية السلطة •

أما الاحزاب الشيوعية التي تقوم على الخلايا ، فصحيح انها من الاحزاب الجماهيرية قطعاً غير انها - عمليا - تقوم وفي كل يوم بعمليات التطهير في صفوفها وقواعدها الحزبية • فحيثما وجد من يشتهه في ايمانه ومن يشك في اخلاصه ومن يطعن في قدرته طهر من صفوف الاحزاب الشيوعية • وهكذا تبعد الاحزاب عن الجماهير - كعدد وكمية - وتقترب من النوعية وهذا ما يجعل وعاء الحزب أو عدد اعضائه قليلا ، ناهيك عن الاجراءات التي تتبع في قبول العضو حيث يخضع الى اجراءات صارمة لا تسمح لكل من هب ودب الانخراط في صفوفه وهذا ما يقودنا الى القول ان هناك احزابا العضوية فيها تقوم على الايمان المطلق بمبادئ الحزب وأحكامه •

معيار العضوية :

يختلف الامر في احزاب الجماهير عنه في احزاب الاشخاص • ذلك ان الاولى تعرف له وجودا وتحدد له قواعد ثابتة • اما احزاب الاشخاص فانها - كما رأينا - لا تعطي اهمية الى اجراءات العضوية ومعيارها • ففي احزاب الجماهير لا بد لطالب العضوية من طلب موقع عليه من قبله يعلن فيه عن استعداده للعمل وقبوله ايمانا لمبادئ الحزب ودفعه بدل الاشتراك المعين ولذا فان من يرغب في الانتماء الى حزب عليه ان يملأ « استمارة » مطبوعة فيها نص صريح باحترام انظمة الحزب والعمل على نشر مبادئه وهناك فراغ

مخصص لكتابة اسم الراغب في الانتماء ثم يوقع على الاستمارة • وليس من شك في ان الدليل الخطي اقوى من اى دليل سواه • وهذا ما تأخذ به التشريعات الحديثة بما فيها القانون المدني العراقي •

وهناك أهمية خاصة لاستمارة الطلب :

آ - انها اقرار خطي صريح بالانتماء والارتضاء بما يصدر من قرارات حزبية •
ب - انها وهي مرقمة - تعطي عدد اعضاء الحزب •

وهناك نوعان للانتماء : انتماء مفتوح ، وانتماء مشروط •

الانتماء المفتوح : الاصل في هذا النوع من الانتماء قيامه على حرية الدخول من غير تعقيد ولا شروط سوى توقيع استمارة الانتماء واستعداده لدفع بدل الاشتراك • ولذا فان هذا النوع من الانتماء يقوم على فتح (الباب) باب القبول على مصراعيه للراغبين دونما قيد أو شرط •

الانتماء المشروط : وهذا يقوم بداهة على ان القبول في الحزب ليس سهلا اذ لا بد من توافر شروط معينة ثم يسمح بعد ذلك بقبول العضو • وهناك نوعان من الاجراءات : طلب يقدم من الراغب في الانتماء ، ولجنة فحص الطلبات تصدر قرارها في ذلك • وهذه اللجان محلية أي في كل فرع من فروع الحزب توجد لجنة مختصة بذلك ، ويمكن في حالة الرفض الطعن في القرار لدى الجهات الاعلى في السلم الحزبي • وفي هذا الانتماء المشروط ينبغي أن يكون الطلب - مثلا - مشفوعا بتوصية من قبل عضوين من الحزب مضت عليهما مدة معينة ، يشهدان بتزكية صاحب الطلب ويشمان قابليته السياسية والشخصية •

حتى اذا ما قررت اللجنة المعنية قبول عضو ما ، تعطى له (بطاقة حزبية باسمه • اما الهوية الحزبية فهي - محكومة بدلات الاشتراك في الحزب - أما أن تكون سنوية أو شهرية والاحزاب تتفاوت اشتراكاتها فالاحزاب المحافظة لا تعطي أهمية كبيرة الى الاشتراكات ، ذلك ان ماليتها تأتي - كما رأينا عن طريق الهبات والعطايا والتبرعات • اما الاحزاب العمالية مثلا فانها تعيش على بدلات الاشتراك ولذا فلها دور وأهمية في حياة هذه الاحزاب •

وفي الحقيقة فإن الحديث عن معيار العضوية في الاحزاب يصدق - وينطبق فقط - على الاحزاب الجماهيرية ذات التكوين المباشر • حيث نستطيع القول بان هذا المعيار يتلخص في طلب مقدم موقع عليه مع استعداد لدفع بدلات الاشتراك •

درجات العضوية :

ان الانتخاب من الاعمدة الرئيسية التي تركز عليها ديمقراطية الغرب • ولما كانت الاحزاب تتصارع دوما وصولا الى السلطة كلما حدث انتخاب عام أو فرعي لذا فان « الناخب » يلعب دورا بارزا في حياة الاحزاب السياسية في أوروبا وكذلك امريكا • فلو اننا اردنا معرفة مدى شعبية الاحزاب الامريكية أو حزب المحافظين البريطاني فليس هناك من سبيل سوى الانتخابات النيابية • وهكذا لا بد عند قيامنا بدراسة حزب معين من دراسة الناخبين والانتخابات • فالعلاقة اذن وثيقة بين الاحزاب والناخبين • ولهذا فانه يمكننا القول ان درجات العضوية في الاحزاب هي ثلاث :

- ١ - الناخبون •
- ٢ - المؤازرون •
- ٣ - الاعضاء : أ - عادي ب - عامل •

الناخب :

الانتخابات هي المجال الطبيعي والشرعي للاحزاب الاوربية والامريكية في وصولها الى السلطة ، ولما كان الناخبون يصوتون الى « نواب » وهم أشخاص رشحتهم احزاب معينة ، لذا فلا بد من تحديد العلاقة بين الاثنين • هذه العلاقة طرفاها « النواب » والناخبون • ولذا فالعلاقة بين الاثنين وثيقة • اذ ان الاشخاص بعد انتخابهم وصيرورتهم نوابا يقومون بتوجيه الناخبين وكذلك التعبير عن آرائهم وان كان الناخبون هم الذين أتوا بهم الى السلطة • وعليه فان الناخب يلعب دورا خطيرا هو الاخر في حياة الاحزاب السياسية • والناخب هو ذلك الذي يصوت سرا لحزب دون أن يبوح باسمه لانه ليس عضوا فيه • حتى اذا ما أفصح عن

الاسم أو صرح به يكون الناخب قد انتقل من مرتبة الناخبين وغدا مؤازرا وهذا ما يقودنا الى بحث موضوع المؤازر .

المؤازر :

هو أكبر درجة من الناخب وقل درجة من العضو . يؤمن بمبادئ معينة وليس بكل مبادئ الحزب . يدافع عنها ويدعو لها وربما اسهم في دفع مال للحزب ولكن دون أن يكسب صفة العضوية . ربما هناك مؤازرون يندفعون أكثر من الاعضاء الحزبيين ومع ذلك فانهم مؤازرون لانهم لم يتقدموا بطلب موقع عليه من قبلهم يعلنون فيه ايمانهم بمبادئ الحزب كلها واستعدادهم لدفع بدل الاشتراك بصورة منتظمة . أو انهم اعضاء غير أن - عضويتهم موقوفة على شرط وهو تقديم الطلب . وعليه فان علاقات المؤازر مع العضو ليست بعلاقة رسمية .

ولابد لنا ان نتساءل ترى ما هي الاسباب التي تحول دون دخولهم الاحزاب التي يؤمنون بمبادئها ؟ يمكننا القول بان هناك نوعين من الاسباب منها خارجية وأخرى داخلية .

الخارجية :

أ - الخوف من السلطة : كثير من الناس يحجمون عن الانتماء الى حزب معين خوفا من السلطة . اذ يخشون مثلا مضايقة (البوليس) لهم وقيام هؤلاء بملاحقتهم والتحري عنهم وربما تفتيشهم ودورهم ، أو ان مؤازرا يشغل مركزا في الدولة وهو يخشى أن يفقد هذا المركز بانتماؤه الى حزب معين . أو ان مؤازرا له أعمال تستدعي ان يكون حسن العلاقة مع السلطات وانتمائه الى حزب معين لا يحقق له ضمان مصالحه واعماله .

ب - داخلية : وهذه تتعلق بشعور المؤازر نفسه . فمنهم من يحرص على شخصيته واستقلالها ، وهو يرى في انخراطه الى حزب ما ، يشده شدا محكما لا يدع له مجالاً للتصرف في اقرار امر أو مسألة وفق رأيه اذ ان الاعضاء ،

في الاصل ، محكومون بالخضوع الى ما تراه القيادة في أغلب الاحيان والاحوال •
وهذه الظاهرة تكون واضحة في الاوساط ذات الثقافة العالية اذ لا يؤمن المؤازر الا
بجزء أو بجملة مبادئه ولا يؤمن بالمبادئ كلها •

أو ان المؤازر ، مدفوع بعوامل « مصلحة » ، يرى في الانتماء الى حزب
معين تهديدا لمصالحه وبالتالي ذهاب ما يرجوه لنفسه من ربح ، وعليه يحجم عن
الانتماء الى حزب سياسي معين •

أو ان المؤازر ، وهو يعيش في وسط عائلي متمزمت ، لا يرتضى هذا الوسط
العائلي له الانتماء الى حزب معين لئلا يسخط عليه ابواه مثلا فيحرمانه من
رعاية أو أرث ، أو انفاق • • الخ •

وتختلف درجات المؤازرة باختلاف امزجة المؤازرين فبعضهم يعلن عنها في
حضوره لاجتماعات حزب وآخر يعلنها في شرائه لجريدة الحزب • ولكن يلاحظ
على هؤلاء أن بعضا منهم يحضر الاجتماعات بدافع قتل الوقت • ويلاحظ ،
سوسيولوجيا ، ان المؤازرين في النساء اكثر من الرجال • كما ان الاعضاء العاملين
من الرجال اكثر من النساء •

الاعضاء :

أما وان فكرة العضوية مختلفة في احزاب الجماهير عنها في احزاب
الاشخاص ذا ينبغي عند الحديث عن الاعضاء ان نعود الى هذا التقسيم لكي تتمكن
من اعطاء فكرة صحيحة ودقيقة عن (العضو) •

ففي احزاب الجماهير ، هناك اعضاء عاملون يشكلون الحجيرة الاساسية
للقواعد الحزبية • ففي وحدات الحزب نجد ان هناك اعضاءا يتميزون بمسؤولياتهم
المهمة ويتميزون بدأبهم على حضور الاجتماعات لوحدة اساسية وهم يقومون
بالدعاية الى الحزب ونشر مبادئه وكذلك نشراته • هؤلاء الاعضاء هم المنفذون
لما تصدر من تعليمات وأوامر عن قيادة الحزب • وهم يتفانون في عملهم لخدمة
الحزب اخلاصا وتضحية واعمالهم مستمرة ونشاطهم دائم •

اما في احزاب الاشخاص فان للعضوية مفهوما يغاير مفهومها في احزاب الجماهير وعليه فان اللجان التي هي العنصر اللولب في حياة هذه الاحزاب ، اعضاؤها هم فقط الذين يمثلون الاعضاء العاملين • اما الاعضاء العاديون فهم اولئك الذين يقومون بنشاط في فترات الانتخابات واعمالهم تنحصر في حضور اجتماعات الحزب •• الخ •

المبحث الثاني

طبيعة المشاركة الحزبية

أحطنا في الصفحات السابقة علما بدرجات العضوية وهي الناخبون والمؤازرون والاعضاء العاملون ، ولابد لنا من القول ان هذه الدرجات لا تعطي فيصلا للترقية بينهم • فهل ان المؤازرين يتشابهون جميعا في كل الاحزاب ؟ وهل ان الاعضاء العاملين متساوون في كل الدرجات ؟ الاجابة على هذه الاسئلة يوضحها لنا ، التقسيم ما بين احزاب كلية واحزاب خصوصية •

احزاب كلية واحزاب خصوصية :

يراد بالاحزاب الكلية تلك التي تسيطر على فعاليات العضو وأوجه نشاطه داخل الحزب وخارجه سيطرة شاملة • ولذا فان الطابع المميز لهذه الاحزاب انما هو والتحكم والسيطرة •

وأما الاحزاب الخصوصية فسيطرته على العضو سيطرة ضعيفة تقوى في فترات الانتخابات والازمات وترخي فيما عداها ، والعضو فيها يتمتع بحرية واستقلالية في حياته الخاصة فلا يخضع لسيطرة الحزب • ولغرض تقريب الامر الى الازهان لتأخذ عضوين احدهما يمثل حزبا خصوصيا والاخر يمثل حزبا كليا ثم نعقد بينهما المقارنة حتى نتبين لنا أوجه الاختلاف أو التباين فيما بينهما وهذا بدوره يقودنا الى الاحاطة علما بطبيعة المشاركة في الاحزاب •

فلو اخذنا عضوا في حزب المحافظين البريطاني لوجدنا ان نشاط هذا العضو الحزبي محدود : في فترات ينشط ويشهد ، وفي فترات أخرى يخمد ويجمد ! يحضر من حين لآخر اجتماع اللجنة التي هو عضو فيها • يقوم بقراءة جريدة الحزب ، يساهم في نشاط الحزب عند حدوث انتخابات عامة أو فرعية ، قد يذهب للشفاعة لدى احد وزراء أو نواب الحزب أو يتوسطه في تسهيل امر لاحد

اعضاء الحزب ، يتابع التطورات السياسية في البلد ولا سيما تلك التي تخص حزبه ومنطقته حيث يمارس الحزب عمله فيها لا يتكلم الا في اثناء اشتداد الصراع السياسي ، عن حزبه • أما عدا ذلك فان له حياة عائلية هادئة ويقضي أوقات فراغه في مطالعة أو مع افراد عائلته دون أن يقطع عليه حزب المحافظين هدوءه • لذا فان مشاركة هذا العَصو في أعمال حزبه لا تأخذ منه كل وقته فهي مشاركة خاصة وسياسية بحتة • لذا فان حزب المحافظين البريطاني يمارس الاعضاء أعمالهم على النحو الذي سردناه اعلاه وهو لذلك من الاحزاب الخصوصية • أي ان الفرد يملك ساعات طويلة لاسرته ولحياته الفكرية الخاصة به ويخصص ساعة من يومه لشؤونه الحزبية دون أن تسيطر هذه الشؤون على اعماله الاخرى •

اما لو اخذنا عضوا في حزب شيوعي فان الامر على التقيض ! ذلك ان العضو مشدودة فاعلياته الى اوامر الحزب ليست الفعاليات الحزبية فحسب وانما حتى ساعات عمله ينبغي ان يتتهزها ليبشر ويدعو زملائه موضحا لهم المبادئ الماركسية - اللينينية ثم يرغبهم بالانتماء الى الحزب • ولذا فان دور الحزب في حياة العضو دور كبير وخطير وسيطرته لن تقف عند حد واجباته الحزبية في الخلية التي يعمل بها بل يتعداها الى محل عمله ان كان عاملا فالمعمل مكان خصب لنشر هذه الافكار وان كان مدرسا فالمدرسة مرتع خصب هو الاخر لبذر (الماركسية) وهكذا • فلا يعرف عضو الحزب الشيوعي فضلا بين حياته الحزبية وحياته الخاصة بل كلها خاضعة الى توجيهات الحزب • فعليه ان يوضح لهم مبادئ الحزب ويقوم بشرح وتبيان نقاط القوة في خطاب سكرتير الحزب الشيوعي ويمجد المقالة الافتتاحية التي نشرتها الصحيفة الناطقة بلسان الحزب وهكذا •• حتى حياته الخاصة مع زوجته وأولاده تخضع لتأثير الحزب فعليه دوما أن يكون في خدمة الحزب • فكثيرا ما نجد ان العضو الشيوعي يدفع زوجته دفعا الى اعتناق المبادئ الماركسية فان وجد صعوبة معها دفعها الى الانخراط في جمعية الدفاع عن حقوق المرأة احدى المنظمات الملحقة بالحزب الشيوعي حيث تتطعم هناك بتلك المبادئ وتنهل منها نهلا دون أن تشعر حتى تجد نفسها غارقة فيها !

وكذلك يدفع ابنائه الى الانخراط في جمعيات الشباب ويكون حال ابنائه حال امهم في التأثير حتى الاغراق في الايمان بتلك المبادئ • حتى ساعات لهوه فانها لا تخلو من دعوة وتبشير للحزب ولبادئه فهناك كثير من النوادي الرياضية أو الفكرية يذهب اليها شباب كثيرون وهي بما تعرض من افلام وما تصنع تحت تصرفهم من كتب تدفع الشباب - غير الشيوعي - الى التأثير بذلك •

وهكذا لا نجد فاصلا بين حياة عضو الحزب الشيوعي الحزبية وحياته اذ يسيطر على توجيه كليهما الحزب • وهذه الحياة انما هي حياة حزبية منحازة لا تعرف غير الحزب ومبادئه طريقا ورفيقا •
لذا فيمكننا القول - بالنظر لما تقدم - ان للاحزاب الكلية عناصر مميزة منها :

١ - عنصر مادي :

وينصب هذا العنصر على سيطرة الحزب سيطرة مادية على كافة نشاطات العضو الحزبية منها وغير الحزبية واخضاع هذه النشاطات والفعاليات لمبادئ الحزب وخدمة اغراضه •
معنى ذلك ان السيطرة لا تتجاوز نطاقها السياسي فحسب بل تمتد حتى تشمل اعماله المهنية ونشاطاته الفكرية وأوقات قراعه وحياته العائلية •

٢ - عنصر معنوي :

لا تستقيم للحزب السيطرة المادية على اعضائه من غير ان يكون الاعضاء مستعدين روحيا لهذه السيطرة • وهذا ما يدفعهم الى ذلك (ايدولوجية) الحزب حيث تهيب الجو الروحي لتسيطر به على الاعضاء وتشددهم اليه شدا محكما •

٣ - قوة الايدولوجية :

تمتاز الاحزاب الكلية بان للايدولوجية مكانة كبرى في حياة الحزب • فالحزب الشيوعي الروسي يرتضي مثلا المناقشة ولكن شريطة الا يمس المبادئ

الماركسية - اللينينية اذ ان النظرة لها من قبل الشيوعيين نظرة اكبـار وتقديس فلا يصح المساس بها لا من قريب ولا من بعيد ولا تغييرها قليلا ولا كثيرا •

٤ - قوة الحزب وسيطرته :

في الاحزاب الخصوصية ، سيطرة الحزب وقوته على الاعضاء غير ذات أهمية كبيرة ، في حين ان الاحزاب الكلية تمتاز بأن الحزب يلعب اخطر الادوار في حياة الاعضاء فهو الأمر والموجه والاول والاخير •

٥ - قوة الايمان :

نتيجة لقوة الايديولوجية في الاحزاب الكلية وضعف هذه الايديولوجية في الاحزاب الخصوصية ، نجد ان ايمان الاعضاء الحزبيين في الاحزاب الكلية كاملا وشاملا قد يرقى مرقى الايمان بالدين ، لا سيما وان الدين في أوروبا قد اصابه ضعف وظهرت الافكار السياسية مكانها •

٦ - قوة طبيعة المشاركة :

يمتاز الاعضاء الحزبيين في الاحزاب الكلية بالاندفاع مع الاستعداد الى البذل حتى الفداء ايمانا بمبادئ الحزب وقبولا لكل تضحية من اجله في حين لا نجد هذه الحمية في اعضاء الاحزاب الخصوصية •

الفصل الرابع

قيادة الاحزاب

لابد لكل عمل من تنظيم ولا بد لكل تنظيم من قيادة تتحمل مسؤولية العمل وتتصرف بتوجيهها تارة تدفع الحزب الى القيام بعمل واخرى تمنع الحزب من القيام به • واستقراء تاريخ البشرية يدلنا على ان الصراع السياسى قديم وان هذا الصراع لابد له من قيادة ، فمثلا سيطرة رب الاسرة وسلطته المطلقة ، كذلك زعيم القبيلة أو شيخها هو الاخر يتمتع بالسلطات المطلقة وهو الجهة الاولى والاحيرة في فض المنازعات وقرار الحق ورفع الباطل • كذلك جاءت الاديان السماوية وهي تعطي الانبياء سلطة دينية وزمنية • كذلك عاشت البشرية ولفترة طويلة تخضع تحت حكم مطلق يتمتع به الملوك بدعوى انهم ظل الله في الارض ! وفي التاريخ أدلة كثيرة وشواهد متعددة على ما نقول : فلويس الرابع عشر انما كان يعبر عن سلطته المطلقة حين قال « الدولة أنا » (كذلك كتب في مذكراته يقول « لكي تكون القرارات منجزة لابد من نظام دقيق وقيادة مطلقة وخضوع كامل » (١) !

ولما كانت الاحزاب السياسية اجهزة تنظيمية تتطلع - محكومة بالصراع السياسى - الى السلطة لذا فهي احوج ما تكون الى وحدة في القيادة ونظام صارم يهيء للقيادة خضوع القاعدة • ولذا فان الطابع المميز للاحزاب هو صرامة النظام وحرص القيادة على التسلط لاخضاع القواعد الحزبية ذلك ان الاحزاب مطالبة دوما بتعبئة قواعدها لانها تعيش دوما في معركة • فيما الحزب الحديث الا منظمة صراع ، كما يقول روبرت ميشيل^(٢) « دوما بحاجة الى قيادة •

(1) Robert Michel, Op. Cit. P. 41.

(2) Robert Michel, Op. Cit. P. 41.

وفي الحقيقة والواقع فإن البشرية - شهدت - ولا زالت تشهد - صراعا تارة بين الافراد - انفسهم واخرى بين منظمات ودول • وربما يعزى هذا الصراع الى تباين في المعتقدات حيث يسهم الدين بنصيب وافر في ذلك ، والى اختلاف التكوين الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي •

وفي هذه المجتمعات البشرية تجد ان السلطة - كما يقول موريس ديفرجيه⁽¹⁾ ما هي الا نتيجة لتصارع قوتين متضادتين هما : المعتقدات والضرورات العملية • فالاصل في قيادة الاحزاب انها تأتي ديمقراطيا ، أي عن طريق الانتخاب • ولكن الضرورات العملية تحول دون قيام عملية الانتخاب حتى في الاحزاب الديمقراطية • ذلك ان ظروف العالم اليوم تقضي أن تكون السلطة قوية سواء أكانت على نطاق الدولة أو على نطاق الحزب • وبغير ذلك لا تفلح هذه القيادة ولا تنجح في ادارة ماكنة الدولة أو الحزب •

ان الانتخابات تسبغ صفة الشرعية على القيادة ولكن ليست الشرعية فقط هي الصفة التي ينبغي توافرها في القيادة بل لابد من الفعالية • قيادة الاحزاب تأتي ، مظهرا ، عن طريق ديمقراطي ، وجوهرا ، عن طريق اوتوقراطي • فكل الاحزاب باستثناء الاحزاب الفاشستية تدعى انها ديمقراطية وذلك باتباعها الانتخابات طريقا لوصول القادة الى السلطة القيادية •

وفي الحقيقة والواقع لا ينكر تغير الاحكام بتغير الازمان ، وما يصلح لزمان لن يصلح لآخر • كذلك أمر الشرعية ففي الماضي كانت السلطة مطلقة والشعب ليس الا رعايا للملك ، كانت الملكية هي التي تسبغ الشرعية على من يتولاها ، وحتى اولئك الذين يرثون الملك ولو كانوا مجانين كان ينبغي على الرعايا ان يخضعوا لمشيئتهم وينفذوا اراذلتهم • حتى اذا ما جاءت الثورات الانكليزية

(1) Maurice Duverger, Op. Cit. P. 159.

والامريكية واخيرا الفرنسية تغيرت النظرة كثيرا الى الشرعية وأصبح النظام الديمقراطي هو المقبول والمستساغ وغدا النظام الملكي المطلق عيبا تنفر منه الشعوب وتحرص على طمره أو بالاحرى قلعه • والنظام الديمقراطي يعطي للانتخابات القول الفصل في اسباغ صفة الشرعية على الحكم ، حيث تتصارع الاحزاب السياسية المعركة الانتخابية ، ومن ينل أكثر الاصوات تمثيلا للامة يتولى الحكم فيها •

كذلك نجد ان النظام الشيوعي فى روسيا يفترض ان الحكم شرعي طالما كانت السلطة بيد الطبقة العاملة (البروليتاريا) ، في حين أن النظام الفاشستي في ايطاليا كان ذا نزعة أوتوقراطية لانه يقوم على الطبقة أو النخبة ، ولذا فان الشرعية فيه اوتوقراطية •

وليس من شك انه بفضل تقدم الافكار الديمقراطية وانتشار مبادئها ان آقبلت كثير من الشعوب على تطبيق نظام الاقتراع العام بدلا من الاقتراع المقيد حيث كان الاخير يقتضي فيمن يريد ممارسة حقه الانتخابي ان تتوافر فيه شروط معينة منها امتلاكه لارض أو عقار وتمتعه بمكانة اجتماعية معينة فكان لا بد والحالة هذه ان تضرب الطبقات الشعبية هذا النظام ضربة قاضية لان ليس من العدل أن تضع طبقة صغرى انظمة للحكم تحمي مصالحها وتخضع الطبقة الاغلبية لحكمها استغلالا وامتلاكا وسيادة •

وتتفاوت الاحزاب في مدى أخذها للافكار الديمقراطية ، وهذا لاسباب يمكن ارجاعها الى :

- ١ - التكوين الاجتماعي للحزب •
- ٢ - مدى قوة الايديولوجية في الحزب •
- ٣ - مدى حماس وايمان اعضائه بالديمقراطية •
- ٤ - طول عمر الحزب ، فكلما كان عمر الحزب طويلا كلما كان اكثر تأثرا بالافكار القديمة ، وهذه هي الطبيعة الانسانية وان كان هناك استثناء لها !

فمن الاحزاب من تأخذ بالاسلوب الديمقراطي ، ومنها من لا تأخذ به كما
هو الحال مع الاحزاب الفاشستية التي تتبع اسلوبا اوتوقراطيا الا وهو التعيين ،
ومنها من تجمع بين الطريقتين •

المبحث الاول

اختيار القادة

كل الاحزاب تدعى - عدا الاحزاب الفاشستية كما اسلفنا - انها تتبع في اختيار قادتها الاسلوب الديمقراطي • اما الاحزاب الفاشستية فانها تتبع اسلوب التعيين فقائد الحزب الاعلى هو الذي يعين نفسه وبالتالي هو الذي يعين الاخرين في الوظائف التي تلي وظيفته • فمثلا ، هتلر أبان الحكم النازي كان رئيسا للحزب النازي مدى الحياة وهو الذي عين خلفا له « غورنغ » ان اصابه مكروه ، فاذا ما اصاب خليفته غورنغ مكروه هو الاخر كان « هيس » خلفا • وليست الاحزاب التي تدعى لنفسها الديمقراطية بسالمة من عيب ، ذلك انها تتبع اسلوب - الاختيار والترشيح - وفق ما يراه المركز أو المكتب - وفي ذلك ثلم للديمقراطية باهر الوضوح • ويمكننا القول ان الضرورات العملية التي أشرنا اليها تملي على الاحزاب الركون الى اسلوب اتوقراطي ينافي روح الديمقراطية • لذا فاننا سنبحث الطريقة الاتوقراطية في اختيار القادة الحزبيين •

١ - الطريقة الاتوقراطية :

الاحزاب الفاشستية ، وهي تعلن صراحة اتباعها الاسلوب الاتوقراطي ، سبيل يقودنا الى القول ان هناك اتوقراطية صريحة معلنة ، والاحزاب التي تدعي لنفسها الديمقراطية طريقا لاختيار قادتها ، مظهرا ، وتتبع في الخفاء اسلوبا اتوقراطيا يدعوننا الى القول بوجود اتوقراطية مستورة خفية • في الاتوقراطية الصريحة المعلنة تقوم شخصية الزعيم على اسباب الشرعية لمن ترتضيه قائدا في المراكز الحزبية • فرضاؤه قانون يفرض على القواعد طاعة من اختاروه وسخطه يخرج المسخوط عليه من الحزب دونما حسيب أو رقيب ومن غير مناقشة أو محاجة • فارادته واجبة الاتباع ، ورغبته قانون نافذ • ولهذه الطريقة مثلان : الطريقة الالمانية والطريقة اللاتينية •

آ - الطريقة الالمانية :

وهذه الطريقة اكثر مغالاة من اختها اللاتينية ، حيث الزعيم هو الاول والاخير وهو على كل شىء قدير • ظل الله في الارض تشمله العناية الربانية في خطوه وأفعاله ولا مرد لمشيئته فهو يمثل الشعب لان الشعب متجسد في شخصه وأعماله وتصرفاته • فهو يمارس باسم الشعب الذي يمثله أعمال السيادة ، وسلطته مطلقة واجبة الطاعة واوامره واجبة التنفيذ • فهو رجل فوق مستوى البشر !

ب - الطريقة اللاتينية :

وهي أقل غلواء من اختها الالمانية • ذلك ان الزعيم في هذه النظرية رجل مصير وقدر • وضعه القدر على رأس الامة ليقرر مصيرها بنفسه لذكائه وقدرته ولوضوح الرؤية لديه • وهكذا يبدو ان النظرية اللاتينية تحيط القائد بصفات تعزى الى شخصه ، وهي أقل اندفاعا في اسباغ التقديس والتأليه من النظرية الالمانية • ولكن كلتا النظريتين تهدفان الى اعطاء القائد حق تعيين مساعديه في المراكز القيادية للحزب ، وتكون مسؤولياتهم أمام شخصه •

ومن الاحزاب من تجمع بين الانتخاب طريقة ديمقراطية والتعيين طريقة اوتوقراطية وهذا ما نجده في حزب تجمع الشعب الفرنسي الذي أسسه الجنرال ديغول (رئيس الجمهورية الفرنسية الحالي) عام ١٩٤٧ • ولقد جاء هذا التجمع نتيجة سحق الجنرال على الاحزاب واعتبارها مسؤولة الى حد كبير عما آلت اليه الاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في فرنسا في ظل الجمهورية الثالثة والجمهورية الرابعة •

ففي هذا التجمع نجد ان هناك مكتبا منتخبا على نطاق المدن وفق الطريقة الديمقراطية • ولكن في نطاق الاقليم نجد الى جانب المكتب المنتخب عضوا معيناً من قبل المركز العام ، وفي يدي هذا العضو تتركز فعلا كل صلاحيات السيطرة والتنفيذ • ذلك ان المكتب التنفيذي يملك حق المبادرة في اقتراح الاجراءات أو القرارات ، اما العضو فهو الذى يملك حق الرفض (الفيتو) وهكذا يكون

العضو هو الذي يملك السلطة العليا وهو الذي يدفع المكتب الى القيام بعمل
أن يمنعه من اتخاذ اجراء معين *

أما على نطاق المناطق فلا نجد الا عضوا معينا ، وكذلك على النطاق المركزي
(المركز) فجميع الاعضاء معينون من قبل رئيس الحزب أي الجنرال ديغول
نفسه ، اما أعضاء المؤتمر وكذلك (المجلس الوطني) له فهم غير معينين ،
فاذا علمنا ان المؤتمر لا يعقد الا مرة واحدة في السنة ، ومناقشات المؤتمر تجري
في جلسات سرية ، عند ذاك تكون جدوى هذه الاجتماعات غير كاملة وليست
ديمقراطية * اما المجلس الوطني فهو لا يمتلك من السلطات الا ما كانت
استشارية * وهكذا تكون السلطات متجمعة كلها في يد رئيس الحزب ، وكذلك
في يد السكرتارية العامة حيث ان اعضاءها كلهم معينون من قبل الجنرال ديغول *
ويتضح لنا - بسهولة ويسر - ان هذا النمط من التنظيم السياسي يجمع
بين طريقة ديموقراطية واخرى اوتوقراطية وان كانت كفة الاخيرة هي الراجحة *
وبالمناسبة فان طبيعة هذا التجمع ليست حزبا لانها كما يرى الاستاذ موريس
ديفرجيه ، تجمع بين شخصيات حزبية في اقصى اليمين وكذلك في اقصى
اليسار (١) *

كذلك نجد ان في بعض الاحزاب الديمقراطية اتجاها اوتوقراطيا خفيا كما
هو الحال في الاحزاب البريطانية في القرن التاسع عشر * فال « كوكس » (٢)
حيث كان لها أثر واضح في الحياة السياسية البريطانية في القرن التاسع عشر
نجد انها تحتوي ، أو في الحقيقة تجمع ، بين الانتخاب والتعيين * كذلك
نجد في حزب الحركة لجمهورية الشعبية الفرنسية مثل هذا الاتجاه *
ففي اللجنة القومية نجد ان هناك عشرة اعضاء مرشحين وليسوا منتخبن *
وكذلك نجد في المكتب السياسي خمسة اعضاء مرشحين أيضا * ونجد أيضا

(1) Maurice Duverger, La Ve République, P.U.F. 1959. P. 239.

(2) Caucus

- وهي لجنة محلية للتنظيمات الحزبية السياسية في بريطانيا *

في الحزب المسيحي الاشتراكي البلجيكي هذا الاتجاه الهادف الى جمع أعضاء معينين في وقت واحد معا ، فهناك في لجان هذا الحزب امكانية ترشيح أعضاء يعادل عددهم عدد الاعضاء المنتخبين • وفي الحزب الشيوعي الفرنسي نجد ان تعيين القياديين فيه يتم بطريقة ترشيح الجهات العليا في الحزب مع موافقة اللجنة المركزية • وهذا ما يعطيه مفهوم المادة (٧) من نظام الحزب •

وفي الحقيقة والواقع فان ظروف العمل الحزبي وكذلك الصراع السياسي يفرضان وجود عنصر الاختيار أي التعيين الى جانب الانتخاب •

حتى الاحزاب التي تتبع اسلوبا ديمقراطيا نراها تتجه هي الاخرى الى اتباع اوتوقراطية علنية في اختيار قادتها ، يدفعها الى ذلك عاملان هما المناورات الانتخابية ، ووجود القادة الحقيقيين الى جانب القادة الظاهرين •

اما موضوع المناورات الانتخابية فهي كثيرة ما تتبع من قبل الدول التي تعلن عن مرشح رسمي لها • أو كما كان يحدث في العراق ابان العهد الملكي عن طريق الضغط الاداري الذي يقوم به الموظفون الاداريون الى جانب تزوير الانتخابات وخروج الاكثرية بالتركية ، فهذا مثل من أمثلة التلاعبات الانتخابية •

اما على الصعيد الحزبي فان الانتخابات في الاصل تجرى على نطاق ضيق يحدده أعضاء الحزب • فالاحزاب تتبع طريقة الانتخاب غير المباشر ، وهذا يضعف الديمقراطية الى حد كبير • ذلك ان القادة انما ينتخبون من قبل ممثلي القواعد وليس من قبل القواعد نفسها ، وأولئك الممثلون ليسوا هم الذين يمثلون ارادة أعضاء الحزب •

وكثيرا ما تلتجئ الاحزاب الى وجوب فرض رضاء أو توجيه المركز لاختيار القادة المحليين أي في فروع الاحزاب المنبثقة على نطاق القطر • والذي يمثل الاتجاه الاخير هو الحزب الشيوعي الفرنسي حيث يقرر نظامه وجوب المداولة مع اللجنة المركزية لاختيار مرشح لسكرتارية الحزب • كذلك الحزب الاشتراكي النمساوي حيث يختار القادة المحليون حصرا من قائمة « رجال الثقة » •

المبحث الثاني

(القادة الظاهريون والقادة الحقيقيون)

لابد لنا قبل الشروع في الحديث عن هذا الموضوع ، أن نبين ما المراد بالقادة الظاهريين وما المراد ايضا بالقادة الحقيقيين ؟

القادة الظاهريون هم اولئك الذين وصلوا الى مراكز القيادة عن طريق الانتخاب . اما القادة الحقيقيون فهم اولئك الذين يعينون تعيينا اوتوقراطيا وليس ديمقراطيا . الاولون هم الذين لهم السلطة ظاهريا ونظريا . أما الآخرون فهم الذين يمارسونها عمليا وفعليا .

وفي أحزاب معينة ينعدم هذا التفريق بين قادة حقيقيين وقادة ظاهريين ، ذلك لان القادة الرسميين الظاهريين هم أنفسهم القادة الفعليون . وهذا ما نجده في « جان جوريه » (١) وليون بلوم (٢) وبرانتك (٣) وتونك (٤) وستالين وموسوليني وهتلر .

ان الاحزاب في الولايات المتحدة الامريكية تعطينا دليلا على ذلك ، ففي الوقت الذي نجد فيها زعماء الاحزاب الامريكية هم الذين يديرون ويتولون ادارة منظمة الحزب ، نجد الى جانبهم (البوس) .

ترى ما معنى البوس ؟ ومن هو ؟

الاصل في (البوس) هو رجل اعمال سياسى ، يعمل جاهدا ومجتهدا للحصول على الاصوات الانتخابية لصالح أعماله ولمنفعته .

لذا فان الحزب لا يمكنه الاستغناء عن البوس لسبب بسيط هو أن كل

شيء قد تمرکز في يديه .

(١) Jaurès رئيس الحزب الاشتراكي الفرنسي . (١٨٥٩-١٩١٤) .

(٢) Blum رئيس الحزب الاشتراكي الفرنسي . (١٨٧٢-١٩٥٠) .

(٣) زعيم حزب الاشتراكي السويدي . (١٨٦٠-١٩٢٥) .

(٤) زعيم حزب الاشتراكي الدنماركي .

ان البوس هو الذي يوجد النفقات المالية التي تصرف على المعارك الانتخابية وهذه تنهياً له عن طريق بدلات الاشتراك التي يدفعها اولئك الموظفون الذين لولا فضله ولولا فضل الحزب لما استطاعوا ان يجدوا لانفسهم عملاً أو وظيفة • وفي الحقيقة فان كثيراً من الاحزاب تدار من قبل أشخاص غير ظاهرين ، وهؤلاء هم الذين يمثلون القيادة الحقيقية لها •

فيمكن مثلاً اعتبار كبار الممولين أو أصحاب رؤوس الاموال الذين يمدون بعض الاحزاب بمبالغ طائلة قد يشكلون حلقة ثانية تمثل (السلطة الخفية) في تلك الاحزاب •

كذلك قد يلعب صاحب جريدة دوراً كبيراً في التأثير على زعماء الحزب الظاهريين ، كما هو الحال ، بالنسبة لموريس ساراوث الذي مارس ولمدة طويلة تأثيراً كبيراً على الحزب الراديكالي الفرنسي • كذلك التأثير الكبير الذي كان يلعبه لينين بفضل امتلاكه لجريدة « اسكرا » (١) في توحيد الحزب الروسي قبل عام ١٩١٧ • وما محاولات لينين لابعاد هذه الجريدة عن قبضة (اللجنة المركزية) للحزب الا سيبل منه للاحتفاظ بها لتكون سلطة خفية تعينه على السيطرة في داخل الحزب الشيوعي •

كذلك خضوع حزب الى سطة دولية أيضاً يعطى للاخيرة صفة السلطة الثانية أو الخفية على ذلك الحزب • كما هو الحال في الاحزاب الشيوعية المنتشرة في أنحاء مختلفة من العالم • فمثلاً الحزب الشيوعي الصيني يعتبر سلطة ثانية أو قيادة خفية للحزب الشيوعي في البانيا ، كذلك الحزب الشيوعي الروسي بالنسبة للاحزاب المنبثة في أقطار العالم • (من الواضح ان سيطرة هذه الاحزاب انما هي بتأثير عوامل ايدلوجية وبرضاء الحزب نفسه) •

(١) جريدة سرية ماركسية ، أسسها لينين عام ١٩٠٠ • كان لها دور حاسم في ترسيخ الفكرة الماركسية وقيام الحزب الشيوعي الروسي والدعوة لهما

ويمكننا أن نرد سيطرة الحزب الروسي على الاحزاب الشيوعية الاخرى الى أنه كان أول حزب شيوعي يصل الى السلطة • كما ان الثورة الروسية قد اعتبرت قاعدة تنطلق منها الثورات • ولذا كان الحزب الشيوعي الروسي هو الموجه والأمر لبقية الاحزاب الشيوعية الاخرى •

علماً بان الحزب الشيوعي ، في نطاق الشيوعية الدولية ، يمتلك خمسة أصوات مقابل صوت واحد لكل حزب من الاحزاب الشيوعية الاعضاء فيها • وهذا ما يفسر لنا قليلا سبب سيطرة الروس على الاعضاء الآخرين • فضلا عن ان ذلك (ناتج عن تجاربهم الخاصة وعن المكانة الخاصة التي تتمتع بها وجهة النظر الروسية في الحركة بمجموعها) (١) ايضا •

وفي الحقيقة فإن الغاء الكومترن لم يغير شيئاً من سيطرة الحزب الشيوعي الروسي على الاحزاب الشيوعية الاخرى •

اذ ان العلاقة بين الحزب الشيوعي الروسي وحزب شيوعي آخر ظلت - كما كانت - علاقة غير متكافئة ولا متساوية • بمعنى ان الحزب الاول كان يمتاز بالسيطرة ، وعليه فهما لا يقفان على قدم المساواة • فالاتحاد السوفياتي بطاقاته المادية والعلمية والبشرية غدا اقوى دولة في العالم ، ومن الطبيعي ان يكون دوره قياديا بالنسبة للمعسكر الشيوعي •

وينفس الفكرة نجد ان الصين الشعبية لا تعترف للاتحاد السوفياتي في الظرف الحاضر بزعامة المعسكر الشيوعي ، وانما ترى نفسها وتحت زعامة ماوتسى تونك أقدر من الاتحاد السوفياتي على زعامة المعسكر الشيوعي • وشخصية ماوتسى تونك انما تمثل تمثيلا واضحا القيادة الحقيقية • فعلى الرغم من وجود رئيس جمهورية ورئيس الوزراء ، فإن السلطة الحقيقية والفعلية لم تخرج من يد ماوتسى تونك حيث يتربع على زعامة الحزب الشيوعي الصيني •

(١) هارولد لاسكي - الشيوعية - ترجمة خيرى حماد ص/١٦١ •

الفرع الاول

سلطات الهيئات القيادية

ليس في هذا العالم من لا يطمح في السلطة • هكذا جبل البشر على حبها والسعي من أجلها • فكثيرون اولئك الساعون من أجلها ولكن قلة قليلة هي التي تصل اليها • « مساكين أصحاب السلطان ! تبسم لهم الدنيا حين يتسم السلطان ، وتظلم حين يتوارى عنهم السلطان !

« فمن يسعي وراء السلطان والمجد ، فان امامه طريقا وعرا يقطعه بالجهد والجهد • فاما ان تتحدث بذكره الدنيا في كل زمان ومكان ، أو يضيق عن ذكره - على الرغم من سعته - سجل هذا الزمان » (١) •

لقد قضت نواميس الطبيعة وقوانين الحياة أن يكون على رأس كل جماعة بشرية فرد يطلق عليه (القائد) يدبر أمرها ويشرف على توجيه سياستها وادارتها •

فهناك دوما « قادة » و « جماهير » يستوى الامر في الانظمة الديمقراطية والديكتاتورية • فعلى مقدار تفاعل القيادة مع الجماهير ، تعبيرا عن آمال الاخيرة وآلامها ، تكون القيادة شعبية ما دامت علاقاتها حية ومتصلة مع الجماهير التي هي أساس كل نظام وكذلك القاعدة التي يرتكز عليها القادة • وبدونها لا بقاء « للقيادات » وأن طال بقاؤها • وعلى مدى تمثيل الشعب وتأييده للنظام تتقرر ثورية النظام أو عدمه • فالسلطة بحد ذاتها يفصل التفرقة بين الجماهير والقائد ، وان كان الاخير خارجا من الاولى !

لذا فان كل منظمة سياسية أم غير سياسية هي بحاجة الى التنظيم ، ومادة كل تنظيم انما هي الجماهير • فالجمهور هو المادة الاساسية في كل تنظيم ، وبدونها لا يكتب لاي تنظيم النجاح •

(١) من خاطرة لي نشرتها جريدة النهضة في عددها المرقم ٩٤ والصادر في الجمعة ٩ كانون الثاني ١٩٤٨ ، تحت عنوان (المجد والسلطان) ص / ٢ •

ولابد لممارسة السلطة من أن تكون القيادة واحدة • فوحدة القيادة ضرورة لازمة الوجود في المجتمعات الانسانية •
 والمجتمعات السياسية ، على اختلاف الانظمة السياسية ، تعرف التفريق بين قادة وهم الحاكمون ، والجماهير وهم المحكومون •
 ولكن ينبغي القول بأن القيادات تختلف : ففي المجتمعات الديكتاتورية السلطة « شخصية » ، وفي الدول ذات التنظيم الديمقراطي الغربي السلطة في مظهرها « جماعية » ، ولكنها في جوهرها « شخصية » هي الاخرى على التفصيل الذي ذكرناه في بحثنا للديمقراطية •
 وفي الحقيقة والواقع فانه ينبغي تقسيم الانظمة السياسية الى ثلاثة انواع وهي (١) :

١ - انظمة كلية •

٢ - انظمة ديمقراطية الغرب •

٣ - انظمة الدول المتخلفة •

وطبيعة هذه الانظمة تحدد كثيرا الحياة السياسية والصراع الدائر فيها • فالحياة السياسية معركة وصراع دائمين مستمرين • والنظام السياسي يحدد شكل الصراع ايضا ، فللبادى والتقاليد والعادات والتاريخ والدين والمعتقدات كلها اسلحة تستعمل في الصراع السياسي • والاضاع الاجتماعية والاقتصادية والفكرية عوامل هامة في هذا الصراع • فهناك دوما - ومنذ الازل - صراع بين القديم والجديد ما بين الاغنياء والفقراء ، ذلك لان البقاء للاصلح (٢) • فحيثما توجد السلطة يوجد « من يقاومها » بتأثير هذه العوامل المختلفة والتي تشمل

(١) سوف نتكلم بتفصيل عن هذا الموضوع عند بحث علاقة الاحزاب بالانظمة السياسية •

(٢) يقول الامام علي بن ابي طالب (رض) :

عداوة الضعفاء للاقوياء والسفهاء للحكماء والاشرار للاخيار ، طبع لا يستطاع

تغييره •

في اختلاف الطبقات الاجتماعية والمستويات الاقتصادية والفكرية • ولذا فالاصول في الاحزاب السياسية انها تعبير عن طبقة • فعندما نقول حزب المحافظين البريطاني فأول ما يتبادر في الذهن أن هذا الحزب يضم الطبقة البورجوازية، وعندما نقول حزب الفلاحين فانه انما يمثل هذه الطبقة المعدمة وهكذا •

ومن دراسة الاحزاب السياسية ، على اختلافها ، نجد ان الاقلية القيادية تتحكم في الاغلبية ، كذلك ان الاقلية القيادية يسيطر عليها شخص هو (قائد) الحزب أو رئيسه • ويرى الاستاذ موريس ديفرجيه أن هناك ظاهرتين بارزتين سيطرت - ولا زالت تسيطر - على تطور هذه الاحزاب واتجاه السلطة فيها • وهاتان الظاهرتان هما (١) :-

١ - ازدياد سلطة لقيادة وتعاضها •

٢ - اتجاه هذه السلطة نحو الفردية فاذا بالسلطة شخصية •

ان هاتين الظاهرتين تناقضان مفهوم الديمقراطية معنى ومبنى • ذلك أن انتشار الديمقراطية عامل دافع لان يجعل السلطة جماعية وليست فردية ، طالما ان ممثلي الشعب هم أحق من غيرهم بالحكم • ولكن كما أن الانظمة السياسية غدت شخصية هي الاخرى وتراجعت الانظمة الديمقراطية من حيث صلاحها لمسيرة أوضاع عالم ما بعد الحرب ، كذلك غدت الاحزاب هي الاخرى السلطة فيها شخصية • ولكم قامت أحزاب بسبب اسم التف حول المعجبون به مكونين حزبا سياسيا •

وهذه الظواهر السياسية لشخصية السلطة على الصعيدين الحزبي والانظمة السياسية تناقض وتناقض ما تنبأ به العالم الاجتماعي الفرنسي « دوركهيم » (٢) حين كان يرى ان السلطة تسير نحو الضعف ، وذلك بانتقالها من سلطة

(1) Maurice Duverger, Les Partis Politiques, P. 197.

(٢) Durkheim (أميل) عالم اجتماعي فرنسي معروف (١٨٥٨-١٩١٧) يعد في طليعة الباحثين الفرنسيين في علم الاجتماع السياسي الى جانب كونه احد المؤسسين البارزين للمدرسة الفرنسية لهذا العلم •

شخصية (نتيجة الحكم المطلق) الى سلطة جماعية بفضل انتشار الافكار الديمقراطية • ولكن الواقع عكس ذلك ، فالسلطة شخصية وليست جماعية • فالانظمة السياسية تبرع شخصيات مفردة على قمة السلطة فيها وكذلك الاحزاب السياسية • فمثلا شخصية كارل ماركس كانت تتمتع بنفوذ لا يقاوم في الشيوعية الدولية توجيها وقيادة • كذلك « لاسال » (١) فان شخصيته في الحزب الديمقراطي الاشتراكي الالماني كانت بمثابة (اله) يعبد وليس بانسان عادي •

١ - تعاضم السلطة : في الدراسات التي قام بها روبرتو ميشيل ، تحليلا للاحزاب الاشتراكية ولا سيما الحزب الديمقراطي الاشتراكي الالماني ، وجد ان اتجاه الاعضاء المتيمين الى الحزب يميل الى الخضوع والاذعان للسلطة القيادية • اذ كلما اتسع نطاق الحزب كلما قويت شوكة الهيئة القيادية وتعاضمت سلطتها ، يصاحب ذلك استعداد الاعضاء وتقبلهم تلك السلطة والسيطرة •

وفي الحقيقة فان ظهور احزاب الجماهير عامل يدفع الماكنة الحزبية الى بسط سيطرتها وتقوية سلطتها على الاعضاء ، يعينها على ذلك ان المبادئ الحزبية أو العقائدية غدت عوناً هي الأخرى على بسط هذا السلطان من القمة على القاعدة • وفي ذلك يقول برتراند رسل (٢) : « لا يقتصر اعتماد سلطان أية جماعة على عدد افرادها أو على مواردها الاقتصادية وطاقتها التقنية ، وانما يتعدى ذلك الى اعتماده على عقائدها » • ان الايمان بعقيدة معينة يسلب قدرة الانسان على التفكير ويجعله منقاداً لها متأثراً بها مدفوعاً للدفاع عنها •

(١) Lassalle (فرديناند) (١٨٢٥-١٨٦٤) . زعيم ومؤسس الحزب الديمقراطي الاشتراكي الالماني • من الاشتراكيين الذين دافعوا عن ألوحدة الألمانية وآمنوا بالنظرية الماركسية •

(٢) Russell ولد عام ١٨٧٢ • فيلسوف بريطاني شهير لا يزال يعيش حتى يومنا هذا • له مؤلفات ضخمة ، منها كتاب السلطان • ترجمة خيرى حماد • دار الطليعة بيروت • ص/١٦٣ •

ومما لا شك فيه ان العقيدة وهي على هذا المستوى من الاهمية ، تلعب دورا خطيرا في فرض السلطات وتعتبر مصدرا رئيسا له • فعند ظهور أحزاب الجماهير التي صاحبت وجود الاحزاب الفردية النزعة ، كلاهما - رغم الاختلاف في الطبيعة والتكوين والعقيدة - يمتاز باخضاع المؤمنين به خضوعا يكاد يكون كاملا • والاحزاب المحافظة تعرف هي الاخرى ، ظاهرة تعاضم السلطة وتمركزها بيد القادة ، وما ظاهرة استعمال (بلسوط) مع النواب لحنهم على التصويت ، كذلك الشعار المعروف «صوت كما يقال لك»^(١) الا دليل أسطع الدليل على ما نقول •

ولقد كان لظهور الاحزاب الاشتراكية أثر في زيادة ودعم نظام الحزب حيث ان هذه الاحزاب تعتمد على الجماهير ، ودوام صلة الجماهير تفاعلا مع القيادة يحققها - الى جانب عوامل أخرى - شدة النظام ، فكلما كان النظام الحزبي قويا كلما شدت جماهيره الى القيادة وهكذا • • • فمما لا مرأى فيه ان السيطرة على جماعة تعددها لا يزيد على الخمسين أمر سهل وميسور بالمقييس الى جماعة تعددها يربو على الخمسين الف نسمة أو ما يزيد •

ولا شك انه الى جانب هذه الناحية الفنية ، الا وهي اتساع القواعد الحزبية احتواء الى الجماهير وهو عامل يفرض بالضرورة وجوب السيطرة عليها ، هنالك عامل اجتماعي مهم وهو ما يتعلق بالجمهور نفسه من حيث تكوينه الاجتماعي • فالاحزاب المحافظة - احزاب اللجان - التي تضم طبقة - في الغالب - موسرة وغنية ، تفرض أن يكون عددها بالضرورة قليلا وضيلا • يضاف الى ذلك ان هذه الطبقة الغنية حريصة كل الحرص على شخصيتها الفردية واستقلالها الذاتي ، فلا تخضع الى الماكنة الحزبية الا قليلا ، لان هذه الماكنة لن تضيف على مركزه شيئا جديدا ، وبالتالي فان ما وصلت اليه هذه الشخصيات من مكانة في المجتمع لا يعزى الا للشخصيات نفسها ولمساعيها الفردية دون أن يكون للحزب في هذا الامر شأن كبير أو صغير ومن دون أن يكون للحزب

(1) Vote as you are told.

أثر لا من قريب ولا من بعيد • هذا في حين ان الاحزاب الاشتراكية تخاطب الطبقة الفقيرة - من عمال وفلاحين - فهذه الطبقة تحرص كثيرا على الارتباط مع الحزب لانها ترى في وصول الحزب الى الحكم مثلا سبيلا الى رفع مكانتها وبالتالي تحسين حالها ، ولذا فان الفلاحين والعمال يرون في الحرية مثلا ، مطلباً جماعياً يخصهم جميعاً دونما استثناء ، في حين ان الحرية بالنسبة للطبقة البرجوازية فردية ، كل ينظر لها من وجهة الخاصة • ويمكننا أن نوضح ذلك بمثل ، فلو أن حزبا طلب اعانات وتبرعات فالطبقات الفقيرة هي اكثر سخاء وعطاءً من الطبقة الغنية ، لان التبرع يمثل بالنسبة للعمال والفلاحين ، سبيل الخلاص من سوء الاوضاع التي يرزحون تحتها ، في حين أن الطبقات الغنية لا تتحسس بأهمية الحزب ، فهي تنعم بالرفاه والمال ، ودعوى الحزب لا تحرك عضو هذه الطبقة كثيرا لانها لن ترفع من قدره الاجتماعي الذي ناله بجهده الشخصي ان كان محاميا مثلا ، أو من مكائته الاجتماعية التي آلت اليه من أبيه وجده وهكذا ان العمال والفلاحين هما أكثر الطبقات ثورية لان الظلم الاجتماعي يقع عليهم وحدهم وعليه فاني أرى وجوب قيام حزب منهم يمثلهم وحدهم • ذلك ان وجود أشخاص لا ينتمون الى طبقة العمال والفلاحين أضرار كبير بمصالح هاتين الطبقتين وبالتالي يؤدي الى ضعف ثورية الحزب قطعاً • ان الحزبيين يعملون من جانبهم على تقوية سلطاتهم ودعمها مدفوعين بعوامل متعددة هي (١) :-

آ - الطموح

من طبيعة الانسان الطموح ، وهو صفة طيبة ما دامت تسعى لتحقيق غاية عامة وليست خاصة • حتى اذا ما سعى الانسان الى تحقيق غايات خاصة على

(١) يرى الاستاذ ديفرجيه أن هناك عاملين يدفعان القادة الى تقوية سلطاتهم هما : ١ - الرغبة في السلطة و ٢ - الفعالية • الاحزاب السياسية ، ص/٢٠٠ ويمكننا القول بأن هناك عوامل عديدة في زيادة السلطة القيادية منها : حب التملك ، المنافسة بين القادة انفسهم ، الشهرة وحب الظهور والى غير ذلك من الاسباب •

حساب الآخرين انقلب طموحه طمعا • والطمع آفة قاتلة ، وهي لصيقة للانانية ، فالطموح تطلعا الى السلطة وسعيا وراء المجد من طبيعة البشر • وما دامت الحياة تقوم على قادة يأمرهم ويتبعون فان حوافز السلطان والرغبة سعيا وراء السلطة والحكم تظل فاصلا يميز القادة عن الاتباع • وطريق السلطان طريق وعر وشائك ، صعب المسالك ، لا يقدر عليه الا من أوتي حظا وفيرا وكبرا من الاقدام والشجاعة والصبر والقدرة على التفاعل مع الشعب في آماله وآلامه • افراحه وأتراحه ، وهلم جرا •••

فالطموح اذن عنصر من العناصر المهمة في اندفاع القادة نحو السلطة وبالتالي المحافظة عليها •

ب - الرغبة في السلطة :

اننا نتفق مع الاستاذ ديفرجيه في أن الرغبة في السلطة عامل كبير يدفع القادة الى الاستزادة منها والعمل - ما في وسعهم وطاقتهم - على تقويتها • فالقائد يرغب في السلطة بطبعه • فمن يملك سلطة بسيطة يحاول جهده العمل على تقويتها وزيادتها •

وما دما بصدد الحديث عن القادة فانه يجمل بنا ان نفرق بين القائد (٢) الذي يخرج من الطبقة الشعبية وبين القائد الذي يخرج من الطبقات العليا • فالاول يتحرق الى السلطة تحرق العطشان الى الماء ، ذلك ان السلطة هي التي سوف تؤكد تفوقه وتكون بالتالي عاملا على رفع مستوى طبقته التي ينتمي اليها ، وهي الطبقة الاغلبية • فالقائد الشعبي شجاع لا يهاب ، يؤمن بالتصير والثورة لانه لا يعترف بالاوضاع التي جعلته تابعا هو والطبقة التي ينتمي اليها • اما الثاني فالسلطة

(٢) كتب كارليل يقول « ما من بريطاني يستطيع أن يكون رجل دولة حتى يثبت قدرته على الخطابة وعلى انه سيد المتكلمين » والاصل في القادة انهم خطباء كقامبتا ، وكليمانصو ، وديغول في فرنسا ، وغلاد ستون ولويد جورج وتشرشل في بريطانيا وجمال عبدالناصر في أمتنا العربية •

لا ينظر اليها الا على انها امتداد لسلطته تلك التي جاءته عن طريق الميلاد أو المركز الاجتماعي أو المركز الثقافي فلا يرتضى بالتغيير بل يقف حائلا دون حدوثه • أن المرء لا يمكن ان يكون الا نفسه فان كانت نشأته الاجتماعية ثورية كان ثوريا وان كانت نشأته الاجتماعية رجعية كان رجعيا • وقد (يتبرجز) الثوري ! أما الرجعي فلا يكون الا رجعيا في الغالب •

ج - الخوف :

ان الحرص على السلطة يولد شعورا بالخوف عليها • ولذا فان القادة يحيطون أنفسهم كثيرا باجهزة تعمل على تمجيدهم والاشادة بهم وتعمل على رفع شأنهم ومكانتهم • ولكن كثيرا ما تكون الحياة السياسية وطبيعتها سببا في ميلاد شخصية سياسية أخرى تسعى الى السلطة هي الاخرى • عند ذلك يحدث الصراع الذي قد ينتهي بتغيير شخصية القائد أو الزعيم •

٢ - شخصية السلطة :

لقد مرت السلطة داخل الاحزاب بطورين أولهما : الانتقال البطيء الذي مرت به السلطة من شخصية الى جماعية ثم ثانيهما : عودة السلطة الجماعية الى الطابع الشخصي •

هذه الظاهرة ليست بقاصرة ، في الحقيقة على الاحزاب وحدها ، وانما على كافة المنظمات البشرية بما فيها الدولة •

ذلك ان البشرية في ادوارها الاولى قد عرفت حكاما مستبدين ، حتى اذا ما جاءت الحركات الديمقراطية وانتشار مبادئها ، تحولت السلطة من مطلقة الى جماعية ، على اعتبار ان الشعب هو صاحب السلطة والسيادة • ثم عادت المجتمعات من جديد الى شخصية السلطة حيث تغيرت الاحكام وعجزت الانظمة الديمقراطية عن ايجاد حلول عملية لعالم ما بعد الحرب •

كذلك كان لظهور الاحزاب الاشتراكية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، أن تأثرت بعض الاحزاب الديمقراطية والمسيحية بأساليبها

وطرقها (أي طرق الاحزاب الاشتراكية) • وما هذا الا نتيجة لتطوير وتحسين التنظيمات والهيئات القيادية فيها •

ففي الداخل كانت هذه التنظيمات بسيطة • فعلى النطاق المحلي ، كانت السلطة فيها تتبع أو تخضع الى أحد اعضاء البرلمان الحزبيين ، أو أحد سعاة المنطقة من الارستقراطيين • فاذا ما حدث مثلا ان احد هؤلاء قد غيروا الحزب ، كان كل من يخضع له يغيرون الحزب ليكونوا حيث هو • وعلى النطاق القومي كانت السلطة الفعلية مناعة بأحد زعماء هذه الاحزاب • والامثلة على ذلك كثيرة منها : غامبتا في فرنسا ووزرائيلي وكلاستون في بريطانيا فهؤلاء الشخصيات كانت مسيطرة ومهيمنة على احزابهم سيطرة وهيمنة تكاد أن تكون كاملة • كذلك شخصية كارل ماركس ، اذ يكفي أن اتباعه انما يسمون باسمه • ويدخل تحت هذا الحكم الحزب الاشتراكي الالماني ، بزعامة لاسال ، وغيرهم كنيرون •

أما الاحزاب الاشتراكية فانها استطاعت أن تقوم بمجهود يذكر لتنظيم القيادة لئلا تجنح هذه القيادة هي الاخرى نحو الفردية • واقد اتبعت الاحزاب الاشتراكية لغرض تحقيق ذلك طريقين هما⁽¹⁾ :

- ١ - اتخاذ السلطة شكلا هرميا لغرض تجنب تمركز السلطة بيد واحدة • وهذا واضح في تقسيم الحزب الى ثلاث هيئات قد تختلف بالتسمية من حزب لآخر وهي :-
- آ - المكتب التنفيذي : الذي ينفذ القرارات المتخذة من قبل المؤتمر العام •
- ب - اللجنة المركزية : وتضم عددا أكبر ووظيفتها السهر والمراقبة على تنفيذ القرارات •
- ج - المؤتمر العام السنوي : وهو الذي يضم مندوبين لجميع فروع ومكاتب الحزب •

(1) Maurice Duverger, Op. Cit., P. 207.

٢ - اما الطريقة الثانية فهي ان الاحزاب الاشتراكية انشأت ما يعرف بالفصل
الافقي للسلطات • وذلك بايجاد ما يعرف بلجان التحقيق والمراقبة ووظيفتها
تنصب على التحقيق في مدى قيام اللجان بأعمالها وكذلك مراقبة الاعضاء
والتحقيق فيما يوجه لهم من طعون ، وكذلك مراقبة النشاط المالي •

واما الاحزاب الشيوعية : فاننا نجد ان لنين حاول جهده الابتعاد عن جعل
طابع سلطته وحكمه شخصيا • ولكن الواقع يقضي بأن نعرف بان له شخصية

مسيطرة على الحزب الشيوعي • حتى اذا ما جاء ستالين فان السلطة غدت شخصية
في الاتحاد السوفياتي وكذلك الحزب • حتى أن وجود ستالين في الحكم وما
كانت تضاف اليه من القاب ونعوت قد جعل كثيرين من رؤساء الاحزاب الشيوعية
في الدول الاخرى ، يعتقدون في كون سلطاتهم هي الاخرى شخصية • فلقد كان
ستالين في روسيا الها يعبد • حتى اذا ما مات عادت نعمة الحزب الى وجوب العودة
الى القيادة الجماعية •

وفي فرنسا ايضا نجد أن شخصية (موريس توريز) زعيم الحزب الشيوعي
الفرنسي كانت هي الاخرى شخصية ومسيطرة الى الحد الذي دعى الحزب الى
أن يقوم بطبع بطاقات الانتساب بمناسبة بلوغه عامه الخمسين كتب عليها : « اني
أنضم الى حزب موريس توريز » وليس الحزب الشيوعي الفرنسي •

كذلك في الصين ، فان الدور القيادي البارز الذي لعبه (ماوتسى تونك)
في الثورة الصينية جعل اتباعه في الحزب الشيوعي يطلق عليهم (الماويون) نسبة
الى اسمه • كما هو الحال للماركسيين بالنسبة لماركس • والناصرين بالنسبة
لعبدناصر وهلم جرا ••

وفي النهاية فان الاحزاب الفاشستية والنازية تعرف هذه الظاهرة ، ظاهرة
شخصية السلطة ، بجلاء •

ذلك ان السلطة في المفهوم الفاشي ، ولا سيما النازي ، انما تتبع من شخصية

الزعيم وليس من وظيفته • والشرعية انما تتأتى من الزعيم وليس هناك مظهر
آخر يضيفي الشرعية سواه •

ان الالمان وعلى عهد النازية قد غالوا كثيرا في ذلك حتى أنهم أوجدوا
تعبير (الزعامة)^(١) تبريرا لتصرفات هتلر وتفوقه وأنه خليق بالاتباع •

(1) Führung.

الفرع الثاني

« الصراع والتطهير في الاحزاب السياسية »

كثيرا ما نسمع ونقرأ ، أن حزبا سياسيا قد حدث فيه صراع داخلي ، وان حزبا سياسيا آخرا قد قام بتطهير صفوفه من اعدائه ومن الانتهازيين •
والشيء الطبيعي هو ان يسبق التطهير صراع يقع في داخل الحزب حتى اذا ما سيطرت جماعة منه ، على السلطة ، قامت بتصفية الجماعة الاخرى بدعوى تطهير الحزب • وفيما يلي من صفحات ، سوف نحاول بحث هذين الموضوعين •

١ - الصراع :

قلنا ان الحياة السياسية معركة صراع • يتنازعها البشر فيما بينهم كل كل يريد الغلبة والنصر لنفسه • وأوجه الصراع كثيرة : منها صراع داخلي ما بين الدولة (كحكام) والشعب (كمحكومين) ومنها ما بين الاحزاب السياسية والدولة • ومنها ما بين الاحزاب والتنظيمات السياسية نفسها ، ومنها ما بين الافراد انفسهم •

وصراع خارجي وهو الذي يتمثل في الصراع من اجل السلطة والسيطرة بين الدول في العالم •

يقول البرفسور (موركتاو) « ويعتبر الميل للسيطرة بصورة خاصة عنصرا مائلا في جميع الترابطات الانسانية ابتداء بالاسرة وعبورا بالترابطات الاخوية والمهنية والمنظمات السياسية المحلية وانتهاء بالدولة » (١) •

وكما قلنا في فاتحة هذا الكتاب من ان الصراع السياسي قديم قدم الدنيا • وهو قانون يتحكم في علاقات الانسان ان لم يكن قانون الحياة نفسها • والمنافسة

(١) هانز • جى • موركتاو - السياسية بين الامم - الصراع من اجل السلطان والسلام - الجزء الاول - ترجمة : خيرى حماد ١٩٦٥ - الدار القومية للطباعة والنشر - ص/٦١-٦٢ •

عمل مشروع بحد ذاتها • وهي - مع الصراع - خلف كل الفعاليات الانسانية •
والشيء الذي ليس فيه ريب ، هو أن الصراع ، مهما اختلفت صورته ، انما
هدفه السلطة أولا واخيرا • وفي هذا يقول (موركتاو) : « لعل من خصائص
السياسات كلها ، سواء أكانت داخلية أم دولية ، أن مظاهرها الاساسية لا تظهر
في العادة على حقيقتها أي كمظاهر للصراع على السلطان » (٢) •

ويمكن ان يعزى الصراع الداخلي للاحزاب السياسية الى ما يلي من

العوامل :

- آ - اختلاف السن •
- ب - اختلاف التكوين الاجتماعي •
- ج - الاختلاف الديني والعنصري •
- د - اختلاف العقلية والثقافة •
- هـ - اختلاف المصالح •

آ - اختلاف السن :

ليس من شك في أن لاختلاف السن أثرا كبيرا في الصراعات والاختلافات
السياسية • ذلك ان ثمة حقيقة سوسولوجية تؤكد ان الشباب في الغالب ثوريون
وأن الشيوخ والمتقدمين في السن محافظون •

ان الشباب بدمائه الفوارة يمضي ، مدفوعا بايمانه ، في طريقه دون أن
يهاب أو يخشى • ثم ان قلة التجربة تجعل الشباب لا يبالون بالمخاطر ولا
يحسبون لها حسابا • ولكم جرت على هذه الارض دماء زكية لفتية قدموا ارواحهم
قرايين لما يؤمنون وتحقيقا لاهدافهم •

« والشباب من الامة روحها • فهم سياج لها وحماة لاستقلالها • والشباب
أبدا يوحى الوحي اذا كان ذا وعي ، فيحي في النفس موات الامل ويشير فيها
الهمة والعمل • وانك لتجد الفارق ، حين تقيس شباب الامس باليوم ، كبيرا

(٢) موركتاو - المصدر أعلاه - ص/١٣٢ •

وبعيدا ، ومتي كان للامة شباب واعى يشعر بما يترتب عليه من واجب كان مستقبلها سعيدا « (١) » .

أما الشيوخ فان ضعف أجسامهم ، تجعلهم يخشون كل تغير ، لانهم في حاضرهم الذين يحيون فيه مطمئنون . فالهم لديهم انما هو الحاضر وليس المستقبل ، على العكس من ذلك الشباب ، فحاضرهم ليس مهما لانهم لا يملكون فيه شيئا ، والمستقبل هو الذي يحمل علامات التغير ، ولذلك فهم يؤيدون كل حركة ثورية لان فيها علائم تغير لاوضاعهم من حال لاحسن حال .
وينبغي أن ننبه الى ان هذا الامر ليس بعام . ذلك ان من بين الشباب ، بسبب ميلاده في وسط غنى ومحافظ ، يكون محافظا .
وهناك من الشيوخ من لا يزال ثوريا . جوهر الامر هو أن اختلاف العقلية ما بين الشباب والشيوخ يفرض مواقف سياسية مختلفة واضحة .

ب - اختلاف التكوين الاجتماعي :

في كل مجتمع ، توجد طبقة مالكة ، وهي قلة من الناس ، وطبقة مملوكة وهي الاغلبية . ان الاختلاف السياسي واضح بين اولئك الذين يملكون وأولئك الذين لا يملكون . وعليه فان التكوين الاجتماعي يلعب أخطر الادوار في تقرير المواقف السياسية .

فالشخص الذي نشأ في طبقة ارستقراطية ، يشب غالبا ، ارستقراطي النزعة محافظ الرأي والهدف . لا يؤمن بالتغير ويقاوم كل تبديل قد يقضي على ما هو منعم به من حياة رفهة وترف شامخ .

والذي نشأ في طبقة فقيرة ، يشب غالبا ، شعبي النزعة ، ثوري الرأي والهدف . لا يؤمن ولا يرتضي بواقعه الاجتماعي ويسعى جاهدا ومجتهدا الى تغييره . لان التغير سوف يكون قطعاً أحسن حالا مما هو فيه من فاقة وعوز واذا ما فشلت مجهوداته في الثورة فلن يخسر شيئا .

(١) من خاطرة لنا تحت عنوان (الاستقلال والحرية) نشرت في جريدة النهضة بعددها المرقم ١٢٢ والمؤرخ في ١٧ شباط ١٩٤٨ .

وعليه فان اختلاف التكوين الاجتماعي عامل هام يدفع الى الاختلاف سياسيا لان طبيعة النشأة الاجتماعية بين الاغنياء والفقراء متضاربة . اذ يحرص الاغنياء كل الحرص على دوام مصالحهم وبقائها من جهة ، ويحرص الفقراء كل الحرص على تحطيم القيود التي وضعها الاغنياء في استمرارهم فقراء ، عاملين باستمرار ، باذلين كل جهودهم لرفع مستواهم وتحسين حالهم .

ج - الاختلاف الديني والعنصري :

هذه حقيقة لا مجال للاختلاف عليها . وهي ان العوامل الدينية والعنصرية تلعب دورا خطيرا وكبيرا في الخلافات السياسية . فلکم قامت من حروب بسبب الاختلافات الدينية والعنصرية في الشرق والغرب على حد سواء .

ان الدين عامل يسلب من المرء ، نتيجة ايمانه المطلق به ، حرية التفكير . فمن يؤمن بالدين انما ايمانه به جملة وتفصيلا . هذا الايمان يفرض عليه عدم قبول أى رأي يتعارض مع العقيدة التي يؤمن بها . ولذا فكثيرا ما تدخل الاختلافات الدينية والعنصرية في الاختلافات السياسية وتؤدي الى صراع دام !

د - اختلاف العقلية والثقافة :

يفترض في العمل السياسي أن هناك حرية لتبادل الرأي واسعة . والخلافات انما يقللها أو ربما تهذبها الثقافة . فمن أوتى حظ كبير منها ، كانت له القدرة على ايجاد الحلول للمشكلات والخلافات .

ان الإنسان ابن بيئته . وتأثره بها واضح المعالم لا يحتاج الى اقامة الدليل عليه . وعقليته بما غرست فيه التجارب والاحداث من دروس ، الى جانب الثقافة التي ينهل منها ، كل هذه العوامل تخلق في الانسان عقلية معينة .

وليس من ريب في ان اختلاف العقلية والثقافة سبيل يؤدي الى الصراع وكذلك الاختلاف السياسي .

ه - اختلاف المصالح :

لا نكران ان للمصالح دورا خطيرا وأثرا كبيرا في تصرفات الانسان وكذلك علاقته بالآخرين • فكم من صديق باعد صديقه بحكم مصالحه الخاصة • وكم من عدو أصبح صديقا لعدوه ، مدفوعا باحكام المصلحة • ان هذا الامر ليس قاصرا على الافراد وانما ينطبق على التنظيمات السياسية وكذلك الدول • ان المصالح أقوى تأثيرا من المبادئ نفسها • أو كما قال ثوسيديس : « ان وحدة المصلحة هي أوثق صلة بين الدول والافراد » (١) •

وفي هذا يقول ماكس ويبر ايضا : « تسيطر المصالح المادية والمعنوية ، لا الافكار ، سيطرة مباشرة على أعمال الناس ، وتتحكم فيها • ومع ذلك فان « صور العالم » التي تخلفها هذه الافكار ، كثيرا ما تعمل كمحولات ، تقرر الطرق التي تعمل فيها دينامية المصالح على ابقاء أعمال الناس هذه ، ماضية في حركتها » (٢) • أن قوة المصالح كفيلة بأن تحول الثقافة الى عوامل مساعدة تكون في خدمة المصالح الخاصة وتعمل على تحقيقها •

ان الانسان ليعاني صراعا نفسيا داخليا حادا بين مبادئه ومثله من جهة وبين مصالحه الخاصة • ولكن هذا الصراع ينتهي - في الغالب - بانتصار المصالح الشخصية •

بعد أن فرغنا من دراستنا لعوامل الصراع ، يتعين علينا الآن أن نبث موضوع التطهير في الاحزاب السياسية •

٢ - التطهير في الاحزاب السياسية :

لا مرأ ان الخوف من فقدان السلطة وذهابها عامل أساسي يدفع قادة الاحزاب وكذلك الانظمة السياسية الى فرض سيطرتهم كاملة •

(١) و (٢) وردتا في كتاب (موركتناو) - المصدر السابق - ص/ ٣١ •

ان فرض النظام وسلامة الدولة وفرض الامن وحماية المصلحة العامة كلها أسباب تستخدمها الانظمة السياسية لاستمرار بقائها •
والاحزاب السياسية هي الاخرى لها وسائلها الخاصة في ضرب خصومها في الداخل والخارج •

فظام الحزب يعين القادة الحزبيين على دوام السلطة في ايديهم ودون خروجها منهم • فكما ان الجيش يعرف بدقة الضبط والربط فيه وصرامة نظامه ووجوب الطاعة ، كذلك الاحزاب لابد لها من نظام يكفل تحقيق وحدة الحزب • وما الاحزاب السياسية (ولا سيما الفاشية والنازية والشيوعية) الا أدلة ناطقة على قوة النظام الحزبي والدور الحاسم الذي يلعبه الزعيم فيها •

والاصل في الاحزاب الاشتراكية انها تحمل ارادة حرة وديمقراطية نيرة تدفعها الى موازنة سلطة القادة الحزبيين ، لئلا تخرج عن الجادة وتشتط جنوحا الى حد السيطرة الصارخة • لذا فان التمثيل النسبي للاتجاهات في المراكز القيادية انما سببه الرغبة في فرض رقابة دائمة على تصرفات السلطة القيادية • وأحيانا يعترف لاعضاء الحزب بحق المساهمة مباشرة في ادارة شؤون الحزب عن طريق الاستفتاء وهذا ما حدث للحزب الاشتراكي الايطالى عام ١٩١٤ ، وقبل هذا التاريخ حيث سمح للاعضاء باستشارتهم حول نقاط لم تقرر من قبل المؤتمر العام • وفي الحزب الاشتراكي الديمقراطى السويدى حيث النظام الاساسى يعطى الحق عن طريق الاستفتاء ، بتغيير أو تعديل أو الغاء قرار اتخذ من قبل المؤتمر العام • كذلك فان هناك في الاحزاب الاشتراكية لجانا مهمتها الاشراف على الاعمال الحزبية • وهذه اللجان اما تنظيمية أو لجان منازعات :

الاولى دورها ينحصر في فض الخلافات بين الاعضاء أو الاعمال غير النظامية التي تتعارض ونظام الحزب •

اما الثانية فدورها حسم المنازعات التي تحصل بين الوحدات الاساسية للحزب ، كأن تكون هذه المنازعة بين قسمين أو بين قسم واتحاد أو بين اتحادين أو بين اتحاد والمركز العام للحزب •

اما الاحزاب الشيوعية فان عمليات الاقصاء والتطهير مستمرة • اذ لا خيار للعضو بين أمرين : أما بقاؤه عضوا خاضعا لنظام الحزب ويقبل تنفيذ الاوامر الصادرة اليه دونما مناقشة أو الخروج من الحزب بعمليات التطهير والاقصاء • ولقد كتب « لاسال » زعيم الحزب الاشتراكي الالماني مرة الى كارل ماركس يقول : « ان الصراع الحزبي يعطي للحزب القوة والحيوية والدليل القاطع على ضعف الحزب هو الميوعة وامحاء الحدود المرسومة بخطوط واضحة ، ان الحزب يقوى نفسه بتطهير نفسه » (١) •

كذلك كتب هيكل الالماني قائلا : « ان وجود الحزب الحقيقي ليظهر عندما ينقسم على نفسه » وفي الحقيقة فكثيرا ما يحدث أن ينظم الى صفوف الحزب أشخاص غير مؤمنين ، يندفعون الى الانتماء لحزب معين لنجاحه في الانتخابات ووصوله الى السلطة •

كذلك نرى ان قادة الاحزاب السياسية ولا سيما في فترة نشوؤها ، يحاولون أن يجمعوا في صفوف الاحزاب أشخاصا ومجاميع قد لا تنتمي انتماءا طبقيًا واحدا ولا ينتمون انتماء عقائديا واحدا • ولا بد لهذه المجاميع من أن تختلف ، وهذا الاختلاف يقود الى صراع داخلي غالبا ما ينتهي بانقسام الحزب وانشطاره • وهذه العملية الاخيرة لا بد لها ان تظهر لانه لا يمكن اجتماع القائض تحت سقف واحد • وعليه فان وجه الحزب الحقيقي انما يظهر بعد عملية الانقسام كما قال هيكل • فاما أن يكون اتجاهه يمينا أو يساريا •

والنقطة الاساسية التي ينبغي الاشارة اليها هو ان الصراعات الطبقيّة والحزبية في المجتمعات النامية انما تؤدي الى شلل الامة دون تقدمها • في حين ان الصراعات الطبقيّة والحزبية في المجتمعات المتقدمة انما تدفع الامة نحو مراتب

(١) لينين - ما العمل - ص/٣ • ولعل من المفيد ان نذكر قولاً لستالين في خطاب له القاه في المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي : (اعتقد ان الزعيم في وقت ما ومن حين لآخر ، يجب حتما أن يمر على صفوف الحزب وهو حامل مكنسة في يده) اشارة منه الى وجوب تطهير الحزب •

الرقمي والتقدم • وفي الحقيقة « فان كل الصراعات الحزبية - كما يقول ماكس ويبر - ليست قصرا بصراعات ذات أهداف موضوعية ، بل انها ايضا وعلى الخصوص منافسات للسيطرة وكذلك توزيع الوظائف » (١) •

والملاحظ ان الاحزاب عند نجاحها وصولا الى السلطة ، يتدفق عليها الراغبون زرافات ووحدانا • وهنا ينبغي على الحزب الا يفتح الباب على مصراعيه لكل من هب ودب • لان العناصر الانتهازية اسرع ما تكون دخولا اليه ولذا يجب التحوط والتحرز كثيرا في فحص الطلبات وقبول الصالح منها •

أما في حالة الفشل أو التكبسة فان الحزب يغدو معارضا وهنا ينبغي فتح القبول لان العناصر المؤمنة وحدها هي التي ترغب في الانتماء والانضواء الى حزب معين • أن تسرب العناصر الانتهازية خطر كبير على الحزب قد يؤدي الى القضاء عليه • لان العناصر الانتهازية لا تخلص الا لمصلحتها الخاصة • وانها مستعدة لان تمنح حبها وتأييدها لكل حزب • لان الانتهازي يمتلك قلوبا متعددة يمنح الحب لهذا الحزب ولذاك • ولكن كما يقول الله تعالى في كتابه العزيز :

« ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه » •

فان ذلك دليل على أن تأييد الانتهازي انما هو تأييد فارغ لا معنى له ، لان قلب الانتهازي انما ملؤه المصلحة الشخصية ليس غير !

يقول ستالين : « أن ينبوع العمل الانقسامى (التكتل) في الحزب ، هو العناصر الانتهازية فيه » (٢) وعليه « فان الحزب يقوى بتطهير نفسه من العناصر الانتهازية » (٣) •

وفي الحقيقة والواقع فان التطهير (مرض شائع) في الاحزاب على اختلافها وان كان أكثر ظهورا في الاحزاب الشيوعية والفاشية • على انه ينبغي المبادرة فورا الى التفريق بين الاثنين • فالفرق بينهما هو الفرق بين الفلسفتين : الشيوعية والفاشية •

(1) Max Weber, Op. Cit., p. 115.

(٢) و (٣) ستالين - المصدر السابق - ص ٢٣/ و ٢٥ •

فالحزب الشيوعي يحرص على طرد العناصر المحافظة من الحزب • في حين ان الحزب الفاشي (بما فيه حزب النازي) انما يحرص على طرد العناصر الثورية في الحزب •

فالتطهير اذن يتساقق وجوده ويتناسق مع وجود الانظمة الكلية ، حيث ان السلطة في الاخيرة مطلقة ، والحكم المطلق - كالسلطة تماما - يفسد حتما • او كما يقال : « السلطة تميل الى أن تفسد ، والحكم المطلق يفسد حتما » • ان عيب الانظمة السياسية وكذلك الاحزاب انما يكمن في حرصها معا على كسب الجماهير اقوالا وليس اعمالا •

كذلك عيب الاحزاب يكمن في حرصها على ارضاء اعضائها دون العمل على ارضاء الشعب ولذا فان فجوة كبيرة تحدث بين الحزب والشعب • فينكمش الاول وتنزل عنه جماهير الشعب وهذا ما يقود الحزب الى ان يغدو ديكتاتوري النزعة •

« ان حب الوطن - كما قال روبسبير - مسألة قلب قبل ان تكون مسألة حزب » (١) •

ان اسباب التطهير متعددة ولكنها ترجع الى الصراع من اجل السلطة بين المتنافسين عليها • والتطهير في حقيقة الامر وجوهه انما هو سلاح يقضى على الخصوم ويعمل على ابعادهم من مراكزهم في الحزب فيخلو وجه الحزب للقوى المنتصرة •

ان الصراع الذي حدث في نطاق الحزب الشيوعي بين ستالين وتروتسكي وانصارهما قد انتهى بتطهير التروتسكيين من الحزب •

كذلك الصراع الخفي بين هتلر والكولونيل فون روهم قد انتهى بتصفية الثاني والقضاء عليه •

ان الصراع نتيجة حتمية لكل المجتمعات البشرية ، وكل صراع يتخذ التطهير ميلا له • ولا بد لهذا التطهير من وسائل زجرية كالارهاب والاعتقال والنفي •

(1) Marcel Waline, Les Partis Contre La Republique, 1948, p. 31.

وليس من شك ان التطهير انما يتأثر والى حد كبير بظروف البلد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية • كذلك يتأثر بالاحداث الداخلية والخارجية على حد سواء •

بعد هذا ، يمكننا ، ان نوجز اسباب التطهير الى ما يلي من العوامل :

١ - ان الانظمة الكلية تنعزل عن الجماهير دون تفاعلها معها • وهذا ما يؤدي الى حدوث الشك في ايمان المواليين للنظام •

٢ - الصراع بين القادة الحزبيين يدفعهم الى اتهام الاخرين بالجمود واولا حتى تصل الى الخيانة اخيرا • وبالتالي العمل على اقصائهم وتطهير الحزب منهم •

٣ - ان طبيعة الانظمة الكلية تقضى ان تحارب هذه الانظمة داخل اجهزتها وخارجها • ولذا فتطهير اجهزة الحكم ضرورة وكذلك تطهير المجتمع لتحقيق ولاء الجماهير للنظام •

ان الاحزاب السياسية قد اصبحت حريصة كل الحرص على أهمية التنظيم وكذلك خضوع الاعضاء الى القيادة الحزبية • ولقد اتخذ الحزب الشيوعي الفرنسي قرارا يقضى بقبول حتى من لم يكن ماركسيا في صفوفه ، شريطة ان يرتضى هذا العضو لنفسه قبول تنفيذ الاوامر الصادرة اليه من الحزب • وله ما شاء من الحق في انتقاد الماركسية خارج الحزب • ان الضرورات تبيح المحظورات • كذلك الضرورات العملية فانها فوق المبادئ عند الاحزاب السياسية •

ان عمليات التطهير والاقصاء سببها الصراع من اجل السلطان ، وهي ايضا دليل على تخوف القادة من منافسيهم وتخوفهم من سيطرتهم على ماكنة الحزب • ان هذا الامر يعطل الديمقراطية ويبطل الجو الديمقراطي وحرية النقاش وبالتالي يجعل من الاحزاب اجهزة صراع في سبيل السلطة وبعيدة كل البعد عن الديمقراطية •

ان الواقع السياسي لمجتمع ما يفرض على الاحزاب السياسية ، ان تعتمد الى وجوب تحقيق وحدة الحزب وضرورة بقاءه كيانا واحدا دونما انقسام أو

انفصال متخدين من النظام وفرض الطاعة على الاعضاء سيلا يجعل من الحزب
جهازا متجانسا من غير انقسام ولا اتجاهات • ولكن الحياة الواقعية للحزب
رغم كل ذلك غدت مثالا للانقسام وتعدد الاتجاهات والاجنحة فيه •

اما وقد انتهينا من موضوع الصراع والتطهير في الاحزاب السياسية فانه
بقى لدينا موضوع اخر ذلك الذى يتعلق بصراع ما بين القادة الحزبيين من
جهة والقادة البرلمانيين من جهة اخرى في نطاق حزب معين •

وهذا ما سوف نبثه في الصفحات التالية •

المبحث الثالث

« القادة الحزبيون والقادة البرلمانيون » (١)

لقد تبين لنا بصورة لا تقبل الشك ولا الجدل ، ان الحياة السياسية في أصلها وزوحها انما هي صراع من أجل السلطة • وهذا الصراع كما قد رأينا يتخذ اشكالا ثلاثة فيما يخص الصراع الداخلي وهي :

أ - ما بين السلطة والاحزاب

ب - ما بين الاحزاب نفسها

ج - ما بين اعضاء الحزب انفسهم

وفي هذه الدراسة ، سوف نحاول دراسة الصراع الذي يقوم ما بين اعضاء الحزب انفسهم • ولعل أبرز صورة لهذا الصراع انما هو الصراع الدائر ما بين القادة الحزبيين والقادة البرلمانيين في حزب معين •

ان في نطاق الاحزاب البرلمانية صراعا طرفاه القادة الحزبيون والقادة البرلمانيون • والحق فان القادة الحزبيين يحاولون السيطرة على اعضاء الحزب البرلمانيين وقادة الحزب البرلمانيين يحاولون السيطرة على ماكنة الحزب أي على القادة الحزبيين وهكذا •••

وفي الحقيقة فان التفريق بين الناخبين والمنتخبين بالنسبة الى الحزب يتعلق كذلك ، والى حد كبير ، بموضوع القادة الحزبيين والقادة البرلمانيين • والشئ الواضح أن العلاقة بين الاثنين تلعب دورا خطيرا وكبيرا في حياة الاحزاب السياسية •

فالديمقراطية ، معنى ومبنى ، تقضي بأن يكون للبرلمانيين الاسبقية والتفوق

(١) اعتمدنا كلية في كتابة هذا الفصل على كتاب - الاحزاب السياسية -

لموريس ديفرجيه •

على القادة الحزبيين على اعتبار ان الاولين يمثلون جماهير اكثر اتساعا وأكبر قاعدة من تلك التي يمثلها القائد الحزبي •

فعضو البرلمان يمثل الامة فمن ينتخبه ليس مقصورا على الحزبيين وانما

يتعداهم الى غيرهم من الناخبين •

ولكن الواقع عكس ذلك • فالقادة الحزبيون يسيطرون على القادة البرلمانيين •

غير ان هذه السيطرة ليست بعامة ولا مطلقة • ذلك ان الجمع بين الاثنين حاصل في شخص واحد • فكثير من زعماء الاحزاب هم أنفسهم أعضاء في البرلمان ويقومون بزعامة كتلة حزبهم البرلمانية • أي أن الشخص الواحد يجمع بين مركز قيادة الحزب وكذلك عضوية البرلمان • والفصل بين الوظيفتين لا يكون الا لاما !

ولذا فانه يمكن تصور ثلاثة مراحل أو حالات للعلاقة التي تقوم بين القادة

الحزبيين والبرلمانيين وهي كالآتي :

- ١ - سيطرة البرلمانيين على الحزب •
- ٢ - الموازنة بين الاثنين - المنافسة - •
- ٣ - سيطرة الحزب على البرلمانيين •

كل من هذه المراحل أو الحالات تنطبق على نوع معين من الاحزاب ، ذلك

ان هناك كثيرا من العناصر العامة تعمل على تقوية أو اضعاف هذه السيطرة ما بين البرلمانيين والقادة الحزبيين • فمثلا ، التصويت النسبي على أساس قائمة مغلقة يؤدي الى سيطرة القادة الحزبيين على البرلمانيين والسبب بسيط ، وهو أن القادة الحزبيين هم الذين يضعون القوائم ويقررون الاسماء التي تدرج في تلك القوائم • والاخذ بالافضلية يفضي الى سيطرة البرلمانيين وهكذا •

١ - سيطرة البرلمانيين على الحزب :

والمثل الواضح على ذلك انما هو الحزب الراديكالي الاشتراكي الفرنسي

فهو يؤكد سيطرة البرلمانيين على الحزب • فلقد كان هذا الحزب قبل تعديل نظامه عام ١٩٥٥ يقرر اعتبار اعضاء في اللجنة المركزية وبحكم القانون النواب

والشيوخ واعضاء المجالس المحلية والبلدية في المدن التي يزيد عدد سكانها على الخمسين الف نسمة • وعدد هؤلاء في مجموعهم يزيد ثلاثة أضعاف على عدد ممثلي فروع الحزب ومنظماته •

وهكذا يكون للبرلمانيين من أعضاء الحزب السيطرة المطلقة في اللجنة المركزية ، ولذا فانهم (أي البرلمانيون) يتمتعون بتأثير كبير وسيطرة واضحة على الصعيد الحزبي ، وهذا ما يؤدي الى تأثيرهم في القرارات التي تتخذها اللجنة المركزية وتوجيهها الوجهة التي يريدونها • فاذا ما علم ان ليس كل ممثلي الحزب في المجالس المحلية والبلدية بقادرين على حضور اجتماعاتها (اجتماعات اللجنة المركزية) وذلك لاسباب منها :

بعد مناطقهم عن العاصمة ، وعدم تفرغهم اشغالا بأعمالهم الحزبية ، لادركنا قوة البرلمانيين في السيطرة على مقررات الحزب ، وهكذا يكون النواب البرلمانيون قوة مستقلة في اللجنة المركزية ، وهذا ما يؤدي الى أن النائب هو الذي يدير اللجان المحلية كما يشاء ، ثم يترك له استقلالية التصرف وذلك بعدم التقيد بقرارات الحزب أثناء العمل البرلماني ، وهكذا تكون الكتلة البرلمانية عند التصويت في البرلمان آخذة بالاشكال التالية : فئة تصوت (مع) وأخرى تصوت (ضد) وثالثة (تمتنع) •

يتلخص مما تقدم أن سيطرة البرلمانيين على قيادة الاحزاب لا تكون الا في الاحزاب القديمة والتي أساسها اللجان ، أي انها احزاب محافظة بورجوازية • وكما هو معلوم من دراستنا فان هذه الاحزاب لا هم لها سوى الفوز بالانتخابات الذي هو الغرض الرئيس من وجودها وكل دأبها وهدفها ينحصر في العمل ما وسعهم العمل على انجاح اكبر عدد ممكن من النواب لتولي السلطة أو المعارضة ، ولن يتأتى لهذه الاحزاب ذلك الا عن طريق النواب لذا فهم - النواب - يتمتعون بأهمية بارزة وخاصة تسمح لهم بالسيطرة على القيادة الحزبية •

ولئن كانت القاعدة هي سيطرة البرلمانيين على الاحزاب المحافظة ، فإن

هناك استثناء لهذه القاعدة وهي سيطرة القادة البرلمانيين حتى على حزب قوى التنسيق الا وهو حزب « الحركة الجمهورية الشعبية الفرنسية » • فهذا الحزب يعتمد على قواعد وتنظيم قوى التنسيق وسلطة مركزية ، ولكن نظامه الداخلي يعمل على سيطرة البرلمانيين على الحزب ويحد من سيطرة القادة الحزبيين الى حد كبير • فالنظام الداخلي يقضي بأن لا يزيد عدد الاعضاء في المجلس الوطني على ثلث مجموع اعضائه ولكن الواقع يشير ويثبت غير ذلك • فللمادة (٣٢) من نظام الحزب تقضي بأن يكون المجلس الوطني للحزب مكونا من :

- ١ - رئيس وسكرتير عام الحركة (أي حزب الحركة الجمهورية) •
- ٢ - رؤساء مجلس النواب والشيوخ • اللذين هم أعضاء في الحزب •
- ٣ - الوزراء •
- ٤ - ممثلي الفروع •
- ٥ - الاعضاء العاملين •

والى جانب ذلك ، فاذا كان البرلمانيون لا يستطيعون أن يكونوا ممثلين رسميين فانهم بإمكانهم ان يكونوا ممثلي احتياط ، فوجودهم في باريس يعطي لهم حق التمثيل • أما في اللجنة المركزية ، وهي الهيئة الدائمة التي تقود وتقرر فيما يتخذ الحزب من مقررات واجراءات ، فتفوق البرلمانيين اكثر وضوحا منها ، وذلك لانها تضم : ١٨ عضوا يمثلون فروع الحزب ومنظماته ، ١٢ برلمانيا ، وكذلك الوزراء ، وعددهم ٥ ، سواء منهم من كانوا وزراء حاليين أم قدامي ، وكذلك رئيس وسكرتير الحزب ، ٥ اعضاء مختارين من قبل اللجنة السابقة ، وعضوين من مجلس الاتحاد • مما لا ريب فيه أن حضور الوزراء الحاليين يقوى - من الناحية النفسية - سلطة البرلمانيين •

اما الحزب الاشتراكي المسيحي الذي هو الآخر قوى التنسيق فان نظامه لا يسمح بالجمع بين الوزراء وحضور اجتماعات المجلس الوطني للحزب ، وكذلك الامر بالنسبة للحزب الايطالي الديمقراطي •

اما بالنسبة للاحزاب الامريكية فان البرلمانيين لا يلعبون دورا قياديا كبيرا ذلك ان « القادة البرلمانيين قد توقفوا منذ عام ١٨٤٠ عن ان يكونوا - رسميا - قادة للاحزاب ، في الوقت الذي انسحب فيه كبار البرلمانيين - امثال كالهون وويستر - من الحياة السياسية ، لان البرلمان كان قد فقد - تقريبا - كل سلطته - على نطاق الدولة في مواجهة الماكنة الحزبية » (١) .

ان الاحزاب الامريكية ، وهي لا مركزية ضعيفة التنسيق ، تختلف من ولاية لاخرى من حيث التنظيم . غير ان الذي يعنينا من الامر انما هو علاقة القادة الحزبيين الامريكان بالقادة البرلمانيين . فاذا كان عضو مجلس الشيوخ هو الذي يشرف على الماكنة الانتخابية المحلية وله شخصية (Boss) فانه هو الذي يدير فعليا الحزب ، ومعنى ذلك سيطرة البرلمانيين على الحزب وبالعكس اذا كان من يمتلك القوة الفعلية ويقوم على ادارة العملية الانتخابية غير برلماني ، فالسيطرة هنا للحزب على البرلمانيين .

٢ - المنافسة بين البرلمانيين والقادة :

في تاريخ الاحزاب البريطانية - في نهاية القرن التاسع عشر - تصوير وتوضيح وبرهان يؤكد كيف ان الكيانات والمنظمات الحزبية تسبب نوعا من المنافسة بين القادة الداخليين في الحزب وبين اعضاءه البرلمانيين . فكلما كانت المنظمة كبيرة كلما كانت المنافسة قوية وتؤدي الى اضعاف سلطة البرلمانيين لحساب القادة الحزبيين .

أما في الاحزاب الشيوعية والاحزاب الفاشستية فلا يكون دور البرلمان سوى تنفيذ سياسة الحزب وليست لهم سلطة على الهيئة القيادية للحزب . واما الاحزاب الاشتراكية فهي شكل وسط تكون فيها سلطة البرلمانيين ،

(1) Max Weber, Op. Cit., P. 149.

من الناحية الرسمية ، أقوى من سلطة القادة الحزبيين ، وعمليا هم لا يملكون تلك السلطة وانما لهم امتيازات ليست من القوة بمكان . وهكذا تنشأ حالة التوازن النسبي بين القادة الحزبيين من جهة والبرلمانيين من جهة أخرى ان لم تكن هذه العلاقة آخذة لشكل المنافسة بين الاثنين . وهنا لا نستطيع في الحقيقة ، الحديث عن سيطرة الحزب على البرلمانين ولا عن سيطرة البرلمانين على الحزب . وهكذا يصح لنا القول بان العلاقة قائمة على أساس انفصال السلطة بين القيادة الداخلية والقيادة البرلمانية ، ذلك الانفصال الذي يقود الى منافسة المنظمة الحزبية التي تلعب دورا متفوقا في هذا الشأن .

ان الاحزاب بعد ان كانت - قديما - تعتمد على اللجان ، غدت تعتمد على الجماهير التي تتكون من الاقسام كقاعدة لها ، وتتمتع بتنسيق قوى وادارة مهيمنة وقوية وحازمة . هذه الفروق ، وهي كون هذه الاحزاب تعتمد على الجماهير وذلك عن طريق اقسامها والتي هي القاعدة لها ، وكون السلطة مركزية قوية ، هي التي تخلق في الحقيقة عوامل التدرج في الحزب . وهذا التدرج الوظيفي في الحزب قد يكون مستندا على (بيروقراطية) قوية ، أو يركز على النظام الداخلي ، والتي كلها بدورها تحول دون بلوغ البرلمانين السلطة القيادية .

وفي الحقيقة والواقع فإنه كثيرا ما تعزى المعارضة بين عضو حزبي عامل ونائب في نفس الوقت الى عوامل اجتماعية وسياسية ، وقد تساهم التقاليد والتعصب وكذلك الاختلاف العنصري والديني الى حد ما في هذه المعارضة أو الصراع . وأيا كانت أسباب الصراع فإنها ليست بعنصرية دوما ، وكذلك ليست دوما بخفية ، ولكنها دائما وابدا دائمة وقوية .

وفيما يخص الناحية الاجتماعية مثلا : عضو البرلمان يغدو (بورجوازيا) في علاقته مع الاعضاء العمال العاملين في الحزب . فحتى لو كان النائب عاملا هو الآخر فإنه يفقد صفة « العمالية » شيئا فشيئا ويغدو نائبا بكل ما يحيط النيابة من امتيازات وما تسبغه على النائب من مكاتبة ، ولذا فإنه محكوم بالجو البرلماني

وبعلاقته • كذلك اتصالاته وحضوره الحفلات والمآدب الرسمية تبعده كثيرا عن « الوسط » الذي نشأ فيه • ثم رغبته في أن يكون « وزيرا » تدفعه الى ان يعيش في اجواء بورجوازية ، وهذا هو العامل السياسي •

اما وان الامر كذلك ، ترى الى أي حد يستطيع الحزب المحافظة على اعضاءه البرلمانيين ، وكيف يتم له اخضاعهم والسيطرة عليهم ؟

قبل كل شيء ، ان عدد اللجان القيادية عادة قليل ، فهذا يحد ذاته عامل تضيق يحول دون أن تصل الاقلة قليلة من الاعضاء الى هذه الحلقة القيادية ، وهؤلاء في الاصل انما يكونهم البرلمانيون وهؤلاء البرلمانيون يحاولون أن تكون لهم الاغلبية في اللجان بالقياس الى الاعضاء العاملين أو الممثلين لفروع الحزب • ففي فرنسا ، مثلا ، وفي أول نظام داخلي للحزب الاشتراكي الفرنسي نجد ان البرلمانيين كانوا ممثلين في المجلس الوطني للحزب دون أن يتجاوز عددهم العشرين عضوا وان أي نائب لا يستطيع أن يمثل نفسه شخصا في المجلس الوطني ، وليس منهم من يستطيع أن يكون عضوا في الهيئة أو اللجنة الادارية الدائمة •

أما في الحزب الاشتراكي الايطالي فلا يجوز الجمع بين عضوية البرلمان والعضوية في القيادة الحزبية ما عدا رئيس الكتلة البرلمانية الحزبية فمن حقه حضور الاجتماعات ولكن صوته يظل استشاريا • وهناك أيضا الحزب الاشتراكي البلجيكي حيث لا يسمح للوزراء اثناء توليهم الوزارة ممارسة اعمال قيادية في الحزب فالوزراء فيه لا يحضرون اجتماعات المكتب الا بصوت استشاري • واذا اصبح احد أعضاء المكتب وزيرا فقد حق حضور جلسات المكتب وكذلك صوته •

وفي أحزاب أخرى تكون السيطرة في المنظمات الحزبية للبرلمانيين سواء أكانت فردية أم تضامنية ، فكل نائب يخضع الى اتحاده نظريا ، ولكن عمليا ليس كذلك • ذلك ان النظام الانتخابي يلعب دورا رئيسا في هذا الصدد • ففي التصويت الموحد حيث تأخذ الانتخابات طابعا شخصيا يكون شخص المرشح من

حيث ظروفه وشخصيته المحلية والاجتماعية اقوى من الحزب وعلى العكس ، في التصويت بقائمة ، يغدو الحزب عاملا أساسيا في تقرير انتخاب العضو . وكذلك تعتمد بعض الاحزاب الاشتراكية الى فرض مبلغ معين يدفعه العضو الحزبي من راتبه وعند صيرورته نائبا ، كذلك التهديد باقصاء النائب عند عدم تصويته وفق رغبة الحزب أو مقرراته ، وهذا في الحقيقة يعطي وبوضوح دليلا على خضوع البرلمانيين للحزب . فمثلا حزب العمال الاشتراكي الاسترالي يعطي مثلا على سيطرة الحزب على البرلمانيين ، وحزب العمال البريطاني يعطي دليلا على خضوع البرلمانيين الى القيادة الحزبية وكذلك خضوع نقابات الحزب الى الحزب .

في حين ان الاحزاب الاشتراكية اللاتينية تعطي صورة عكس ذلك ، أي تأثير البرلمانيين على الحزب . كذلك الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالمانى فإنه يخضع الى القادة البرلمانيين على الرغم من انه كان يستند على حركة نقابية ذات أهمية ملحوظة .

٣ - سيطرة الحزب على البرلمانيين :

من دراستنا للاحزاب السياسية وتقسيمنا لها الى احزاب محافظة واشتراكية واخيرا شيوعية وفاشستية ، نستطيع القول بان مع الاحزاب الشيوعية والفاشستية تبين وبوضوح الحالة الثالثة من حالات العلاقة بين القادة الحزبيين والقيادة البرلمانيين الا وهي سيطرة الحزب على البرلمانيين . فبالنسبة للاحزاب الشيوعية فان المؤتمر الثاني للشيوعية الدولية قد قضى بان العضو البرلماني ليس بمشرع وانما داعية للحزب ارسل الى اعدائه (اى اعداء الحزب) لتطبيق مقررات الحزب .

وفي الحقيقة فان هناك نوعين من العوامل تفسر لنا هذه السيطرة الا وهي :

آ - عوامل تنظيمية وهي التي تتعلق أو تعود الى الشكل التنظيمي للحزب .

ب - عوامل خارجية .

فمثلا تأثير النظام الانتخابي - كما اسلفنا - له أثر كبير في ذلك فالتصويت بقائمة مع التمثيل النسبي يحقق سيطرة الحزب وهو ينطبق على الاحزاب

الفاشستية والشيوعية كذلك الحال مع الاحزاب الفاشستية التي تقضي بان يدفع النائب قسما من راتبه .

اما الاحزاب الشيوعية فان العمل يحمل طابعا سياسيا عكس الاحزاب الاشتراكية التي أساسها وأسبابها مالية ، وهي جعل النائب لا يستلم الا راتبا زهيدا ، ولكن يحوط بامتيازات وهذه الامتيازات في حقيقة جوهرها ضرب من الرقابة تكون بيد الحزب الشيوعي ، فللنائب الحق أن يستخدم سكرتارية الحزب ، وهؤلاء - أي السكرتارية - دورهم ينحصر في مراقبة نشاطات النائب في أدق تفصيلاتها .

كذلك هناك وسائل تعتمد اليها الاحزاب لغرض سيطرتها على البرلمان وهذه الوسائل هي :

اولا - فنية .

ثانيا - ايدولوجية .

اولا - الوسائل الفنية :

وفيها نجد ان الحزب كثيرا ما يعتمد الى الحصول على ورقة بيضاء ، موقعة من قبل المرشح الحزبي للانتخابات يتركها لتصرف قيادة الحزب متى وكيف ما تشاء ، حتى اذا ما بدر من العضو اثناء ممارسته لعمله البرلماني ما يتباين ويختلف مع السياسة العامة للحزب لجأت القيادة الى املاء هذه الورقة ، وذلك بتقديم استقالته .

كذلك تعتمد بعض الاحزاب الى ان تفرض قدرا معينا من المال والغرض من ذلك تأكيد شخصية السلطة القيادية وهيمنتها على البرلمان . كذلك تعتمد بعض الاحزاب الى عدم السماح للشخصيات المحلية البارزة بتقديم نفسها مرشحا في منطقته ، وهدف الحزب من ذلك :

١ - العمل على تزويد الشخصية المحلية ، ذلك اننا كما قد رأينا ، عند دراستنا للامر كزية المحلية كيف ان لها مضارا واخطارا . فهي اذ تبعد هذه

الشخصيات المحلية البارزة من الترشيح الانتخابي تكون قد قامت فعلا بتلافي عيوبها •

٢ - وهذا هو الالم ، اذ تحرص القيادة على هذا الاجراء رغبة منها في اشعار المرشح بان الانتخاب أمر يعود الى الحزب اولا واخيرا • فاذا ما انتخب في منطقة غير منطقته فما ذلك الا بتأثير ونفوذ الحزب وليس غير • والحقيقة فان العلاقة الحزبية هي أقوى من العلاقة البرلمانية ، ثم كثيرا ما يستبعد الحزب ترشيح شخصيات معروفة في عالم الادب والاجتماع والعلم ، والغرض من ذلك هو التأكيد على الالمية الكبرى التي يلعبها الحزب وانه هو وحده يرفع ويضع • ولذا فانه يبادر بتقديم اسماء أقل شهرة وشأنًا ليتسنى للحزب السيطرة عليها بسهولة ويسر •

ثانيا - الايديولوجية :

مما لا شك فيه ان الايديولوجية تلعب دورا كبيرا وخطيرا في حياة الاحزاب والحزبيين ويفترض فيمن ارتضى لنفسه الدخول الى حزب معين انما هو ايمانه به وبمبادئه وان يعمل العضو جاهدا ومجتهدا على نشر مبادئه • كذلك فان الحزبيين مطالبون بالخضوع والاذعان الى مقررات الحزب واجراءاته (١) • لذا فاننا في اغلب الاحيان نجد ان الحزب يسبغ على شخصياته الاولى والقيادة رصيذا كبيرا من الثقة والتقدير والاحترام ، عند ذلك نجد ان هذه العوامل مجتمعة تعمل على تسيير أمر السلطة على اعضاء الحزب بما فيهم الاعضاء البرلمانيين ايضا • ولطالما أسهم الايمان بالعميدة دورا خطيرا في الثورات الكبرى التي حدثت في العالم • فالايان بالاسلام كان أقوى سلاح وامضاء في

(١) ليس من شك ، في ان الاحزاب السياسية ، كما أثبتت التجارب الواقعية العميدة انها تسمى تطبيق الايديولوجية التي تؤمن • وليس من شك ايضا في ان اسباب ذلك انما تعود الى المصالح الحزبية التي تطفئ على اعتبارات الفكر والعميدة •

سبيل العمل على نشر الدعوة الاسلامية • وكان المؤمنون اسرع الناس اندفاعا
ومضاءا في العزيمة لان الايمان قوة خارقة تفعل فعل السحر في النفوس فتطلق
بلا خوف ولا وجل عاملة جهدها في سبيل تأكيد ذلك الايمان والعمل على نشره،
وكذلك الامر بالنسبة للاحزاب السياسية • فالايديولوجية قوة كبرى تعتمد على
وضوح الفكر •

المبحث الرابع

اليسار واليمين والكادر السياسي

الفرع الاول

اليسار واليمين والاحزاب السياسية

اليسار واليمين مصطلحان سياسيان ، من الشيوع والذيعوع ، بحيث انهما يفرضان وجودهما عند كل حديث في السياسة والاقتصاد والاجتماع وحتى الادب ! فكثيرا ما يقال ان النظام السياسي القائم في بلد ما ، نظام رجعي يميني ، وأن النظام السياسي في بلد آخر يساري وتقدمي .

كذلك بالنسبة للاحزاب ، فان هناك ، أحزابا سياسية يسارية كما ان هناك أحزابا يمينية .

وهذا الامر ينطبق هو الآخر على الافراد : فان من بين الافراد من يكون اتجاهه السياسي يساريا ، وهناك من يكون اتجاهه يمينيا . وفي الحقيقة فان اليسار واليمين مسألة نسبية . فما كان يسارا في الماضي أصبح الآن يمينيا .

وهكذا فلا استقرار لهذا المصطلح السياسي الشائع . فمثلا الحزب الراديكالي الفرنسي عام ١٨٧٥ كان حزبا يساريا اما الآن فانه حزب يميني . ان قولنا بان « الاستمرارية » خصيصة رئيسة من خصائص الثورة هي المعول عليها ، لانها تفترض البقاء ولانها (مستمرة) . في حين أن لفظ اليسار لا يعطي المعنى الذي تصفيه صفة الاستمرارية عند الحديث عن الثورة والثوار . وبالمناسبة فان هناك كتابا لبرجيس دوبريه ، عنوانه : (الثورة داخل الثورة) فهذا التعبير من الناحية العلمية ، لا يستقيم مع معنى الثورة . بل ان مثله مثل تعبير (الثورة المضادة) (١) .

فالثورة داخل الثورة ، لا يمكن أن تكون ! ذلك انه اذا كانت هناك ثورة ، فان الامر لا يستدعي قيام ثورة داخلها اذ أن الثورة لا يمكن ان تكون ضد الثورة !

(١) انظر صفحة (٥٨) من هذا الكتاب .

أما اذا توقفت الثورة لسبب من الاسباب ، فمعنى ذلك ان صفة (الاستمرارية) التي ندعو لها قد أنتفت • وعليه فانها ليست بثورة • فما أكثر الحركات التي قامت وكانت في بدايتها ثورات ثم انتهت بأن أصبحت انقلابات !

فالانقلاب ليس بثورة وعليه فان الامر يكون مقبولا من الناحية العلمية للثورة حين يقال : ان ثورة قامت وأطاحت بالحكم الانقلابي •

فالثورة شعبية والانقلاب حكم (ديكتاتوري) يقوم بمعزل عن الشعب وسلاحه القوة ! ولعل من المناسب جدا أن نعود على بدأ فنقول ان تعبير (ثورة مضادة) تعبير خاطيء ، لان الثورة شعبية ومستمرة ، ويفترض في الثورات أنها جاءت لتحقيق مطالب الشعب في أغليته الكادحة وهي أغلبية ساحقة • عند ذلك فان الصراع ما بين القوى المالكة للثروات من جهة وبين الشعب المحروم من الثروات من جهة أخرى أمر حتمي لانهما قوتان متضادتان متناقضتان لا تلتقيان الا على صراع !

وعليه فان اعداء الشعب يريدون لثورة الشعب أن تنتهي وتزول وذلك بقيامهم بحركات مضادة للثورة • وانهم أي القوى المعادية للشعب قوى مضادة للثورة وليست قوى (ثورة مضادة) •

لان الثورة - وهذا أمر أساسي - لا يمكن أن يفجرها أو يطلقها اعداء الشعب • ان الثورة شعبية ، وأولئك الذين يتصدون لضرب آمال الشعب وتطلعاته نحو تحقيق مجتمع الكفاية والعدل والمساواة انما هم أعداء الشعب • واعداً الشعب لا يستحقون اسم (الثورة) •

ان اعداء الشعب قوى عاتية تريد استمرار بقاء مصالحها استغلالاً وتحكما • انهم اعداء الشعب وانهم اعداء الثورة •

ان الثورة ملك الشعب وحده • ولذا فلا يمكن قبول تعبير (ثورة مضادة) لان الثورة انما قامت لتعصف بالقوى الحاكمة المستقلة ولتقطع - قلعا من الجذور - وجودهم • وانما يمكن أن يقال : حركة مضادة للثورة أو قوى معادية للثورة •

كان لا بد لي من أن أتحدث ثانية عن (الثورة) و (القوى المضادة للثورة)
وأنا بصدد الحديث عن اليسار واليمين •

جذور اليسار واليمين :

الاصل أن (اليمين) خير وان (اليسار) شر •
هذا الامر يكاد أن يكون موضع اتفاق في كثير من اللغات • فاليمين في اللغة
الانكليزية^(١) وفي اللغة الفرنسية^(٢) وفي اللغة الالمانية^(٣) تعني معاني خيرة
كالاستقامة والحق والبراعة •

كذلك اللغة اللاتينية فان اليمين^(٤) يعني الحظ واليسار^(٥) في هذه اللغة
يعني سوء الحظ !

وهناك حديث شريف للرسول (ص) يقول فيه : (ان اليد اليمنى خير من
اليسرى) • فلئن كان الامر كذلك بالنسبة الى اللغات التي ذكرناها ، ترى كيف
اذن أصبح اليمين يعني المحافظة والجمود واليسار يعني التغيير والثورة ؟

الجواب على ذلك هو ان مجلس الطوائف Etats Generaux في فرنسا
قد اجتمع قبيل قيام الثورة الفرنسية ، وان نواب (الطائفة الثالثة) قد أصروا على
وجوب اجتماع ممثلي الشعب جميعهم ، وان يقترعوا معا بعد أن كان الاقتراع
يجري كل طائفة على حدة • ولقد انتقل نواب هذه الطائفة على (يسار) رئيس
المجلس اعلانا منهم عن معارضتهم للملك^(٦) •

-
- (1) Right.
 - (2) Droite
 - (3) Recht
 - (4) Dexter
 - (5) Sinister

(٦) يقول : Littré : أن اليسار انما هو حزب المعارضة في المجالس
الفرنسية ، الحزب الذي يجلس على يسار الرئيس •

ومن يومها ظهر تعبير سياسي : ان اليسار لا يؤمن بالواقع القائم وهو يريد التغيير فهو ضد المحافظة على الاوضاع القائمة • وان اليمين لا يؤمن بالتغيير وهو يريد المحافظة عليها • وهكذا عدا (اليساري) تقديما و (اليمين) رجعا •
وأن (اليسار) منبع الثورات ، وان (اليمين) القمقم الذي يجبس انطلاقها !

أن هذه الاقوال صحيحة غالبا ولكن - قطعا - ليست بأحكام مطلقة •

فالبروليتاريا مثلا ، تعتبر من اليسار ، وهي غالبا مصدر الثورات • ولكن هناك استثناء لها فمثلا البروليتاريا في أوروبا وفي الولايات المتحدة الامريكية ليست بثورية • ان للابنية الاجتماعية والاقتصادية أثرا باهر الواضوح في هذا الامر • وللتدليل على ذلك ، فان طبقة البروليتاريا في الدول النامية أكثر ثورية من البروليتاريا في ادول المتقدمة •

ان الخلاف ما بين اليمين واليسار خلاف طبيعي • فالاول يملك ويتحكم وهو أقلية والثاني لا يملك وهو محكوم على الرغم من أنه يمثل الاغلبية •

ان الخلاف ما بين اليمين واليسار ، انما يجد أساسه ، في الخلاف ما بين الحكم المطلق والحكم الشعبي كما يقول اندريه سيكفريد⁽¹⁾ •

ولئن كانت مسألة (اليمين) و (اليسار) قد بدأت نسبية فانها أصبحت مصطلحا سياسيا غزا الاقتصاد كما قد غزا الادب ايضا •

فان الرأسمالية - كمذهب اقتصادي - انما تمثل اليمين ، والاشتراكية - كمذهب اقتصادي - انما تمثل اليسار •

والادب هو الآخر عبر عصوره الطويلة - قد شهد صراعا ما بين القدامى (اليمين) والمحدثين (اليسار) •

(1) André Siegfried — Dans Beau Lomenie, Qu' appelez — vous Droite et gauche? (1931).

جوهر الامر ، أن المجتمع انما يخضع في عمليات تغييره وتطويره الى الصراع الذي يدور بين القوى القديمة (اليمين) وبين القوى الجديدة (اليسار) وبين القوى التي تملك (رجعية) وبين القوى التي لا تملك (تقدمية) • ولكن للزمن فعله وتأثيره بحيث قد يجعل من قوى بدأت يسارية أن تنتهي بأن تصبح يمينية ! ان الحياة صراع طرفاها : قديم قاعد يريد المحافظة على مواقفه ، استفلالا وتحكما لا يرتضى لغيره تغييرا ولا تحويلا ولا يرتضى لمواقفه تبديلا • وهو يحرص عليها حد الجمود !

وجديد صاعد يريد أن يحقق لنفسه موقعا في المجتمع الذي فيه يعيش وهو يحرص على تحقيق غايته مضحيا وتضحيته هنا بلا حدود !

الاول يخاف المستقبل لانه مشحون بالتغيير فيحرص على حاضره القائم ما وسعه الحرص الى ذلك سيلا ، والثاني يتطلع الى المستقبل أملا في أن يحقق لنفسه مكانا على الارض التي ولد فيها وان يحقق لغيره حياة حرة كريمة تملأ أمتنا وكفاية وعدلا •

بعد هذا الذي قلناه عن اليسار واليمين ، نتناول بالدرس ، موضوع (الكادر) السياسي لما له من علاقة وثقى ومباشرة ومؤثرة في الاحزاب السياسية •

الفرع الثاني

الكادر السياسي

لا مرأ في أن كل نظام سياسي وكذلك الاحزاب السياسية ، بحاجة ماسة الى فريق كشاف ، به يستطيع النظام وكذلك الحزب أن يواصل سيرهما الطويل التحاما بالجماهير وتعرفا منهما على ما تحب الجماهير وما تكره ، ما تريد وما لا تريد • ثم لا بد أن يتعرف النظام السياسي وكذلك الحزب السياسي على موقعه في قلوب الجماهير !

وكما أسلفنا من قول ، فان في كل مجتمع سياسي قوتين : قديمة قاعدة وجديدة صاعدة ! الاولى وهي تمتلك السلطة تعمل جاهدة ومجتهدة على البقاء حيث هي • بمعنى أنها لا تريد هبوطا لنفسها ولا سقوطا !

والثانية وهي لا تملك من السلطة شيئا سوى الالتزامات اذعانا لما تفرضه عليها السلطة العليا دون أن يكون لها حق في تقرير هذا الامر • وهي تريد للمجتمع تحويلا وتديلا • بحيث يعود هذا التبديل في صالحها لانها - وهي الطبقة المسحوقة - هي صاحبة المصلحة في عملية التغيير والتحويل • عند ذاك لا بد من حدوث الصراع • والتاريخ يحدثنا الكثير عن صراعات قامت بين القوى القديمة والقوى الجديدة • وكان النصر دوما حليف القوى الجديدة ولكن على بحر من دماء !
ان الحياة طريق وعر ، ولن تعبه الا الدماء والتضحيات •
وصعوبة الانتصار في الصراع الدائر ما بين القوتين انما يعود الى الاسباب التالية :-

أولا - رسوخ أقدام القوى الرجعية القديمة • فهي بما تملك من سلطة وامتيازات قد سيطرت سيطرة تكاد أن تكون كاملة سياسيا واقتصاديا وفكريا ثانيا - وان التجارب العديدة التي خاضتها القوى القديمة عبر العصور ، قد حصنتها وجعلتها أقدر على التحوط لمواجهة احتمالات المستقبل النابضة بالتغيير •
ثالثا - ان القوى القديمة تعرف بالضبط ماذا تريد وماذا ينبغي عليها ان تعمل ، ولذا فانها دوما متراصة القوى وموحدة الاهداف • وهذا ما يجعلها أكثر قدرة على الحركة أو التحرك •

رابعا - ان الرأي العام في الاصل انما يتعلق بالقديم ، لانه قد اعتاد هذا الشيء ، ويظهر الرأي العام دوما خوفا من كل آت جديد ، لان الجدة في نظره ، انما تحمل اخطارا لا تدرك تهديدا لوجوده •
ثم ان وسائل الاعلام والتعبير مملوكة - فكريا وماديا - الى القوى الرجعية القديمة •

ولكن هذه القوى القديمة ، على الرغم من قوة ما تملك • فأنها لا تستطيع أن تقف في وجه التيار ولا هي بمستطاعة أن تمنعه من الجريان ! •

كل هذه الامور مجتمعة الى جانب ان هناك كثيرا من العناصر الانتهازية تسلل داخل التنظيمات السياسية ، وهي في حقيقة الامر وجوهه انما هي عناصر تخريبية معادية ، تجعل من الضرورة بمكان قيام جهاز يكون أعضاؤه عيونا كاشفة تفضح حقيقة أعداء الشعب وتعمل على كشف العناصر الدخيلة المخربة .

كذلك ينبغي على كل نظام وحزب أن يحيط علما وخبرا بآراء الناس وافكارهم ، فيتعرف على حقيقة آرائهم وما هي مطالبهم ولن يتسنى للنظام السياسي أو الحزب ذلك الا بوجود أجهزة اتصال تتعرف على أعماق آراء الشعب .

ولما كان النظام السياسي وكذلك الحزب يتصدر كل واحد منهما عملية تثقيف الشعب فلا بد اذن من جهاز مثقف واعى مسلح بالعلمية ومدرك لاحتياجات الشعب ومشاكله لكي يكون قديرا على حل هذه المشكلات . ثم ان التمييز بين المؤمن والانتهازي من الاعضاء يستدعي قيام جهاز مراقبة دائم الحركة مستمر العمل .

وعليه فلا بد من قيام (الكادر) السياسي الذي يمتلك القدرة على التحرك نضالا كما يمتلك القدرة على التحرك فكرا وعملا .

ذلك ان هناك من التناقضات - كما يقول ماوتسي تونك - بينا وبين اعداءنا ، هي تناقضات عدائية . أما في صفوف الشعب ، فان التناقضات فيما بين الشغيلة هي تناقضات غير عدائية . في حين ان التناقضات بين الطبقات المستثمرة والطبقات المستثمرة ، تحوي الى جانبها العدائي جانبا آخر غير عدائي « (١) » .

وهكذا فان التناقضات الاولى لن تزال الا عن طريق النضال . أما الثانية فانها تزال عن طريق التثقيف والتوعية .

(١) ماوتسي تونك - حول المعالجة الصحيحة للتناقضات بين صفوف الشعب - دار النشر باللغات الاجنبية بكين - ١٩٦٨ - ص ٣ .

ان قيام الكادر السياسي ضرورة حيوية كبرى للاحزاب السياسية ، لانه
كما يقول - ديمتروف - :

« ستكون أفضل قراراتنا وأحسنها مجرد قصاصات من الورق اذا لم يتوفر
لدينا الناس الذين يعرفون تطبيقها » (٢) ♦

بعد هذا ، لابد لنا من التساؤل ، ترى ما هو المعيار أو المعايير الاساسية في
اختيار الكوادر ؟

لابد أن تتوافر الصفات التالية في الكادر :

١ - أن يكون منتبها الى الطبقة الجديدة الصاعدة ويستوى الامر ان كان انتماءه
طبقياً أو فكرياً ♦

٢ - ان يكون من المؤمنين بحق الجماهير حريصاً على صلته بها ♦

٣ - أن يكون واعياً ومدركاً يتحلى بالعلمية الى جانب كونه محيطاً لمشاكل مجتمعه
قادراً على تحمل المسؤولية ♦

وكلمة أخيرة نقول ان (الكادر) « عين » ترى و « عقل » يفكر و « رئة »
يتنفس بواسطتها الحزب و « قلب » ينقى دمه !

(٢) ديمتروف - في الكادر - ترجمة خالد السلام - مطبعة الزمان بغداد -
١٩٥٩ ، ص ٣ ♦

الفهرس

الصفحة

٩-٣

المقدمة

الباب الاول

الديمقراطية والاحزاب السياسية

- ١٣ الفصل الاول : الادوار التي مرت بها الديمقراطية
- ١٤ المبحث الاول : نظرة عامة
- ١٤ الفرع الاول : الديمقراطية عند اليونان
- ١٨ الفرع الثاني : الديمقراطية عند الرومان
- ١٨ الفرع الثالث : الديمقراطية عند العرب
- ٢١ الفرع الرابع : الديمقراطية في صدر الاسلام
- ٢٩ الفرع الخامس : الديمقراطية في القرن الثاني عشر
- ٣١ الفرع السادس : الديمقراطية في الغرب
- ٣٥ الفرع السابع : الديمقراطية في الدول النامية
- ٤٢ المبحث الثاني : هل الاحزاب ضرورة أو لا ؟
- ٤٨ الفصل الثاني : الثورة والانقلاب والاحزاب السياسية
- ٤٨ المبحث الاول : الثورة والانقلاب
- ٥٨ المبحث الثاني : الاحزاب بين المؤيدين والخصوم
- ٦٤ المبحث الثالث : وحدة القوى الثورية في الوطن العربي
- ٧٦ الفصل الثالث : الاحزاب السياسية
- ٧٧ المبحث الاول : تعريف الحزب السياسي
- ٨٥ المبحث الثاني : نشأة الاحزاب السياسية
- ٩١ المبحث الثالث : الحياة السياسية والقوى المتصارعة
- ٩٣ الفرع الاول : الصراح السياسي

الباب الثاني

الهيكل العام للأحزاب السياسية

| | | |
|-----|-----------|--|
| ٩٩ | • • • • • | النصل الاول : البناء الحزبي |
| ١٠٠ | • • • • • | الفرع الاول : الاحزاب المحافظة |
| ١٠٨ | • • • • • | الفرع الثاني : الاحزاب في اسرائيل |
| ١١٤ | • • • • • | المبحث الثاني : الاحزاب الاشتراكية |
| ١١٨ | • • • • • | المبحث الثالث : الاحزاب الشيوعية |
| ١١٨ | • • • • • | الفرع الاول : الحزب الشيوعي الروسي |
| ١٢٢ | • • • • • | الفرع الثاني : الحزب الشيوعي الصيني |
| ١٢٦ | • • • • • | المبحث الرابع : الاحزاب الفاشستية |
| ١٢٧ | • • • • • | الفرع الاول : الحزب الفاشي |
| ١٣٠ | • • • • • | الفرع الثاني : الحزب النازي |
| ١٣٦ | • • • • • | النصل الثاني : التكوين الداخلي للأحزاب السياسية |
| ١٣٧ | • • • • • | المبحث الاول : التكوين المباشر وغير المباشر للأحزاب السياسية |
| ١٤٠ | • • • • • | المبحث الثاني : الوحدات الاساسية للأحزاب السياسية |
| ١٤٦ | • • • • • | المبحث الثالث : الارتباط العام |
| ١٦٠ | • • • • • | النصل الثالث : العضوية في الاحزاب |
| ١٦٢ | • • • • • | المبحث الاول : فكرة العضوية |
| ١٧١ | • • • • • | المبحث الثاني : طبيعة المشاركة في الاحزاب |
| ١٧٥ | • • • • • | النصل الرابع : قيادة الاحزاب |
| ١٧٩ | • • • • • | المبحث الاول : اختيار القادة |
| ١٨٣ | • • • • • | المبحث الثاني : القادة الظاهريون والقادة الحقيقيون |
| ١٨٦ | • • • • • | الفرع الاول : سلطات الهيئات القيادية |
| ١٩٧ | • • • • • | الفرع الثاني : الصراع والتطهير في الاحزاب السياسية |
| ٢٠٨ | • • • • • | المبحث الثالث : القادة الحزبيين والقادة البرلمانيون |
| ٢١٨ | • • • • • | المبحث الرابع : اليسار واليمين والكادر السياسي |
| ٢١٨ | • • • • • | الفرع الاول : اليسار واليمين والاحزاب السياسية |
| ٢٢٣ | • • • • • | الفرع الثاني : الكادر السياسي |

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 072541756

(NEC)
JF2051
.H36
1968
vol.1